

(جمعية سرور)

طوال السعد لاحت ترهب بنبيل الأما ني
وبلبيل الأئس غني بمفردات التها ني
والبشر يدعو علاكم مبتغا عن لسا ني
فشرفوني لاني بلم اهني زما ني

التشريف يوم الخميس ٨ ربيع الثاني ١٣٠٨ الساعة (١٠) عربي نهاراً

المتزل بسطان شاهي الداعي فلان بن فلان

3/10/13
103

مَحَبَّةُ الْمَلِكِ



Checked
1937

سنة ١٣٥٧
١٣٥٧

وَهُوَ بَشْتِيلُ عَلَى حِكَايَاتِ أَدَبِيَّةٍ
وَتَوَادِرَ حِكْمِيَّةٍ وَحَوَاثِثَ تَأْرِخِيَّةٍ



طبعة ثامنة في مطبعة الاباء المرسلين اليسوعيين

في بيروت ١٨٨٥

مِنْ مَقْدِمَةِ هِنْدُ بَنِ سَحَوَانَ وَيُعْرَفُ بِعَلِيٍّ
 ذَكَرَ فِيهَا السَّبَبَ الَّذِي مِنْ أَجْلِ
 عَمَلِ يَدِيَا الْفِيلَسُوفِ الْهِنْدِيِّ رَأْسِ الْبَرَامَةِ
 لِدَبْشَلِيمَ مَلِكِ الْهِنْدِ كِتَابَةَ الَّذِي سَمَاهُ
 كَلِيلَهُ وَدَمَنَهُ

قَالَ عَلِيُّ بْنُ الشَّاهِ الْفَارِسِيُّ: كَانَ السَّبَبُ الَّذِي مِنْ أَجْلِهِ وَضَعَ لِدَبْشَلِيمَ
 مَلِكِ الْهِنْدِ كِتَابَ كَلِيلَةِ وَدَمَنَةِ أَنَّ الْأِسْكَندَرَ ذَا الْقَرْنَيْنِ الرَّوْمِيِّ لَهَا
 فَرَعَ مِنْ أَمْرِ الْمُلُوكِ الَّذِينَ كَانُوا بِتَاجِيَةِ الْمَغْرِبِ سَارَ يُرِيدُ مُلُوكَ الْمَشْرِقِ
 مِنَ الْفَرَسِ وَغَيْرِهِمْ. فَلَمْ يَزَلْ يُجَارِبُ مَنْ نَازَعَهُ وَيُؤَافِقُ مَنْ وَاقَعَهُ
 وَيُسَالِمُ مَنْ وَادَعَهُ مِنْ مُلُوكِ الْفَرَسِ وَهُمْ الطَّبَقَةُ الْأُولَى حَتَّى ظَفَرَ عَلَيْهِمْ
 وَظَهَرَ مِنْ نَاقَاهُ وَتَغَلَّبَ عَلَى مَنْ جَارِيَهُ. فَتَفَرَّقُوا طَرَائِقَ وَتَزَفَّقُوا خَرَائِقَ.
 فَتَوَجَّهَ بِالْجُنُودِ نَحْوَ بِلَادِ الصِّينِ فَبَدَأَ فِي طَرِيقِهِ بِمَلِكِ الْهِنْدِ لِيَدْعُوهُ إِلَى
 طَاعَتِهِ وَالذُّخُولِ فِي مِلَّتِهِ وَوِلَايَتِهِ. وَكَانَ عَلَى الْهِنْدِ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ مَلِكٌ
 ذُو سَطْوَةٍ وَبَأْسٍ وَقُوَّةٍ مِرَاسِي يُقَالُ لَهُ فُورٌ. فَلَمَّا بَلَغَهُ إِقْبَالُ ذِي الْقَرْنَيْنِ
 نَحْوَهُ تَأَهَّبَ لِمُجَارَبَتِهِ وَاسْتَعَدَّ لِمُجَادَاتِهِ وَضَمَّ إِلَيْهِ أَطْرَافَهُ وَجَدَّ التَّلَاقَ
 عَلَيْهِمْ وَجَمَعَ لَهُ الْعُدَّةَ فِي أَسْرَعِ مَدَّةٍ مِنَ الْفِيلَةِ الْمَعْدَةِ لِلْجُرُوبِ وَالسِّبَاعِ
 الْمَهْضَرَةِ لِلْوُثُوبِ مَعَ الْحَيُولِ الْمُسَرَّجَةِ وَالسُّيُوفِ الْقَوَاطِعِ وَالْأَنْجَرَابِ
 اللَّوَامِعِ.

فَلَمَّا قَرَّبَ ذُو الْقَرْنَيْنِ مِنْ فُورِ الْهِنْدِيِّ وَبَلَغَهُ مَا قَدْ أَعَدَّ لَهُ مِنَ
 الْأَنْجِلِ الَّتِي كَانَتْهَا قِطْعُ اللَّيْلِ مَا لَمْ يَلْقَهُ بِمِثْلِهِ أَحَدٌ مِنَ الْمُلُوكِ الَّذِينَ

كَانُوا فِي الْأَقَالِمِ . فَخَوَّفَ ذُو الْقَرْنَيْنِ مِنْ تَقْصِيرِ يَفْعَ بِهِ إِنْ عَجَلَ
الْمُبَارَزَةَ . وَكَانَ ذُو الْقَرْنَيْنِ رَجُلًا ذَا حِيلٍ وَمَكَايِدَ مَعَ حُسْنِ تَذْيِيرٍ وَتَجَرِبَةٍ
فَرَأَى أَعْمَالَ الْحِمْلَةِ وَالْتِمَهَلِ وَأَحْفَرَ خَنْدَقًا عَلَى عَسْكَرِهِ وَأَقَامَ بِمَكَانِهِ
لِاسْتِنْبَاطِ الْحِمْلَةِ وَالتَّذْيِيرِ فِي أَمْرِهِ وَكَفَّ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يُقَدِّمَ عَلَى الْإِنْفَاقِ
بِهِ . فَاسْتَدْعَى بِالْمُنْجِبِينَ وَأَمَرَهُمْ بِالْإِخْبَارِ لِيَوْمٍ مُوَافِقٍ تَكُونُ فِيهِ لَهُ سَعَادَةٌ
لِحَارَبَةِ مَلِكِ الْهِنْدِ وَالتَّصَرُّعِ عَلَيْهِ . فَاشْتَغَلُوا بِذَلِكَ وَكَانَ ذُو الْقَرْنَيْنِ
لَا يَمُرُّ بِمَدِينَةٍ إِلَّا أَخَذَ الصَّنَاعَ الشُّهُورِينَ مِنْ صُنَاعِهَا بِأَلْحَذِ مِنْ كُلِّ
صِنْفٍ . فَاتَّجَتْ لَهُ هَيْبَتُهُ وَدَلَّتْهُ فِطْنَتُهُ أَنْ يُقَدِّمَ إِلَى الصَّنَاعِ الَّذِينَ مَعَهُ أَنْ
يَصْنَعُوا خَبَلًا مِنْ نَحَاسٍ مُجَوَّقَةٍ عَلَيْهَا تَمَاثِيلُ مِنَ الرِّجَالِ عَلَى بَكْرِ تَجْرِي إِذَا
دُفِعَتْ مَرَّتَ سِرَاعًا . وَأَمَرَ إِذَا فَرَعُوا مِنْهَا أَنْ تُخَشَى أَجْوَاهُهَا بِالنَّفْطِ وَالْكَبْرِيتِ
وَتُلْبَسَ وَتُقَدَّمَ أَمَامَ الصَّفِّ فِي الْقَلْبِ . وَوَقْتُ مَا يَلْتَفِي الْجَمْعَانِ تَضَرَّمُ
فِيهَا النَّيْرَانُ . فَإِنَّ الْفِيلَةَ إِذَا لَفَتْ خَرَاطِمَهَا عَلَى الْفَرْسَانِ وَهِيَ حَامِيَةٌ وَلَتْ
هَارِبَةٌ . وَلَوْ عَزَّ إِلَى الصَّنَاعِ بِالتَّشْمِيرِ وَالْإِنْكَاسِ وَالْفَرَاغِ مِنْهَا . فَجَدُّوا فِي
ذَلِكَ وَعَجَّلُوا وَقُرْبَ أَبْضَاقِ الْخَبِيرِ الْمُنْجِبِينَ . فَأَعَادَ ذُو الْقَرْنَيْنِ
رُسُلَهُ إِلَى فُورٍ بِمَا يَدْعُوهُ إِلَيْهِ مِنْ طَاعِنِهِ وَالْإِدْعَابِ لِدَوْلَتِهِ . فَأَجَابَ
جَوَابَ مُصِرٍّ عَلَى مُحَالَفَتِهِ مُقِيمٍ عَلَى مُحَارَبَتِهِ . فَلَمَّا رَأَى ذُو الْقَرْنَيْنِ عَزِيمَتَهُ
سَارَ إِلَيْهِ بِأَهْبَتِهِ وَقَدَّمَ فُورَ الْفِيلَةِ أَمَامَهُ وَدَفَعَتْ الرِّجَالُ نِلَكَ الْحَبْلِ
وَتَمَاثِيلَ الْفَرْسَانِ فَأَقْبَلَتِ الْفِيلَةُ نَحْوَهَا وَلَفَتْ خَرَاطِمَهَا عَلَيْهَا . فَلَمَّا أَحْسَنَتْ
بِالْمُحَارَرَةِ لَفَتْ مَنْ كَانَ عَلَيْهَا وَدَاسَتْهُمْ تَحْتَ أَرْجُلِهَا وَضَعَتْ مَهْزُومَةً هَارِبَةً
لَا تُلْوِي عَلَى شَيْءٍ وَلَا تَمُرُّ بِأَحَدٍ إِلَّا وَطِئَتْهُ . وَتَقَطَّعَ فُورٌ وَجَعَهُ وَبَعَثَهُمْ

انْحَابُ الإسْكَدَرِ وَأَتَحْنُوا فِيهِمُ الْجَرَاحَ
وَصَاحَ الإسْكَدَرُ يَا بَلِيكَ الْهِنْدِ أَبْرَزِ الْبِنَا وَأَبْرِ عَلَى عُدَّتِكَ وَعِيَا لِكَ
وَلَا تَحْمِلْهُمْ إِلَى الْفَنَاءِ . فَإِنَّهُ نَسَرَ مِنَ الْمُرُوءَةِ أَنْ يَرْمِيَ الْمَلِكُ بَعْدَتِهِ فِي
أَهْلِكَ الْمُنَافَةِ وَالْمَوَاضِعِ الْخَفِيَّةِ بَلْ يَقِيمُهُمْ بِمَالِهِ وَيَدْفَعُ عَنْهُمْ بِنَفْسِهِ .
فَأَبْرَزَ إِلَيَّ وَدَعَ الْجَنْدَ فَأَتَيْنَا قَهْرَ صَاحِبِهِ فَهُوَ الْأَسْعَدُ : فَلَمَّا سَمِعَ فُورًا
مِنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ ذَلِكَ الْكَلَامَ دَعَتْهُ نَفْسُهُ لِمُلاَقَاتِهِ طَبْعًا فِيهِ وَظَنَ
ذَلِكَ فُرْصَةً . فَبَرَزَ إِلَيْهِ الإسْكَدَرُ فَجَادَلَا عَلَى ظَهْرَيْ فَرَسَيْهِمَا
سَاعَاتٍ مِنَ النَّهَارِ لَيْسَ بَلْفَى أَحَدُهُمَا مِنْ صَاحِبِهِ فُرْصَةً وَلَا حِيلَةَ وَلَمْ
يَزَلَا يَتَعَارَكَانِ . فَلَمَّا أَغْيَا الإسْكَدَرُ أَمْرُهُ فَلَمْ يَجِدْ لَهُ فُرْصَةً أَوْقَعَ
ذُو الْقَرْنَيْنِ بَعْسَكِرِهِ صَبْحَةً عَظِيمَةً ارْتَجَبَتْ لَهَا الْأَرْضُ وَالْعَسَاكِرُ .
فَأَلْفَتَ فُورٌ عِندَ مَا سَمِعَ الزَّعْفَةَ وَظَنَهَا مَكِيدَةً فِي عَسَاكِرِهِ فَعَاجَلَهُ ذُو
الْقَرْنَيْنِ بِضَرْبَةٍ أَمْلَأَتْهُ عَنْ سَرِّهِ فَوَقَعَ إِلَى الْأَرْضِ . فَلَمَّا رَأَتْ الْهِنْدُ
مَا نَزَلَ بِهِمْ وَمَا صَارَ إِلَيْهِ مَالِكُهُمْ حَمَلُوا عَلَى الإسْكَدَرِ فَقَاتَلُوهُ فَنَالُوا أَحْبَابًا
مَعَهُ الْمَوْتَ فَوَعَدَهُمْ مِنْ نَفْسِهِ الْإِحْسَانَ وَمَنَحَهُ اللَّهُ أَكْنَافَهُمْ . فَاسْتَوَلَى عَلَى
بِلَادِهِمْ وَمَلَكَ عَلَيْهِمْ رَجُلًا مِنْ ثِقَاتِهِ وَأَقَامَ بِالْهِنْدِ حَتَّى اسْتَوْثَقَ لَهُ مَا
أَرَادَ مِنْ أَمْرِهِمْ وَاتَّفَقَ كَلِمَتُهُمْ . ثُمَّ أَنْصَرَفَ عَنِ الْهِنْدِ وَخَلَّفَ ذَلِكَ
الرَّجُلَ عَلَيْهِمْ وَمَضَى مَتَوَجِّهًا نَحْوَ مَا قَصَدَ

فَلَمَّا بَعْدَ ذُو الْقَرْنَيْنِ عَنِ الْهِنْدِ بِمَجْبُوشِهِ تَغَيَّرَتِ الْهِنْدُ عَمَّا كَانُوا عَلَيْهِ مِنْ
طَاعَةِ الرَّجُلِ الَّذِي خَلَفَهُ عَلَيْهِمْ وَقَالُوا : لَا بَصُحَ لِلْسِّيَاسَةِ وَلَا تَرْضَى الْجَمَاعَةُ
لَا الْعَامَّةُ أَنْ يَمْلِكُوا عَلَيْهِمْ رَجُلًا لَيْسَ هُوَ مِنْهُمْ وَلَا مِنْ أَهْلِ بُلُوْتِهِمْ . فَإِنَّهُ

لَا يَزَالُ يَسْتَدِلُّهُمْ وَيَسْتَفِلُّهُمْ. وَاجْتَمَعُوا يُهْلِكُونَ عَلَيْهِمْ رَجُلًا مِنْ أَوْلَادِ
 مُلُوكِهِمْ فَهَلَكُوا عَلَيْهِمْ مَلِكًا يُقَالُ لَهُ دَبْشَلِيمُ وَخَلَعُوا الرَّجُلَ الَّذِي كَانَ
 خَلْفَهُ عَلَيْهِمُ الْإِسْكَندَرُ. فَلَمَّا اسْتَوْثِقَ لَهُ الْأَمْرُ وَاسْتَفَرَّ لَهُ الْمَلِكُ طَغَى
 وَبَغَى وَتَجَبَّرَ وَتَكَبَّرَ وَجَعَلَ يَغْزُو مَنْ حَوْلَهُ مِنَ الْمُلُوكِ. وَكَانَ مَعَ ذَلِكَ
 مُؤَيَّدًا مَظْفَرًا مَنصُورًا فَهَابَتْهُ الرَّعِيَّةُ. فَلَمَّا رَأَى مَا هُوَ عَلَيْهِ مِنَ الْمَلِكِ
 وَالسُّطُورَةِ عَيْتَ بِالرَّعِيَّةِ وَاسْتَصْغَرَ أَمْرَهُمْ وَأَسَاءَ السَّيَرَةَ فِيهِمْ وَكَانَ لَا يَرْتَقِي
 حَالَهُ إِلَّا أَزْدَادًا عُنُوا

فَمَكَتَ عَلَى ذَلِكَ بُرْهَةً مِنْ دَهْرٍ. وَكَانَ فِي زَمَانِهِ رَجُلٌ قَبِلَسُوفٌ مِنَ
 الْأَبْرَاهِمَةِ فَاضِلٌ حَكِيمٌ يَعْرِفُ بِفَضْلِهِ وَيُرْجَعُ فِي الْأُمُورِ إِلَى قَوْلِهِ. يُقَالُ لَهُ
 يَدْبَأُ. فَلَمَّا رَأَى الْمَلِكُ وَمَا هُوَ عَلَيْهِ مِنَ الظُّلْمِ لِلرَّعِيَّةِ فُكِّرَ فِي وَجْهِ الْحِجَلَةِ فِي
 صَرْفِهِ عَمَّا هُوَ عَلَيْهِ وَرَدَّهِ إِلَى اتِّخَافٍ وَالْعَدْلِ وَالْإِنصَافِ. فَجَمَعَ لِذَلِكَ
 تَلَامِيذَهُ وَقَالَ: أَنْتَعِلُونِ مَا أُرِيدُ أَنْ أَشَارِ رُكْمٌ فِيهِ. إِنْ عَلِمُوا أَنِّي أَطَلْتُ
 الْفِكْرَةَ فِي دَبْشَلِيمَ وَمَا هُوَ عَلَيْهِ مِنْ الْخُرُوجِ عَنِ الْعَدْلِ وَلُزُومِ الشَّرِّ
 وَرَدِّ السَّيَرَةِ وَسُوءِ الْعِشْرَةِ مَعَ الرَّعِيَّةِ وَنَحْنُ مَا نَرُوضُ أَنْفُسَنَا بِهَيْئَلِ هَذِهِ
 الْأُمُورِ إِذَا ظَهَرَتْ مِنَ الْمُلُوكِ إِلَّا لِنَرُدَّهُمْ إِلَى فِعْلِ الْخَيْرِ وَلُزُومِ الْعَدْلِ.
 وَمَتَى أَغْفَلْنَا ذَلِكَ وَأَهْمَلْنَا لَزِمْنَا مِنْ وَقُوعِ الْمَكْرُوهِ بِنَا وَبُلُوغِ الْخُذُورَاتِ
 إِلَيْنَا إِذَا كُنَّا فِي أَنْفُسِ الْجَهَالِ أَجْهَلَ مِنْهُمْ وَفِي الْعُيُونِ عِنْدَهُمْ أَقْلَ مِنْهُمْ.
 وَلَيْسَ الرَّأْيُ عِنْدِي الْخُلُوعُ عَنِ الْوَطَنِ وَلَا بَسْعُنَا فِي حِكْمَتِنَا بِقَائِهِ عَلَى مَا
 هُوَ عَلَيْهِ مِنْ سُوءِ السَّيَرَةِ وَفُجْحِ الطَّرِيقَةِ. وَلَا يُمَكِّنُنَا مُجَاهَدَتُهُ بِغَيْرِ السَّنَنِ
 لَوْ دَهَبْنَا إِلَى أَنْ نَسْتَعِينَ بِغَيْرِنَا لَمْ تَنْهَيْ لَنَا مَعَانِدَتُهُ وَإِنْ أَحْسَنَ مِنَّا

بِخَالَفَةِ وَإِنْكَارِنَا سُوءَ سِيرَتِهِ كَانَ فِي ذَلِكَ بَوَارُنَا. وَقَدْ تَعْلَمُونَ إِنِّ
مُجَاوِرَةَ السَّبْعِ وَالْكَلْبِ وَالْحَيَّةِ وَالنُّورِ عَلَى طَيْسِ الْوَطَنِ وَنَضَارَةِ الْعَيْشِ
لَعَذْرَاءُ النَّفْسِ. وَإِنَّ الْفَيْلَسُوفَ لَحَقِيقٌ أَنْ تَكُونَ هَيْمَتُهُ مَضْرُوفَةً إِلَى مَا يَحْصُنُ
بِهِ نَفْسَهُ مِنْ تَوَازُلِ الْمَكْرُوهِ وَلَوْ أَحْيَى الْخُذُورِ وَيَذْفَعُ الْخَوْفَ لِاسْتِغْلَابِ
الْخُبُوبِ. وَلَقَدْ كُنْتُ أَسْمَعُ أَنْ فَيْلَسُوفًا كَتَبَ لِلْهَيْدِ يَقُولُ: إِنِّ مُجَاوِرَةَ
رِجَالِ السُّوءِ وَالْمَصَاحِبَةِ لَمْ كَرَاكِبِ الْبَحْرِ هُوَ إِنْ سَلِمَ مِنَ الْغَرَقِ لَمْ يَسْلَمْ
مِنَ الْخَوَافِ: فَإِذَا أَوْرَدَ نَفْسَهُ مَوَارِدَ الْمَهْلِكَاتِ وَمَصَادِرَ الْخَوَافِ عُدَّ مِنَ
الْخَبِيرِ أَلَيْ لَا نَفْسَ لَهَا. لِأَنَّ الْخَيَوَانَاتِ الْبَهِيمِيَّةَ قَدْ خُصَّتْ فِي طَبَائِعِهَا
بِعَرَفَةِ مَا تَكْتَسِبُ بِهِ النِّفْعَ وَتَتَوَقَّى الْمَكْرُوهَ إِذْ ذَلِكَ لَمْ تَرَهَا تُورِدُ أَنْفُسَهَا
مَوْرِدًا فِيهِ هَلَكُومُهَا. وَإِنَّمَا مَتَى أَشْرَقَتْ عَلَى مَوْرِدٍ مُهْلِكٍ لَهَا مَالَتْ بِطَبَائِعِهَا
الَّتِي رُكِبَتْ فِيهَا شُحًّا بِأَنْفُسِهَا وَصِيَانَةً لَهَا إِلَى النُّفُورِ وَالتَّبَاعُدِ عَنْهُ
وَقَدْ جَمَعْتُمْ لِهَذَا الْأَمْرِ لِأَنَّكُمْ أَسْرَفْتُمْ فِي سِرِّي وَمَوْضِعُ مَعْرِفَتِي وَبِكُمْ
أَعْتَصِدُ وَعَلَيْكُمْ أَعْتِيدُ. فَإِنَّ الْوَحِيدَ بِنَفْسِهِ وَالْمُنْفَرِدَ بِرَأْيِهِ حَيْثُ كَانَ فَهُوَ
ضَائِعٌ وَلَا نَاصِرَ لَهُ. عَلَى أَنَّ الْعَاقِلَ قَدْ يَبْلُغُ بِحِيلَتِهِ مَا لَا يَبْلُغُ بِالْحُجْلِ وَالْجُنُودِ
وَالْمَثَلُ فِي ذَلِكَ. أَنَّ قُبْرَةَ أَخَذَتْ أُحْجِيَّةً وَبَاضَتْ فِيهَا عَلَى طَرِيقِ الْفِيلِ
وَكَانَ لِلْفِيلِ مَشْرَبٌ يَتَرَدَّدُ إِلَيْهِ. فَهَرَّ ذَاتَ يَوْمٍ عَلَى عَادَتِهِ لِيَرِدَ مَوْرِدَهُ
فَوَطِئَ عَشْرَ الْقُبْرِ وَهَشَّمَ بِيضَهَا وَقَتَلَ فِرَاحَهَا. فَلَمَّا نَظَرَتْ مَا سَاءَ مَا
عَلِمَتْ أَنَّ الَّذِي نَالَهَا مِنَ الْفِيلِ لَا مِنْ غَيْرِهِ. فَطَارَتْ فَوَقَعَتْ عَلَى رَأْسِهِ
بَاكِئَةً. ثُمَّ قَالَتْ: أَيُّهَا الْمَلِكُ. لِمَ هَشَّمْتَ بِيضِي وَقَتَلْتَ فِرَاحِي وَأَنَا فِي
جَوَارِكَ أَفَعَلْتَ هَذَا اسْتِصْغَارًا مِنْكَ لِأَمْرِي وَاحْتِفَارًا لِشَأْنِي قَالَ هُوَ

الَّذِي حَمَلَنِي عَلَى ذَلِكَ: فَتَرَكْنَهُ وَأَنْصَرَفْتُ إِلَى جَمَاعَةِ الطَّيْرِ فَشَكَتُ إِلَيْهَا
 مَا نَأَلَمَانِ الْفِيلُ. فَقَالَتْ لَهَا: وَمَا عَسَى أَنْ نَبْلُغَ مِنْهُ وَنَحْنُ طُيُورٌ. فَقَالَتْ
 لِلْعَقَاقِ وَالْغُرَبَانِ: أَحِبُّ مِنْكُمْ أَنْ تَصِرْنَ مَعِيَ وَتَفْتَانِ عَيْنَيْهِ فَإِنِّي أَخْتَالُ
 لَهُ بَعْدَ ذَلِكَ بِحِيلَةٍ أُخْرَى: فَأَجَابُوهَا إِلَى ذَلِكَ وَذَهَبُوا إِلَى الْفِيلِ فَلَمَزَ
 بَرَأُؤُا يُتَفَرُّونَ عَيْنَيْهِ حَتَّى ذَهَبُوا بِهَا وَتَبَيَّ لَا يَهْتَدِي إِلَى طَرِيقِ مَطْعَمِهِ
 وَمُفْرِغِهِ. فَلَمَّا عَلِمَتْ ذَلِكَ مِنْهُ جَاءَتْ إِلَى غَدِيرٍ فِيهِ ضَفَادِعٌ كَثِيرَةٌ فَشَكَتُ
 إِلَيْهَا مَا نَأَلَمَانِ الْفِيلُ. قَالَتْ الضَّفَادِعُ: مَا حِيلَتُنَا نَحْنُ فِي عِظَمِ الْفِيلِ
 وَأَنْتِ نَبْلُغُ مِنْهُ: قَالَتْ: أَحِبُّ مِنْكُمْ أَنْ تَسِيرُوا مَعِيَ إِلَى وَهْدَةٍ قَرِيبَةٍ مِنْهُ
 وَتَنِقُوا فِيهَا وَتَضْجُوا فَإِنَّهُ إِذَا سَمِعَ أَصْوَانَكُمْ لَمْ يَشُكَّ فِي الْمَاءِ فَيَهْوِي فِيهَا:
 فَأَجَابُوهَا إِلَى ذَلِكَ وَاجْتَمَعُوا فِي الْمَأْوِيَةِ. فَسَمِعَ الْفِيلُ نَفْيَ الضَّفَادِعِ
 وَقَدْ جَهَدَ الْعَطَشُ فَأَقْبَلَ حَتَّى وَقَعَ فِي الْوَهْدَةِ فَأَعْظَمَ فِيهَا وَجَعَاتٍ
 أَكْثَرَ زُرْفَرُفٍ عَلَى رَأْسِهِ وَقَالَتْ: أَيُّهَا الطَّاغِبُ الْمَغْتَرُّ بِقُوَّتِهِ الْخَفِيرِ
 لَا مَرِي كَيْفَ رَأَيْتَ عِظَمَ حِيلَتِي مَعَ صَغَرِ جُنَّتِي عِنْدَ عِظَمِ جُنَّتِكَ وَصَغَرِ

بِهَيْئَتِكَ

فَلْيُبَشِّرْ كُلُّ مِنْكُمْ بِمَا يَسُخُّ لَهُ مِنَ الرَّأْيِ: قَالُوا يَا جَمْعِمُ: أَيُّهَا الْفَيْلُ سَوْفَ
 أَلْفَاغِيلُ وَالْحَكِيمُ الْعَادِلُ أَنْتَ الْمُهْدَمُ فِينَا وَالْفَاضِلُ عَلَيْنَا وَمَا عَسَى أَنْ

١ بنال للضمدع والعرب والدجاجة والمرنق أسبه صلات ولا فعي فخ والارنب ضغب
 ولسنور ماة وكلب سيج ومختد رفيع واليث زمر والسبع جليل والمذب عوى والعلب
 ضبع والظي يغ والغرب نعب والازي صرصر والنسر صفر والحمام هدر والبط بقيق
 والصفر فقق والذباب ضن والعصفور ششقق والجمل هدر والفيل صاي والمغزير والشاء
 ثفت والجمل خار والنرس هبل والبعل شحج والعنوبنق

يَكُونُ مَبْلُغَ رَأْيِنَا عِنْدَ رَأْيِكَ وَفَهَمْنَا عِنْدَ فَهْمِكَ. غَيْرَ أَنَّا نَعْلَمُ أَنَّ السَّيَاحَةَ
 فِي الْمَاءِ مَعَ التَّيْسِاجِ تَغْرِيبٌ وَالذَّنْبُ فِيهِ لَمْ يَدْخُلْ عَلَيْهِ فِي مَوْضِعِهِ. وَالَّذِي
 يَسْتَخْرِجُ السَّمَّ مِنْ نَابِ الْحَيَّةِ فَيَبْتَلِعُهُ قَلْبُ الدَّنْبِ لِلْحَيَّةِ. وَمَنْ دَخَلَ عَلَى
 الْأَسَدِ فِي غَايَتِهِ لَمْ يَأْمَنْ وَثْبَتُهُ. وَهَذَا الْمَلِكُ لَمْ تَفْزَعْهُ النَّوَائِبُ وَلَمْ تُؤْذِبْهُ
 التَّجَارِبُ وَلَسْنَا نَأْمَنُ عَلَيْكَ وَعَلَى أَنْفُسِنَا سَطَوْتُهُ. وَإِنَّا نَخَافُ عَلَيْكَ مِنْ
 سَوَرَتِهِ وَمُبَادَرَتِهِ بِسُوءٍ إِذَا لَقِيْتَهُ بِغَيْرِ مَا يُحِبُّ: فَقَالَ الْحَكِيمُ يَدْبَابًا لَعَبْرِي
 لَقَدْ قُلْتُ فَأَحْسَنْتُمْ لَكِنَّ ذَا الرَّأْيِ الْخَازِمِ لَا يَدْعُ أَنْ يُشَاوِرَ مَنْ هُوَ دُونَهُ
 وَفَوْقَهُ فِي الْمَنْزِلَةِ. وَالرَّأْيُ الْفَرْدُ لَا يُكْتَفَى بِهِ فِي الْخَاصَّةِ وَلَا يَنْتَفَعُ بِهِ فِي
 الْعَامَّةِ. وَقَدْ صَحَّتْ عَزِيزَتِي عَلَى لِقَاءِ دَبْشَلِيمَ وَقَدْ سَمِعْتُ مِمَّا لَكُمْ وَتَبَيَّنَ لِي
 نَصِيحَتُكُمْ وَالْإِشْفَاقُ عَلَيَّ وَعَلَيْكُمْ. غَيْرَ أَنِّي قَدْ رَأَيْتُ رَأْيًا وَعَزَمْتُ عَزْمًا
 وَسَتَعْرِفُونَ حَدِيثِي عِنْدَ الْمَلِكِ وَمَجَاوِزِي إِبَاهُ. فَإِذَا انْصَلَ خُرُوجِي مِنْ
 عِنْدِهِ فَاجْتَمِعُوا إِلَيَّ: وَصَرَفْتُمْ وَهُمْ يَدْعُونَ لَهُ بِالسَّلَامَةِ

ثُمَّ إِنَّ يَدْبَابًا أَخْبَارَ يَوْمًا لِلدُّخُولِ عَلَى الْمَلِكِ حَتَّى إِذَا كَانَ ذَلِكَ الْوَقْتُ
 أَلْقَى عَلَيْهِ مِسْوحَهُ وَهِيَ لِبَاسُ الْبَرَاهِمَةِ وَقَصَدَ بَابَ الْمَلِكِ وَسَالَ صَاحِبَ
 إِذْنِهِ وَأَرْشَدَ إِلَيْهِ وَسَلَّمُ وَأَعْلَمَهُ وَقَالَ: إِنِّي رَجُلٌ قَصَدْتُ الْمَلِكَ فِي
 نَصِيحَةٍ فَدَخَلَ الْأَذِنُ عَلَى الْمَلِكِ فِي وَفْتِهِ وَقَالَ: بِالْبَابِ رَجُلٌ مِنَ الْبَرَاهِمَةِ
 يُقَالُ لَهُ يَدْبَابُ ذَكَرَ أَنَّ مَعَهُ لِلْمَلِكِ نَصِيحَةً: فَأَخِذْ لَهُ فَدَخَلَ وَوَقَفَ بَيْنَ
 يَدَيْهِ وَكَفَّرَ وَسَجَدَ لَهُ وَأَسْتَوَى فَأَمَّا وَسَكَتْ فَفَكَرَ دَبْشَلِيمُ فِي سُكُوتِهِ
 وَقَالَ: إِنَّ هَذَا لَمْ يَقْصِدْنَا إِلَّا لِأَمْرَيْنِ. إِمَّا أَنْ يَلْتَمِسَ مِنَّا شَيْئًا يُصْلِحُ بِهِ
 حَالَهُ. أَوْ لِأَمْرِ لِحَفَةِ فَلَمْ يَكُنْ لَهُ بِهِ طَاقَةٌ: ثُمَّ قَالَ: إِنْ كَانَ لِلْمُلُوكِ فَضْلٌ

فِي مَمْلَكَتِهَا فَإِنَّ لِلْحُكَمَاءِ فَضْلًا فِي حِكْمَتِهَا أَعْظَمَ . لِأَنَّ الْحُكَمَاءَ أَغْنِيَاءَ عَنِ
 الْمُلُوكِ بِالْعِلْمِ وَاتِّسَ الْمُلُوكُ بِأَغْنِيَاءَ عَنِ الْحُكَمَاءِ بِالْمَالِ . وَقَدْ وَجَدْتُ
 الْعِلْمَ وَالْحُجَّةَ الْفَيْنِ مُتَاكِفَيْنِ لَا يَفْتَرِقَانِ مَتَى فُقِدَ أَحَدُهُمَا لَمْ يَوْجَدْ الْآخَرُ
 كَالْمُتَصَافِيَيْنِ إِنْ دُيِمَ مِنْهُمَا أَحَدٌ لَمْ يَبْطُ صَاحِبُهُ نَفْسًا بِالْبَقَاءِ بَعْدَهُ
 تَأْسَفًا عَلَيْهِ . وَمَنْ لَمْ يَسْتَعِزَّ مِنَ الْحُكَمَاءِ وَيَكْرِمْهُمْ وَيَعْرِفَ فَضْلَهُمْ عَلَى غَيْرِهِمْ
 وَيَصْنَحَهُمْ عَنْ مَوَاقِفِ الْوَهْنَةِ وَيَنْزِلَهُمْ عَنِ الْمَوَاطِنِ الرَّذِيلَةِ كَانَتْ مِنْهُمْ
 حُرْمٌ عَقْلُهُ وَخَسَرٌ دُنْيَاهُ وَظَلَمَ الْحُكَمَاءَ حُقُوقَهُمْ وَعَدَّ مِنَ الْجَهَالِ . ثُمَّ رَفَعَ
 رَأْسَهُ إِلَى يَدِّبَا وَقَالَ لَهُ : نَظَرْتُ إِلَيْكَ يَا يَدِّبَا سَاكِنًا لَا تَعْرِضُ حَاجَتَكَ
 وَلَا تَذْكُرُ بَغْيَتَكَ فَقُلْتُ : إِنَّ الَّذِي أَسْكَنَهُ هَيْبَةُ سَوْرَتِهِ أَوْحَيْنَهُ أَذْرَكَتُهُ
 وَتَأَمَّلْتُ عِنْدَ ذَلِكَ مِنْ طُولِ وَقُوفِكَ وَقُلْتُ : لَمْ يَكُنْ لِيَدِّبَا أَنْ يَطْرُقَنَا
 عَلَى غَيْرِ عَادَةٍ إِلَّا لِأَمْرِ حَرَكَةٍ لِدَلِكِ فَإِنَّهُ مِنْ أَفْضَلِ أَهْلِ زَمَانِهِ قَهْلًا
 نَسَأَلُهُ عَنْ سَبَبِ دُخُولِهِ فَإِنْ يَكُنْ مِنْ ضَمِيمٍ نَالَهُ كُنْتُ أَوْلَى مَنْ أَخَذَ يَدَيْهِ
 وَسَارَعَ فِي تَشْرِيفِهِ وَتَقَدَّمَ فِي الْبُلُوغِ إِلَى مُرَادِهِ وَإِعْزَازِهِ . وَإِنْ كَانَتْ
 بُغْيَتُهُ غَرَضًا مِنْ أَغْرَاضِ الدُّنْيَا أَمَرْتُ بِإِرْضَائِهِ مِنْ ذَلِكَ فِيمَا أَحَبَّ وَإِنْ
 يَكُنْ مِنْ أَمْرِ الْمَلِكِ وَمِمَّا يَنْبَغِي لِلْمُلُوكِ أَنْ يَدْلُوهُ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَلَا يَنْقَادُوا
 إِلَيْهِ نَظَرْتُ فِي قَدْرِ عُنُوتِهِ . عَلَى أَنْ مِثْلَهُ لَمْ يَكُنْ لِيَحْتَرِي عَلَى إِدْخَالِ نَفْسِهِ
 فِي بَابِ مَسْئَلَةِ الْمُلُوكِ . وَإِنْ كَانَتْ شَيْءٌ مِنْ أُمُورِ الرِّعْيَةِ يُقْصَدُ فِيهِ إِلَى
 صَرْفِ عِنَايَتِي إِلَيْهِمْ نَظَرْتُ مَا هُوَ . فَإِنَّ الْحُكَمَاءَ لَا يُشِيرُونَ إِلَّا بِالْخَيْرِ
 وَالْجَهَالُ يُشِيرُونَ بِضَيْهِ وَأَنَا قَدْ فَهِمْتُ لَكَ بِالْكَلَامِ .
 فَلَمَّا سَمِعَ ذَلِكَ يَدِّبَا مِنَ الْمَلِكِ أَفْرَجَ عَنْهُ رَوْعَهُ وَسَرَى مَا كَانَ وَقَعَ فِي

نَفْسِهِ مِنْ خَوْفِهِ وَكَفَّرَ لَهُ وَسَجَدَ. ثُمَّ قَامَ بَيْنَ يَدَيْهِ وَقَالَ: **أَوَّلُ مَا أَقُولُ:**
 أَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى بَقَاءَ الْمَلِكِ عَلَى الْأَبَدِ وَدَوَامَ مُلْكِهِ عَلَى الْأَمَدِ. لِأَنَّهُ قَدْ
 مَنَحَنِي الْمَلِكُ فِي مَقَامِي هَذَا مَحَلًّا جَعَلَهُ شَرَفًا لِي عَلَى جَمِيعِ مَنْ بَعْدِي مِنَ
 الْعُلَمَاءِ. وَذَكَرًا بَأَفْيَا عَلَى الدَّهْرِ عِنْدَ الْحُكَمَاءِ. ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى الْمَلِكِ بِوَجْهِهِ
 مُسْتَبْشِرًا بِهِ فَرِحًا بِمَا بَدَأَ لَهُ مِنْهُ وَقَالَ: قَدْ عَطَفَ الْمَلِكُ عَلَيَّ بِكَرَمِهِ
 وَإِحْسَانِهِ وَالْأَمْرَ الَّذِي دَعَانِي إِلَى الدُّخُولِ عَلَى الْمَلِكِ وَحَمَلَنِي عَلَى الْخُطَاوَةِ
 لِكَلَامِهِ وَالْإِقْدَامَ إِلَى الْمَلِكِ نَصِيحَةً اخْتَصَصْتُ بِهَا دُونَ غَيْرِهِ وَسَبَّعُمُ
 مَنْ يَنْصِلُ بِهِ ذَلِكَ أَنِّي لَمْ أَقْصِرْ عَنْ غَايَةِ فِيمَا يَحِبُّ لِلْمَوْلَى عَلَى الْحُكَمَاءِ.
 فَإِنْ فَسَحَ فِي كَلَامِي وَوَعَاهُ عَنِّي فَهُوَ حَقِيقٌ بِذَلِكَ وَمَا يَرَاهُ. وَإِنْ هُوَ أَلْقَاهُ
 فَقَدْ بَلَغْتُ مَا يَلْزُمُنِي وَخَرَجْتُ مِنْ لَوْمٍ يَلْعَنُنِي. قَالَ الْمَلِكُ: يَا يَدْبَارُ تَكَلَّمْ
 مَهْمَا شِئْتَ فَإِنِّي مُضْغٌ إِلَيْكَ وَمُقْبِلٌ عَلَيْكَ وَسَامِعٌ مِنْكَ حَتَّى أَسْتَفْرِغَ مَا
 عِنْدَكَ إِلَى آخِرِهِ وَأَجَازِيكَ عَلَى ذَلِكَ يَمَا أَنْتَ أَهْلُهُ

قَالَ يَدْبَارُ: إِنَّ الْأُمُورَ الَّتِي اخْتَصَرْتُ بِهَا الْإِنْسَانَ مِنْ سَائِرِ الْحَيَوَانِ أَرْبَعَةٌ
 أَشْيَاءٌ وَهِيَ جَمَاعُ مَا فِي الْعَالَمِ وَنَحْيُ: الْحِكْمَةُ وَالْعِفَّةُ وَالْعَقْلُ وَالْعَدْلُ. وَالْإِيمَانُ
 وَالْأَدَبُ وَالرَّوِيَّةُ دَاخِلَةٌ فِي بَابِ الْحِكْمَةِ. وَالْحِلْمُ وَالصَّبْرُ وَالْوَقَارُ دَاخِلَةٌ
 فِي بَابِ الْعَقْلِ. وَالْحَيَاءُ وَالْكَرَمُ وَالصَّبَانَةُ وَالْأَنَفَةُ دَاخِلَةٌ فِي بَابِ الْعِفَّةِ.
 وَالصَّدْقُ وَالْإِحْسَانُ وَالْمُرَاقَبَةُ وَحُسْنُ التَّخَلُّقِ دَاخِلَةٌ فِي بَابِ الْعَدْلِ.
 وَهَذِهِ هِيَ الْحَاسِنُ وَأَصْدَادُهَا هِيَ الْمَسَاوِي فَمَنْ كَمَلَتْ هَذِهِ فِي وَاحِدٍ لَمْ
 يُخْرِجْهُ الزِّيَادَةُ فِي نِعْمَةٍ إِلَى سُوءِ النِّحْطِ مِنْ دُنْيَاهُ وَلَا إِلَى نَقْصٍ وَلَمْ يَتَأَسَّفْ
 عَلَى مَا لَمْ يُعِنِ التَّوْفِيقُ بِبِقَائِهِ وَلَمْ يُخْرِجْهُ مَا تَخْرِجِي بِهِ الْمَقَادِيرُ فِي مُلْكِهِ وَلَمْ

يَذْهَبُ عِنْدَ مَكْرُومٍ. فَأَلْحِكْمُهُ كَثْرَ لَا يَفْنَى عَلَى إِنْتَاقِي. وَدَخِيرُهُ لَا يُضْرَبُ
لَهَا بِإِلْمَاقِي وَحَلَّةٍ لَا تَخْلُقِي جِدَّتْهَا وَلَدَّةٌ لَا تُصْرَمُ مَدَّتْهَا وَلَيْنٌ كُنْتُ
عِنْدَ مُقَامِي بَيْنَ يَدَيِ الْمَلِكِ أَمْسَكْتُ عَنْ آيِدَائِهِ بِالْكَلَامِ. فَإِنْ ذَلِكَ
لَمْ يَكُنْ مِنِّي إِلَّا لِهَيْبَتِهِ وَاجْلَالِهِ. وَلَعَنِي إِنْ الْمُلُوكَ لِأَهْلٍ أَنْ يَهَابُوا
لَا سِيَّامَنْ هُوَ فِي الْمَنْزِلَةِ الَّتِي حَلَّ فِيهَا الْمَلِكُ عَنْ مَنَازِلِ الْمُلُوكِ قَبْلَهُ. وَقَدْ
قَالَتِ الْعُلَمَاءُ: أَلَزِمَ السُّكُوتَ فَإِنْ فِيهِ سَلَامَةٌ وَتَجَنَّبَ الْكَلَامَ الْفَارِغَ
فَإِنْ عَاقِبَتُهُ النَّدَامَةُ

وَحِكْمِي أَنْ أَرْبَعَةً مِنَ الْعُلَمَاءِ ضَمُّهُمْ مَجْلِسُ مَلِكٍ فَقَالَ لَهُمْ: لِيَتَكَلَّمُ كُلُّ
وَاحِدٍ بِكَلَامٍ يَكُونُ أَصْلًا لِلْأَدَبِ: فَقَالَ أَحَدُهُمْ: أَفْضَلُ خَلَّةِ الْعِلْمِ
السُّكُوتُ. وَقَالَ الْثَانِي: إِنْ مِنْ أَنْفَعِ الْأَشْيَاءِ لِلْإِنْسَانِ أَنْ يَعْرِفَ قَدْرَ
مَنْزِلَتِهِ مِنْ عَنَلِهِ. وَقَالَ الثَّالِثُ: أَنْفَعُ الْأَشْيَاءِ لِلْإِنْسَانِ أَنْ لَا يَتَكَلَّمَ بِهَا
لَا بَعْنِيهِ. قَالَ الرَّابِعُ: أَرْوَجُ الْأُمُورَ عَلَى الْإِنْسَانِ التَّسْلِيمُ لِلْمُقَادِيرِ: وَاجْتَمَعَ
فِي بَعْضِ الزَّمَانِ مُلُوكُ الْأَقَالِيمِ مِنَ الصِّينِ وَالْهِنْدِ وَفَارِسَ وَالرُّومِ وَقَالُوا:
يَنْبَغِي أَنْ يَتَكَلَّمَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَّا بِكَلِمَةٍ تُدَوِّنُ عَنْهُ عَلَى غَايِرِ الدَّهْرِ: قَالَ
مَلِكُ الصِّينِ: أَنَا عَلَى مَا لَمْ أَقُلْ أَقْدَرُ مِنِّي عَلَى رَدِّ مَا قُلْتُ: قَالَ مَلِكُ
الْهِنْدِ: عَجِبْتُ لِمَنْ يَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ فَإِنْ كَانَتْ لَهُ لَمْ تَنْفَعُهُ وَإِنْ كَانَتْ عَلَيْهِ
أَوْ نَفْتُهُ: قَالَ مَلِكُ فَارِسَ: أَنَا إِذَا تَكَلَّمْتُ بِالْكَلِمَةِ مَلَكَتْنِي وَإِذَا لَمْ أَتَكَلَّمْ
بِهَا مَلَكَهَا: قَالَ مَلِكُ الرُّومِ: مَا تَدِمْتُ عَلَى مَا لَمْ أَتَكَلَّمْ قَطُّ رَلَقْتُ يَدَيَّ
عَلَى مَا تَكَلَّمْتُ بِهِ كَثِيرًا. وَالسُّكُوتُ عِنْدَ الْمُلُوكِ أَحْسَنُ مِنَ الْهَذَرِ الَّذِي لَا
يَرْجِعُ مِنْهُ إِلَى نَفْعٍ وَأَفْضَلُ مَا بِهِ اسْتَظَلَ الْإِنْسَانُ لِسَانَهُ

غَيْرَ أَنَّ الْمَلِكَ أَطَالَ اللَّهُ مَدَّةَ لَهَا قَسَحَ لِي فِي الْكَلَامِ وَأَوْسَعَ لِي فِيهِ
 كَانَ أَوَّلِي مَا أَبْدَأُ بِهِ مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي هِيَ غَرَضِي أَنْ يَكُونَ نَتْمَةُ ذَلِكَ لَهُ
 دُونِي وَأَنَا أَخْتَصُّهُ بِالْفَائِذَةِ قَلِيلٍ عَلَى أَنَّ الْعُنْفَى هِيَ مَا أَفْصَدُ فِي كَلَامِي لَهُ
 وَأَمَّا نَفْعُهُ وَشَرُّهُ رَاجِعٌ إِلَيْهِ وَأَكُونُ أَنَا قَضَيْتُ فَرَضًا وَجَبَ عَلَيَّ فَأَقُولُ:
 أَيُّهَا الْمَلِكُ إِنَّكَ فِي مَنَازِلِ آبَائِكَ وَأَجْدَادِكَ مِنَ الْأَجْبَافِ الَّذِينَ أَسَّسُوا
 الْمُلْكَ قَبْلَكَ وَشَيَّدُوهُ دُونَكَ وَبَنَوْا الْقِلَاعَ وَالْحُصُونَ وَهَدُّوا الْيَلَادَةَ
 وَقَادُوا الْجَبُوشَ وَاسْتَجَاشُوا الْعَدَّةَ وَطَالَتْ لَهُمُ الْعِدَّةُ وَاسْتَكْتَرُوا مِنَ السِّلَاحِ
 وَالْكَرَاعِ وَعَاشُوا الدُّهُورَ فِي الْغَيْطَةِ وَالسُّرُورِ. فَلَمْ يَمْنَعْنِهِمْ ذَلِكَ مِنْ
 اكْتِسَابِ حَيْمَلِ الذِّكْرِ وَلَا قَطْعِهِمْ عَنِ ارْتِكَابِ الشُّكْرِ وَلَا اسْتِعْمَالِ
 الْإِحْسَانِ إِلَى مَنْ حَوَّلَهُ وَالْإِزْفَاقِ بَيْنَ وَلَوْهُ وَحُسْنِ السَّيْرِ فِيمَا نَقَلَدُوهُ
 بِمَعَ عَظَمِ مَا كَانُوا فِيهِ مِنْ غَرَفِ الْمُلْكِ وَسَكْرَةِ الْإِقْتِدَارِ

وَأَنَّكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ السَّعِيدُ جَدُّ الطَّالِعِ كَوَكَبُ سَعْدِ قَدَوْرٍ رَثَّ أَرْضُهُمْ
 وَدَبَّارُهُمْ وَأَمْوَالُهُمْ وَمَنَازِلُهُمْ الَّتِي كَانَتْ عُدَّتُهُمْ فَأَقَمْتَ فِيمَا حَوَّلْتَ مِنْ
 الْمُلْكِ وَوَرِثْتَ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْجُنُودِ. فَلَمْ تَنْمُ بِذَلِكَ بِحَقِّ مَا يَجِبُ
 عَلَيْكَ بَلْ طَغَيْتَ وَبَغَيْتَ وَعَنُوتَ وَعَلَوْتَ عَلَى الرَّعِيَّةِ وَأَسَأْتَ السَّيْرَةَ
 وَعَظَمْتَ مِنْكَ الْبَلِيَّةَ. وَكَانَ الْأَوَّلَى وَالْآخِرَةُ بِكَ أَنْ تَسْلُكَ سَبِيلَ
 أَسْلَافِكَ وَتَتَّبِعَ آثَارَ الْمُلُوكِ قَبْلَكَ وَتَنْفُوَ مُحَاسِنَ مَا أَبْقَوْهُ لَكَ وَتَقْلَعَ مَا
 عَارَهُ لَازِمُكَ وَتَشَبَّهُهُ وَافِيقَ عَلَيْكَ وَتُحْسِنَ النَّظَرَ بِرِعْيَتِكَ وَتَسْنُ لَهُمْ سُنَنَ
 الْخَيْرِ الَّتِي يَتَّبِعُونَ بِعَدَدِكَ ذِكْرُهُ وَبِعَقْبِكَ أَنْجَمُ فَحْرُهُ. وَيَكُونُ ذَلِكَ أَتْبَى
 عَلَى السَّلَامَةِ وَالدَّوَمِ عَلَى الْإِسْتِقَامَةِ. فَإِنَّ الْجَاهِلَ الْهَغَرَ مَنْ اسْتَعْمَلَ فِي

أُمُورِهِ الْبَطَرُ وَالْأَمْنِيَّةُ . وَالْحَازِمُ اللَّيْبُ مِنْ سَاسِ الْمَلِكِ بِالْمَدَارَةِ
وَالرَّفْقِ . فَأَنْظِرْ أَيُّهَا الْمَلِكُ مَا أَلْقَيْتُ إِلَيْكَ وَلَا يَنْقُلَنَّ ذَلِكَ عَلَيْكَ فَلَمْ
أَتَكَلَّمْ أَتَيْتُكَ غَرَضُ مُجَازِيْنِي وَلَا الْيَأْسَ مَعْرُوفٍ تُكَافِئُنِي فِيهِ وَلَكِنِّي أَتَيْتُكَ
نَاصِحًا مُشْفِقًا عَلَيْكَ

فَلَمَّا فَرَّغَ يَدْبَارًا مِنْ مَقَالَتِهِ وَقَضَى مُنَاصِحَةَ الْمَلِكِ أَرْعَبَ قَلْبَ الْمَلِكِ
فَمَا غَلِظَ لَهُ الْجَوَابَ أَسْنِصْغَارًا لِأَمْرِهِ وَقَالَ : لَقَدْ تَكَلَّمْتَ بِكَلَامٍ مَا كُنْتُ
أُظُنُّ أَنَّ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ مَمْلَكَتِي يَسْتَفِيئُنِي بِهِئِلِهِ وَلَا يُقْدِمُ عَلَى مَا أَقْدَمْتَ
عَلَيْهِ . فَكَيْفَ أَنْتَ مَعَ صِغَرِ شَأْنِكَ وَضَعْفِ بِنْتِكَ وَعَجْزِ قُوَّتِكَ . وَلَقَدْ
أَكْثَرْتَ إِعْجَازِي مِنْ إِفْدَالِكَ عَلَيَّ وَتَسْلُطِكَ بِلسَانِكَ فِيمَا جَاوَزْتَ فِيهِ
حَدَّكَ . وَمَا أَجِدُ شَيْئًا فِي تَأْدِيبِ غَيْرِكَ أَتْلُغُ مِنَ التَّنْكِيلِ بِكَ . فَذَلِكَ
عِبْرَةٌ وَمَوْعِظَةٌ لِمَنْ عِيسَاهُ أَنْ يَتْلُغُ وَيَرْوِمَ مَا رُمْتَ أَنْتَ مِنَ الْمُلُوكِ إِذَا
أَوْسَعُوا لَهُمْ فِي مَجَالِسِهِمْ : ثُمَّ أَمَرَ بِهِ أَنْ يُقْتَلَ وَيُصَلَّبَ . فَلَمَّا مَضَوْا بِهِ فِيمَا
أَمَرَ فَفَكَرَ فِيمَا أَمَرَ بِهِ فَأَحْجَمَ عَنْهُ . ثُمَّ أَمَرَ بِحَبْسِهِ وَتَقْيِيدِهِ

فَلَمَّا حُجِسَ أَنْفَذَ بِطَلَبِ تَلَامِيذَتِهِ وَمَنْ كَانَ يَخْتَبِعُ إِلَيْهِ فَهَرَبُوا فِي الْيَلَالِ
وَأَعْتَصَمُوا بِحُزَائِرِ الْحَارِ . فَهَكَذَا يَدْبَارُ فِي مَحْبِسِهِ أَيَّامًا لَا يَسْأَلُ الْمَلِكُ عَنْهُ
وَلَا يَلْتَفِتُ وَلَا يَحْجُرُ أَحَدٌ أَنْ يَذْكُرَهُ عِنْدَهُ . حَتَّى إِذَا كَانَ لَيْلَةً مِنَ اللَّيَالِي سَهَرَ
الْمَلِكُ سَهْرًا شَدِيدًا فَطَالَ سَهْرُهُ وَوَدَّ إِلَى الْفَلَكِ بَصَرُهُ وَتَفَكَّرَ فِي تَقَلُّكِ
الْفَلَكِ وَحَرَكَاتِ الْكَوَاكِبِ . فَأَغْرَقَ الْفِكْرَ فِيهِ فَسَلَكَ بِهِ إِلَى أَسْنِيبَاطِ شَيْءٍ
عَرَضَ لَهُ مِنْ أُمُورِ الْفَلَكِ وَالْأَسْئَلَةِ عَنْهُ . فَذَكَرَ عِنْدَ ذَلِكَ يَدْبَارًا وَتَفَكَّرَ
فِيمَا كَلَّمَهُ بِهِ فَأَرَعَوَى لِذَلِكَ فَقَالَ فِي نَفْسِهِ : لَقَدْ أَسَأْتُ فِيمَا صَنَعْتُ بِهِذَا

الْفَيْلَسُوفِ وَضَبَعْتُ وَاجِبَ حَقِّهِ وَحَمَلَنِي عَلَى ذَلِكَ سُرْعَةُ الْغَضَبِ . فَقَدْ
قَالَتْ الْحُكَمَاةُ : أَرْبَعَةٌ لَا يَنْبَغِي أَنْ تُكُونَ فِي الْمُلُوكِ . الْغَضَبُ فَإِنَّهُ أَجْدَرُ
الْأَشْيَاءِ مَقْتًا . وَالتَّجَلُّلُ فَإِنَّ صَاحِبَهُ لَيْسَ يَمَعْدُورٍ مَعَ ذَاتِ يَدِهِ . وَالتَّكْذِيبُ
فَإِنَّهُ لَيْسَ لِأَحَدٍ أَنْ يُجَاوِزَهُ . وَالرَّفَقُ فِي الْحَاوِرَةِ فَإِنَّ السَّفَنَةَ لَيْسَ مِنْ
شَأْنِهَا . وَإِنِّي أَنِّي إِلَيَّ رَجُلٌ نَصَحَ لِي وَلَمْ يَكُنْ بَلَاغًا فَعَامِلْتُهُ بِضِدِّ مَا يَسْتَحِقُّ
وَكَفَّأْتُهُ بِخِلَافِ مَا يَسْتَوْجِبُ . وَمَا كَانَ هَذَا جَزَاءَهُ مِنِّي بَلْ كَانَ الْوَاجِبُ
أَنْ أَسْمَعَ كَلَامَهُ وَأَنْقَادًا لِمَا يُشِيرُ بِهِ . ثُمَّ أَتَفَذَّ فِي سَاعَتِهِ مَنْ يَلْتَنِي بِهِ

فَلَمَّا مَثَلَ بَيْنَ يَدَيْهِ قَالَ لَهُ : يَا يَدْبَابَا أَلَيْسَ الَّذِي قَصَدْتَ إِلَى تَقْصِيرِ
هَيْبَتِي وَعِجْزَتِ رَأْيِي فِي سِيرَتِي بِمَا تَكَلَّمْتَ بِهِ أَنْفَا : فَقَالَ لَهُ يَدْبَابَا : أَيُّهَا الْمَلِكُ
الْمُنَاجِجُ الشَّيْقُ الصَّادِقُ الرَّفِيقُ إِنَّمَا نَبَأْتُكَ بِمَا فِيهِ صَلَاحٌ لَكَ وَلِرَعِيَّتِكَ
وَدَوَامُ مُلْكِكَ لَكَ : قَالَ لَهُ الْمَلِكُ : يَا يَدْبَابَا أَعِذْ عَلَيَّ كَلَامَكَ كُلَّهُ وَلَا تَدْعُ
مِنْهُ حَرْفًا إِلَّا جِئْتُ بِهِ : فَجَعَلَ يَدْبَابَا يَنْتَرُ كَلَامَهُ وَالْمَلِكُ مُضْغِرٌ إِلَيْهِ وَجَعَلَ
دَبْشَلِيمُ كُلَّ مَا سَمِعَ مِنْهُ شَيْئًا يَنْكُتُ الْأَرْضَ بِشَيْءٍ فِي يَدِهِ . ثُمَّ رَفَعَ طَرْفَهُ
إِلَى يَدْبَابَا وَأَمَرَهُ بِالْجُلُوسِ وَقَالَ لَهُ : يَا يَدْبَابَا إِنِّي قَدْ اسْتَعَذَبْتُ كَلَامَكَ
وَحَسَنَ مَوْقِعَهُ مِنْ قَلْبِي وَأَنَا نَاطِرٌ فِي الَّذِي أَشَرْتُ بِهِ وَعَامِلٌ بِهَا أَمْرًا :
ثُمَّ أَمَرَ بِتُوجِدِهِ فَخَلَّتْ وَالْتَمَى عَلَيْهِ مِنْ لِبَاسِهِ وَكَفَّاهُ . فَقَالَ يَدْبَابَا : أَيُّهَا
الْمَلِكُ إِنِّي فِي دُونِ مَا كَلَّمْتُكَ بِهِ بِهَيَاةٍ بِمِثْلِكَ : قَالَ : صَدَقْتَ أَيُّهَا الْحَكِيمُ
الْقَاضِلُ وَقَدْ وَلَيْتُكَ مِنْ مَحَلِّي هَذَا إِلَى جَمِيعِ أَقَاصِي مَمْلَكَتِي : فَقَالَ لَهُ :
أَيُّهَا الْمَلِكُ أَعْنِي مِنْ هَذَا الْأَمْرِ فَإِنِّي لَسْتُ مُضْطَرِعًا بِسُوءِهِ : فَأَعْنَاهُ
مِنْ ذَلِكَ . فَلَمَّا أَنْصَرَفَ عَلِمَ أَنَّ الَّذِي فَعَلَهُ لَيْسَ بِرَأْسِهِ فَبَعَثَ فَرْدَهُ .

وَقَالَ: إِنِّي فَكَّرْتُ فِي إِعْنَائِكَ فِيمَا عَرَضْتُ عَلَيْكَ فَوَجَدْتُهُ لَا يَقُومُ إِلَّا بِكَ وَلَا يَنْهَضُ بِهِ غَيْرُكَ وَلَا يَضْطَلِعُ بِهِ سِوَاكَ فَلَا تُخَالِفْنِي فِيهِ: فَأَجَابَهُ يَدْبَا إِلَى ذَلِكَ

وَكَانَ عَادَةً ذَلِكَ الزَّمَانِ إِذَا اسْتَكْبَرُوا وَزَبَرُوا أَنْ يُعْقِدُوا عَلَى رَأْسِهِ تَاجًا فِي أَهْلِ الْمَمْلَكَةِ وَيُطَافَ بِهِ فِي الْمَدِينَةِ. فَأَمَرَ الْمَلِكُ أَنْ يُنْعَلَ ذَلِكَ يَدْبَا. فَوُضِعَ التَّاجُ عَلَى رَأْسِهِ وَرَكِبَ فِي الْمَدِينَةِ وَرَجَعَ وَجَلَسَ يَجْلِسُ الْعَدْلُ وَالْإِنصَافُ بِأَخْذِ اللَّدْنِيِّ مِنَ الشَّرِيفِ وَيُسَاوِي بَيْنَ الْقَوِيِّ وَالضَّعِيفِ وَرَدَّ الْمَظَالِمَ وَوَضَعَ سُنَنَ الْعَدْلِ وَكَثَّرَ مِنَ الْعَطَاءِ وَالْبَذْلِ. وَاتَّصَلَ الْخَبَرُ بِتِلْكَ مَدِينَةِ قَجَاوُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَرَحِينَ بِمَا قَدَّرَ اللَّهُ مِنْ جَدِيدِ رَأْيِ الْمَلِكِ فِي يَدْبَا. وَشَكَرُوا اللَّهَ تَعَالَى عَلَى تَوْفِيقِ يَدْبَا فِي إِزَالَةِ دَبْشَلِيمَ عَمَّا كَانَ عَلَيْهِ مِنْ سُوءِ السَّيَرَةِ. وَاتَّخَذُوا ذَلِكَ الْيَوْمَ عِيدًا يُعِيدُونَ فِيهِ قَبْلَ ذَلِكَ الْيَوْمِ عِيدًا عِنْدَهُمْ فِي بِلَادِ الْهِنْدِ

ثُمَّ إِنَّ يَدْبَا لَهَا خَلَا فِكْرَهُ مِنْ أَشْتِغَالِهِ بِدَبْشَلِيمَ تَفَرَّغَ لَوْضَعِ كُتُبِ السِّيَاسَةِ وَنَشِطَ لَهَا. فَعَمِلَ كُتُبًا كَثِيرَةً فِيهَا مِنْ دَفِينِ الْحِجَلِ وَمَضَى الْمَلِكُ عَلَى مَا رَسَمَ لَهُ يَدْبَا مِنْ حُسْنِ السَّيَرَةِ وَالْعَدْلِ فِي الرِّعْيَةِ. فَرَغِبَتْ إِلَيْهِ الْمُلُوكُ الَّذِينَ كَانُوا فِي نَوَاجِيهِ وَانْقَادَتْ إِلَيْهِ الْأُمُورُ عَلَى اسْتِوَائِهَا وَفَرَحَتْ بِهِ رَعِيَّتُهُ وَأَهْلُ مَمْلَكَتِهِ. ثُمَّ إِنَّ يَدْبَا جَمَعَ تِلَامِيذَهُ وَأَحْسَنَ صِلَتَهُمْ وَوَعَدَهُمْ وَعَدًا حَسِيلًا وَقَالَ لَهُمْ: لَسْتُ أَشْكُ أَنَّهُ وَقَعَ فِي نَفْسِكُمْ وَقْتُ دُخُولِي عَلَى الْمَلِكِ أَنْ قُلْتُمْ إِنَّ يَدْبَا قَدْ ضَاعَتْ حِكْمَتُهُ وَبَطَلَتْ فِكْرَتُهُ أَوْ عَرَمَ عَلَى الدُّخُولِ عَلَى هَذَا الْجَبَّارِ وَالطَّاغِي. فَقَدْ عَلِمْتُمْ نَتِيجَةَ رَأْيِي وَصِحَّةَ

فَكِرِي وَأَيُّ لَمْ آتِهِ جَهْلًا بِهِ لِأَنِّي كُنْتُ أَسْمَعُ مِنَ الْحُكَمَاءِ قَبْلِي قَوْلُ: إِنْ
الْمُلُوكَ لَهَا سَكْرَةٌ وَكَذَلِكَ الشَّبَابُ: فَالْمُلُوكَ لَا تَقِفُ مِنَ السَّكْرَةِ إِلَّا
يَسْوَاعِظُ الْعُلَمَاءِ وَأَدَبِ الْحُكَمَاءِ. وَالْوَاجِبُ عَلَى الْمُلُوكِ أَنْ يَتَعَظُّوا
بِسْوَاعِظِ الْعُلَمَاءِ. وَالْوَاجِبُ عَلَى الْعُلَمَاءِ تَقْوِيمُ الْمُلُوكِ بِالسِّنِّهَا وَتَأْدِيبُهَا
بِحِكْمِهَا وَإِظْهَارُ الْحُجَّةِ الْبَيِّنَةِ اللَّازِمَةِ لَمْ يَزِدْ تَدْعُو عَامًّا ثُمَّ عَلَيْهِ مِنَ الْإِعْوَاجِ
وَالْخُرُوجِ عَنِ الْعَدْلِ. فَوَجَدْتُ مَا قَالَتِ الْعُلَمَاءُ قَرْضًا وَاجِبًا عَلَى الْحُكَمَاءِ
لِلْمُلُوكِمْ لِيُوفِظُوهُمْ مِنْ سِنَةِ سَكْرَتِهِمْ كَالطَّيِّبِ الذَّيْبِ يَجِبُ عَلَيْهِ فِي
صِنَاعَتِهِ حِفْظُ الْأَجْسَادِ عَلَى صِحَّتِهَا أَوْ رَدُّهَا إِلَى الصِّحَّةِ. فَكَرِهْتُ أَنْ يَمُوتَ
أَوْ أَمُوتَ وَلَا يَتَقَى عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ يَقُولُ: إِنَّهُ كَانَ يَدْبَأُ الْفَيْلُوسُوفُ فِي
زَمَانِ دَبْشَلِيمِ الطَّلَاحِيِّ فَلَمْ يَرُدَّهُ عَمَّا كَانَ عَلَيْهِ. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ إِنَّهُ لَمْ يَنْكُتْهُ
كَلَامُهُ خَوْفًا عَلَى نَفْسِهِ فَالْهَرَبُ مِنْهُ وَمِنْ جَوَارِهِ وَالْإِنْزِعَاجُ عَنِ الْوَلَعِ
شَدِيدٌ. قَرَأْتُ أَنْ أَجُودَ بِحَبَاتِي فَأَكُونَ قَدْ أَتَيْتُ بَيْنِي وَبَيْنَ الْحُكَمَاءِ
بَعْدِي عُذْرًا فَحَمَلْتُهَا عَلَى التَّغْرِيبِ وَالظَّنِّ بِمَا أُرِيدُ. وَكَانَ مِنْ ذَلِكَ مَا
أَنْتُمْ مُعَايِنُوهُ. فَإِنَّهُ يُقَالُ فِي بَعْضِ الْأَمْثَالِ: إِنَّهُ لَمْ يَلْغُ أَحَدٌ مَرْتَبَةً إِلَّا
بِأَحَدِي ثَلَاثٍ. إِمَّا بِمَشَقَّةٍ تَنَالُهُ فِي نَفْسِهِ وَإِمَّا بِوَضْعَةٍ فِي مَالِهِ أَوْ وَكْسٍ
فِي دِينِهِ: مَنْ لَمْ يَرْكَبِ الْأَهْوَالَ لَمْ يَنْلِ الرِّغَائِبَ. وَإِنَّ الْمَلِكَ دَبْشَلِيمَ قَدْ
بَسَطَ لِسَانِي فِي أَنْ أَضَعَ كِتَابًا فِيهِ مِنْ ضُرُوبِ الْحِكْمَةِ. فَلْيَضَعْ كُلُّ وَاحِدٍ
مِنْكُمْ فِي أَيِّ فَنٍّ شَاءَ وَلْيَعْرِضْهُ عَلَيَّ لِأَنْظُرَ مِقْدَارَ عَقْلِهِ وَأَنْتَ بَلَغَ مِنْ
الْحِكْمَةِ فَمَهْمُ: فَالْوَا: أَيُّهَا الْحَكِيمُ الْفَاضِلُ وَاللَّيِّبُ الْعَاقِلُ وَالَّذِي وَعَبَ
لَكَ مَا مَنَحَكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَالْعَقْلِ وَالْأَدَبِ وَالْفَضِيلَةِ مَا خَطَرَ هَذَا

يَقُولُونَ بِنَا قَطُّ وَأَنْتَ رَئِيسُنَا وَفَاضِلُنَا وَعَلَىٰ بَدِكَ أَنْتَعَشْنَا وَلَكِنْ سَجَّهَدُ
أَنْفُسَنَا فِيمَا أَمَرْتَ

وَمَكَتَ الْمَلِكُ عَلَىٰ ذَلِكَ مِنْ حُسْنِ السَّيْرِ زَمَانًا يَتَوَلَّىٰ ذَلِكَ لَهُ يَدَبًا
وَيَقُومُ بِهِ . ثُمَّ إِنَّ الْمَلِكَ دَبَّشِيمَ لَهَا اسْتَفَرَّ لَهُ الْمَلِكُ وَسَفَطَ عَنْهُ النَّظَرُ
فِي أُمُورِ الْأَعْدَاءِ بِهَا قَدْ كَفَاهُ ذَلِكَ يَدَبًا صَرَفَ هِمَّتَهُ إِلَى النَّظَرِ فِي
الْكِتَابِ الَّتِي وَضَعَهَا فَلَا سِفَةَ الْهِنْدِ لِأَبَائِهِ وَأَجْدَادِهِ . فَوَقَعَ فِي نَفْسِهِ أَنْ
يَكُونَ لَهُ أَيْضًا كِتَابٌ مَشْرُوحٌ يَنْسَبُ إِلَيْهِ تَذَكُّرُ فِيهِ أَيَّامُهُ كَمَا ذَكَرَ آبَاؤُهُ
وَأَجْدَادُهُ مِنْ قَبْلِهِ . فَلَمَّا عَزَمَ عَلَىٰ ذَلِكَ عَلِمَ أَنَّهُ لَا يَقُومُ بِذَلِكَ إِلَّا بِدَبَّيَا
فَدَعَاهُ وَخَلَا بِهِ وَقَالَ لَهُ : يَا يَدَبَا إِنَّكَ حَكِيمُ الْهِنْدِ وَقِيلَسُوفُهَا وَإِنِّي فَكَّرْتُ
وَتَنَظَّرْتُ فِي خَزَائِنِ الْحِكْمَةِ الَّتِي كَانَتْ لِلْمُلُوكِ قَبْلِي فَلَمْ أَرِ فِيهِمْ أَحَدًا إِلَّا
وَقَدْ وَضَعَ كِتَابًا يَذْكُرُ فِيهِ أَيَّامَهُ وَسِيرَتَهُ وَيُنَبِّئُ عَنْ أَدَبِهِ وَأَهْلٍ مَمْلُوكِيهِ .
فَبَيْنَمَا وَضَعَهُ الْمُلُوكُ لَا أَنْفُسَهَا وَذَلِكَ لِفَضْلِ حِكْمَةٍ فِيهَا . وَمِنْهُ مَا وَضَعْتَهُ
حُكْمًا وَهَذَا . وَأَخَافُ أَنْ يَلْحَقَنِي مَا لِحَقَ أَوْلِيكَ مِمَّا لَا جِلَّةَ لِي فِيهِ وَلَا يُوجَدُ فِي
خَزَائِنِي كِتَابٌ أَذْكُرُ فِيهِ بَعْدِي وَأُنْسَبُ إِلَيْهِ كَمَا ذَكَرْتُ مِنْ كَانَ قَبْلِي يَكْتُبُهُمْ .
وَقَدْ أَحْبَبْتُ أَنْ تَضَعَ لِي كِتَابًا يَلِيعًا تَسْتَفْرِغُ فِيهِ عَقْلَكَ . يَكُونُ ظَاهِرُ
سِيَاسَةِ الْعَامَّةِ وَتَأْدِيبِهَا وَبَاطِنُهُ أَخْلَاقُ الْمُلُوكِ وَسِيَاسَتُهَا لِلرَّعِيَّةِ عَلَى طَاعَةِ
الْمَلِكِ وَخِدْمَتِهِ فَيَسْقُطَ بِذَلِكَ عَنِّي وَعَنْهُمْ مَا تَخَاجُ إِلَيْهِ فِي مُعَانَاةِ الْمَلِكِ .
وَأُرِيدُ أَنْ يُنَبِّئَ لِي هَذَا الْكِتَابُ بَعْدِي ذِكْرًا عَلَى غَايِرِ الدُّهُورِ

فَلَمَّا سَمِعَ يَدَبَا كَلَامَهُ خَرَّ لَهُ سَاجِدًا وَرَفَعَ رَأْسَهُ وَقَالَ : أَيُّهَا الْمَلِكُ
السَّعِيدُ جَدُّ عَلَانَجْمِكَ وَغَابَ نَحْسُكَ وَدَامَتْ أَيَّامُكَ . إِنَّ الَّذِي قَدْ

طَبَعَ عَلَيْهِ الْمَلِكُ مِنْ جُودَةِ الْفَرِيحَةِ وَوُفُورِ الْعَقْلِ حَرَكَةً لِعَالِي الْأُمُورِ
وَسَمَتْ بِهِ نَفْسُهُ وَهَمَّتْهُ إِلَى أَشْرَفِ الرَّرَائِبِ مَنَزَلَةً وَأَبْعَدَهَا غَايَةً . وَأَدَامَ
اللَّهُ سَعَادَةَ الْمَلِكِ وَأَعَانَهُ عَلَى مَا عَزَمَ مِنْ ذَلِكَ وَأَعَانَنِي عَلَى بُلُوغِ مُرَادِهِ .
فَلَبَّائِ الْمَلِكُ بِمَا شَاءَ مِنْ ذَلِكَ فَإِنِّي صَائِرٌ إِلَى غَرَضِهِ مُجْتَهِدٌ فِيهِ بِرَأْيِي :
قَالَ لَهُ الْمَلِكُ : يَا يَدْبَاهُ لَمْ تَزَلْ مَوْصُوفًا بِحَسَنِ الرَّأْيِ وَطَاعَةِ الْمُلُوكِ فِي
أُمُورِهِمْ . وَقَدْ أَخْبَرْتُ مِنْكَ ذَلِكَ وَأَخْبَرْتُ أَنَّ تَضَعُ هَذَا الْكِتَابَ
وَتُعْبِلُ فِيهِ فِكْرَكَ وَتُجْهَدُ فِيهِ نَفْسَكَ بِغَايَةٍ مَا تَجِدُ إِلَيْهِ السَّبِيلَ . وَلَكِنْ
مُشْتَبِهًا عَلَى اتِّخَاذِ الْهَزْلِ وَاللَّهْوِ وَالْحِكْمَةِ وَالْفَلَسَفَةِ : فَكَفَّرَ لَهُ يَدْبَاهُ وَجَدَّ
وَقَالَ : قَدْ أَحْبَبْتُ الْمَلِكُ أَدَامَ اللَّهُ أَيَّامَهُ إِلَى مَا أَمَرَنِي بِهِ وَقَدْ جَعَلْتُ بَيْنِي
وَبَيْنَهُ أَجَلًا : قَالَ : وَكَمْ هُوَ الْأَجَلُ : قَالَ : سَنَةٌ : قَالَ : قَدْ أَجَلْتُكَ : وَأَمَرَ لَهُ
بِجَائِزِهِ سِنِيَّةٍ تُعِينُهُ عَلَى عَمَلِ الْكِتَابِ

فَبَقِيَ يَدْبَاهُ مُفَكِّرًا فِي الْآخِذِ فِيهِ وَفِي أَيِّ صُورَةٍ يَتَنَبَّهُ فِيهِ وَفِي وَضْعِهِ .
ثُمَّ إِنَّ يَدْبَاهُ جَمَعَ تَلَامِيذَهُ وَقَالَ لَهُمْ : إِنَّ الْمَلِكَ قَدْ نَدَبَنِي لِأَمْرِ فِيهِ فَخَرَبَ
وَفَخَّرَكُمْ وَفَخَّرَ بِلَادَكُمْ وَقَدْ جَمَعْتُكُمْ لِهَذَا الْأَمْرِ : ثُمَّ وَصَفَ لَهُمْ مَا سَأَلَ الْمَلِكُ
مِنْ أَمْرِ الْكِتَابِ وَالْفَرَضِ الَّذِي قَصَدَ فِيهِ فَلَمْ يَبْقَ لَهُ الْفِكْرُ فِيهِ . فَلَمَّا لَمْ
يَجِدْ عِنْدَهُمْ مَا يُرِيدُ فَفَكَرَ بِفَضْلِ حِكْمَتِهِ وَعَلِمَ أَنَّ ذَلِكَ أَمْرٌ يَتِمُّ بِاسْتِغْرَافِ
الْعَقْلِ وَأَعْمَالِ الْفِكْرِ وَقَالَ : أَرَى السَّفِينَةَ لَا تَجْرِي فِي الْبَحْرِ إِلَّا بِالْمَلَّاحِينَ
لِأَنَّهُمْ يُعَدُّونَهَا نَائِمًا تَسْكُ الْجَلَّةُ يَهْدِي بِرَّهَا الَّذِي تَقَرَّدُ بِأَمْرِهَا . وَمَتَى
شُحِنَتْ بِالرُّكَّابِ الْكَثِيرِينَ وَكَثُرَ مَلَا حَوْهَا لَمْ يُؤْمَنْ عَلَيْهَا مِنَ الْغَرَقِ : وَلَمْ
يَزَلْ يُفَكِّرُ فِيمَا يَعْمَلُهُ : بَابُ الْكِتَابِ حَتَّى وَضَعَهُ عَلَى الْإِنْفِرَادِ بِنَفْسِهِ مَعَ

رَجُلٍ مِنْ تَلَامِيذِهِ كَانَ يَتَّقِي بِهِ فَنَحَلَهُ بِهِ مُنْفَرِدًا بَعْدَ أَنْ أَعَدَّ مِنَ الْوَرَقِ
الَّذِي تَكْتُبُ الْهِنْدُ فِيهِ شَيْئًا وَمِنْ الْقَوَاتِ مَا يَقُومُ بِهِ هُوَ وَتَلِيذُهُ نِلَكَ
الْهِنْدُ. وَجَلَسَا فِي مَقْصُورَةٍ وَرَدَّا عَلَيْهِمَا الْبَابَ. ثُمَّ بَدَأَ فِي نَظْمِ الْكِتَابِ
وَتَصْنِيفِهِ وَلَمْ يَزَلْ هُوَ يُبْنِي وَتَلِيذُهُ يَكْتُبُ وَيَرْجِعُ هُوَ فِيهِ حَتَّى اسْتَفَرَّ
الْكِتَابُ عَلَى غَايَةِ الْإِتْقَانِ وَالْإِحْكَامِ. وَرَتَّبَ فِيهِ أَرْبَعَةَ عَشَرَ بَابًا كُلُّ
بَابٍ مِنْهَا قَائِمٌ بِنَفْسِهِ وَفِي كُلِّ بَابٍ مَسْئَلَةٌ وَالْجَوَابُ عَنْهَا لِيَكُونَ لِمَنْ
نَظَرَ فِيهِ حَظٌّ. وَضَمَّنَ نِلَكَ الْأَبْوَابَ كِتَابًا وَاحِدًا وَسَمَّاهُ كِتَابَ كَلِيلَةِ
وَدِمْنَةٍ. ثُمَّ جَعَلَ كَلَامَهُ عَلَى أَلْسِنِ الْبَهَائِمِ وَالسَّبَاعِ وَالطَّيْرِ لِيَكُونَ
ظَاهِرُهُ لِهَوَا الْخَوَاصِّ وَالْعَوَامِّ وَبَاطِنُهُ رِيَاضَةً لِعُقُولِ الْخَاصَّةِ. وَضَمَّنَهُ أَيْضًا
مَا يَخْتِاجُ إِلَيْهِ الْإِنْسَانُ مِنْ سِيَاسَةِ نَفْسِهِ وَأَهْلِهِ وَخَاصَّتِهِ بِحُضْرِهِ عَلَى
حُسْنِ طَاعَتِهِ لِلْمُلُوكِ وَتَحْنُنِهِ مَا تَكُونُ مُجَانِبَتُهُ خَيْرًا لَهُ. ثُمَّ جَعَلَهُ بَاطِنًا
وَزَاهِرًا كَرَسَمِ سَائِرِ الْكُتُبِ الَّتِي يَرَسُمُ الْحِكْمَةُ. فَصَارَ الْحَيَوَانُ هَوَا وَمَا
يَنْطِقُ بِهِ حِكْمًا وَآدَبًا. فَلَمَّا أَتَبَدَأَ يَتَدَبَّأُ بِذَلِكَ جَعَلَ أَوَّلَ الْكِتَابِ
وَصَفَ الصَّادِقِينَ وَكَيْفَ يَكُونُ صَدِيقَانِ وَكَيْفَ تُقَطَّعُ الْمَوَدَّةُ بَيْنَهُمَا بِحِيلَةِ ذِي
النَّمِيصَةِ. وَأَمَرَ تَلِيذَهُ أَنْ يَكْتُبَ عَلَى لِسَانِ يَتَدَبَّأُ بِمِثْلِ مَا كَانَ الْمَلِكُ شَارِطَهُ
فِي أَنْ يَجْعَلَهُ هَوَا وَحِكْمَةً. فَذَكَرَ يَتَدَبَّأُ أَنَّ الْحِكْمَةَ مَتَى دَخَلَهَا كَلَامُ
النَّمَلَةِ أَفْسَدَهَا وَاسْتَجْهَلَ حِكْمَتَهَا. فَلَمْ يَزَلْ هُوَ وَتَلِيذُهُ يَعْمَلَانِ الْفِكْرَ فِيمَا
سَأَلَهُ الْمَلِكُ حَتَّى فَتَقَ لُهُمَا الْعَقْلُ أَنْ يَكُونَ كَلَامُهُمَا عَلَى لِسَانِ بَهِيمَتَيْنِ
فَوَقَعَ لُهُمَا مَوْضِعُ اللَّهِ وَالْهَزْلُ بِكَلَامِ الْبَهَائِمِ وَكَانَتِ الْحِكْمَةُ مَا نَطَقَا بِهِ.
فَاصْغَتْ الْحِكْمَةُ إِلَى حِكْمَتِهِ وَتَرَكَوا الْبَهَائِمَ وَاللَّهُوَ وَعَلِمُوا أَنَّهَا السَّبَبُ فِي

الَّذِي وَضَعَ لَمْ. وَمَا لَ إِلَيْهِ الْجَهْلُ عَجَبًا مِنْ مُحَاوَرَةِ بَهِيمَتَيْنِ وَلَمْ يَشْكُوا
فِي ذَلِكَ وَاتَّخَذُوهُ لَهْوًا وَتَرَكَوْا مَعْنَى الْكَلَامِ أَنْ يَفْهَمُوهُ وَلَمْ يَعْلَمُوا الْغَرَضَ
الَّذِي وَضَعَ لَهُ. لِأَنَّ الْفَيْلَسُوفَ إِنَّمَا كَانَ غَرَضُهُ فِي الْبَابِ الْأَوَّلِ أَنْ يُخْبِرَ
عَنْ تَوَاصُلِ الْإِخْوَانِ كَيْفَ تَتَأَكَّدُ الْمَوَدَّةُ بَيْنَهُمْ عَلَى التَّعَظُّظِ مِنْ أَهْلِ
السَّعَايَةِ وَالْخَرُزْرِ مِمَّنْ يُوقِعُ الْعَدَاوَةَ بَيْنَ الْمُتَحَايِينَ لِيُجْرِيَ بِذَلِكَ نَفْعًا
إِلَى نَفْسِهِ

فَلَمْ يَزَلْ يَدْبَا وَيَلْبِيهُ فِي الْمَقْصُورَةِ حَتَّى اسْتَسَمَّ عَمَلُ الْكِتَابِ فِي
مُدَّةٍ سَنَةٍ. فَلَمَّا نَمَّ الْحَوْلُ أَنْفَذَ إِلَيْهِ الْمَلِكُ: أَنْ قَدْ جَاءَ الْوَعْدُ فَأَذَا
صَنَعْتَ: فَأَنْفَذَ إِلَيْهِ يَدْبَا: إِنِّي عَلَى مَا وَعَدْتُ الْمَلِكُ فَلْيَأْمُرْنِي بِمَجْلِيهِ بَعْدَ أَنْ
يَجْمَعَ أَهْلُ الْمَمْلَكَةِ لِنُكُوتِ قِرَاءَتِي هَذَا الْكِتَابَ بِحَضْرَتِهِمْ: فَلَمَّا رَجَعَ
الرَّسُولُ إِلَى الْمَلِكِ سُرَّ بِذَلِكَ وَوَعَدَ يَوْمًا يَجْمَعُ فِيهِ أَهْلَ الْمَمْلَكَةِ.
ثُمَّ نَاقَشَهُ فِي أَقَاصِي بِلَادِ الْهِنْدِ لِيَحْضُرُوا قِرَاءَةَ الْكِتَابِ. فَلَمَّا كَانَ
ذَلِكَ الْيَوْمَ أَمَرَ الْمَلِكُ أَنْ يُنْصَبَ لِيَدْبَا سَرِيذٌ مِثْلُ سَرِيهِ وَكَرَاسِيٌّ
لِأَبْنَاءِ الْمُلُوكِ وَالْعُلَمَاءِ وَأَنْفَذَ فَأَحْضَرُ. فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَامَ فَلَيْسَ
الْقِيَابَ الَّتِي كَانَ يَلْبِسُهَا إِذَا دَخَلَ عَلَى الْمُلُوكِ وَفِي الْمُسُوحِ السُّودِ وَحَمَلَ
الْكِتَابَ يَلْبِيهَ. فَلَمَّا دَخَلَ عَلَى الْمَلِكِ وَتَبَّ الْخَلَائِقُ بِاجْتِمَاعِهِمْ وَقَامَ الْمَلِكُ
شَاكِراً. فَلَمَّا قَرُبَ مِنَ الْمَلِكِ كَفَّرَ لَهُ وَسَجَدَ وَلَمْ يَرْفَعْ رَأْسَهُ. قَالَ لَهُ الْمَلِكُ:
يَا يَدْبَا أَرْفَعْ رَأْسَكَ فَإِنَّ هَذَا يَوْمٌ هَنَاءٌ وَفَرَحٍ وَسُرُورٍ: وَأَمَرَهُ أَنْ يَجْلِسَ.
فَجِئْنَ جَلَسَ لِقِرَاءَةِ الْكِتَابِ. سَأَلَ لَهُ الْمَلِكُ عَنْ مَعْنَى كُلِّ بَابٍ مِنْ أَبْوَابِ
الْكِتَابِ وَإِلَى أَيِّ شَيْءٍ قَصَدَ فِيهِ. فَأَخْبَرَهُ بِغَرَضِهِ فِيهِ وَفِي كُلِّ بَابٍ. فَازْدَادَ

الْمَلِكُ مِنْهُ تَعْجَبًا وَسُرُورًا فَقَالَ لَهُ: يَا بَدْبَا مَا عَدَوْتَ الَّذِي فِي نَفْسِي وَهَذَا
 الَّذِي كُنْتُ أَطْلُبُ فَاطْلُبْ مَا شِئْتَ وَتَحَكَّمْ: فَدَعَا لَهُ بَدْبَا بِالسَّعَادَةِ وَطُولِ
 الْحَيَاةِ وَقَالَ: أَيُّهَا الْمَلِكُ أَمَا أَمَّا لُفْلَا حَاجَةٌ لِي فِيهِ. وَمَا الْكُفُوفَةُ فَلَا أَخْنَارُ
 عَلَى لِيَايِي هَذَا شَيْئًا وَلَسْتُ أُخْلِي الْمَلِكُ مِنْ حَاجَةٍ: قَالَ الْمَلِكُ: يَا بَدْبَا مَا
 حَاجَتُكَ. فَكُلُّ حَاجَةٍ لَكَ فَبَلْنَا مَقْضِيَّةً. قَالَ: يَا مُرُّ الْمَلِكُ أَنْ يُدَوِّنَ كِتَابِي
 هَذَا كَمَا دَوَّنَ آبَاؤُهُ وَأَجْدَادُهُ كُنْهُمْ وَيَأْمُرُ بِالْإِحْبَاطِ عَلَيْهِ. فَإِنِّي أَخَافُ
 أَنْ يُخْرِجَ مِنْ بِلَادِ الْهِنْدِ فَيَتَنَاوَلَهُ أَهْلُ فَارِسَ إِذَا عَلِمُوا بِهِ. فَلْيَأْمُرِ الْمَلِكُ
 أَنْ لَا يُخْرِجَ مِنْ بَيْتِ الْحِكْمَةِ: ثُمَّ دَعَا الْمَلِكُ بِلَا مِدَّتِهِ وَأَحْسَنَ لَهُمُ الْجَوَائِزَ.
 ثُمَّ إِنَّهُ لَمَّا مَلَكَ كِسْرَى أَنْوَشِرَوَانُ وَكَانَ مُسْتَبْشِرًا بِالْكِتَابِ وَالْعِلْمِ
 وَالْأَدَبِ وَالنَّظَرِ فِي أَخْبَارِ الْأَوَائِلِ وَقَعَ لَهُ خَبْرُ الْكِتَابِ فَلَمْ يَقَرَّ فِرَارَهُ
 حَتَّى بَعَثَ بَرْزُوبَهُ الطَّيِّبَ حَتَّى أَخْرَجَهُ مِنْ بِلَادِ الْهِنْدِ فَأَقْرَهُ فِي
 خَزَائِنِ فَارِسَ

مِنْ كِتَابِ كَلِيلَةِ وَدَمْنَةِ

فِي بَعْنَةِ بُرْزُويه إِلَى بِلَادِ الْهِنْدِ

وَقَدْ رَزَقَ اللَّهُ الْمَلِكَ السَّعِيدَ أَنْشُرَوَانَ مِنَ الْعَقْلِ أَفْضَلَهُ وَمِنَ الْعِلْمِ
أَجْزَلَهُ وَمِنَ الْمَعْرِفَةِ بِالْأُمُورِ أَصْوَبَهَا وَسَدَّدَهُ مِنَ الْأَفْعَالِ أَسَدَهَا وَمِنَ
الْبَحْثِ عَنِ الْأَصُولِ وَالْفُرُوعِ أَنْفَعَهُ. وَبَلَغَهُ مِنْ فُنُونِ اخْتِلَافِ الْعِلْمِ
وَبُلُوغِ مَازِلَةِ الْفَلَسَفَةِ مَا لَمْ يَبْلُغْهُ مَلِكٌ قَطُّ مِنَ الْمُلُوكِ قَبْلَهُ. حَتَّى كَانَ فِي
مَا طَلَبَ وَبَحَثَ عَنْهُ مِنَ الْعِلْمِ أَنْ بَلَغَهُ عَنْ كِتَابِ الْهِنْدِ عِلْمٌ أَنَّهُ أَصْلُ
كُلِّ آدَبٍ وَرَأْسُ كُلِّ عِلْمٍ وَالذَّلِيلُ عَلَى كُلِّ مَنَافِعَةٍ. فَأَمَرَ الْمَلِكُ وَزِيرَهُ
بُرْزُجَهْرَ أَنْ يَبْحَثَ لَهُ عَنْ رَجُلٍ آدِيبٍ عَاقِلٍ مِنْ أَهْلِ مَمْلَكَتِهِ بِصِيرٍ
يَلْسَانِ الْفَارَسِيَّةِ مَاهِرٍ فِي كَلَامِ الْهِنْدِ وَيَكُونُ يَلِيعًا بِاللِّسَانَيْنِ جَمِيعًا. حَرِيصًا
عَلَى طَلَبِ الْعِلْمِ مُجْتَهِدًا فِي اسْتِعْمَالِ الْآدَبِ مُبَادِرًا فِي الْعِلْمِ وَالْبَحْثِ عَنْ
كُتُبِ الْفَلَسَفَةِ. فَأَتَاهُ بِرَجُلٍ آدِيبٍ كَامِلِ الْعَقْلِ وَالْآدَبِ مَعْرُوفٍ
بِصِنَاعَةِ الطِّبِّ مَاهِرٍ فِي الْفَارَسِيَّةِ وَالْهِنْدِيَّةِ فَقَالَ لَهُ بُرْزُويه

فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ كَفَّرَ لَهُ وَسَجَدَ بَيْنَ يَدَيْهِ. فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: يَا بُرْزُويه إِنِّي
قَدْ اخْتَرْتُكَ لِمَا بَلَغَنِي مِنْ فَضْلِكَ وَعِلْمِكَ وَعَقْلِكَ وَحِرْصِكَ عَلَى طَلَبِ
الْعِلْمِ حَيْثُ كَانَ. وَقَدْ بَلَغَنِي عَنْ كِتَابِ الْهِنْدِ مَخْرُوجٌ فِي خَزَائِنِهِمْ: وَقَصٌّ
عَلَيْهِ مَا بَلَغَهُ عَنْهُ وَقَالَ لَهُ: تَجَهَّزْ فَإِنِّي مُرِحُّكَ إِلَى أَرْضِ الْهِنْدِ فَتَلْطَفَ
بِعَقْلِكَ وَحُسْنِ آدَبِكَ وَنَافِدٍ رَأْيِكَ لِاسْتِخْرَاجِ هَذَا الْكِتَابِ مِنْ خَزَائِنِهِمْ
وَفِيهِ عُلَمَائِهِمْ فَتَسْتَعِيدَ مِنْ ذَلِكَ وَتُقَدِّدَنَا. وَمَا قَدِرْتَ عَلَيْهِ مِنْ كُتُبِ

الهند ما ليس في خزائنا منه شيء فأحمله معك وخذ معك من المال ما
تحتاج إليه وتعمل ذلك ولا تقصر في طلب العلوم . وإن أكثرت فيه
النفقة فإن جميع ما في خزائني مبدول لك في طلب العلوم وأمر يا حضار
المنجمين فأخبروا له يوما يسير فيه وساعة صالحة يخرج فيها
وحمل معه من المال عشرين جرابا كل جراب فيه عشرة آلاف دينار
فلما قدّم برزويه بلاد الهند طاف بباب الملك ومجالس السوقة وسأل
عن خواص الملك والأشراف والعلماء والفلاسفة . فجعل يغشاهم في
منازيلهم ويتلقاهم بالتحية ويخبرهم بأنه رجل غريب قديم بلادهم لطلب
العلوم والآداب . وأنه يحتاج إلى معاونتهم في ذلك . فلم يزل كذلك
زما ناطو بلا يتأدب عن علماء الهند بها هو عالم بجميعه وكأنه لا يعلم
منه شيئا وهو فيما بين ذلك يستر بغيبته وحاجته . واتخذ في تلك الحالة
لطول مقامه أصدقا كثر من الأشراف والعلماء والفلاسفة والسوقة
ومن أهل كل طبقة وصناعة . وكان قد اتخذ من بين أصدقائه رجلا
واحدا قد اتخذ لسري وما يحب مشاورته فيه للذبة ظهر له من فضله
وأدبه واستبان له صحة إخائيه وكان يشاوره في الأمور ويرتاج إليه في
جميع ما أهمله إلا أنه كان يكتم منه الأمر الذي قديم من أجله لكي
يكنو ويخبره وينظر هل هو أهل أن يطلع على سري

فقال له يوما وهما جالسان: يا أخي ما أريد أن أكتحك من أمري فوق
الذي كتبتك . فأعلم أنني لأمر قد مت وهو غير الذي يظهر مني والعاقيل
بكتفي من الرجل بالعلامات من نظري حتى يعلم سر نفسه وما بضمير قلبه

عَلَيْهِ . قَالَ لَهُ الْهِنْدِيُّ : إِنِّي وَإِنْ لَمْ أَكُنْ بَدَأْتُكَ وَأَخْبَرْتُكَ بِمَا جِئْتُ لَهُ
وَأَيَّاهُ نُرِيدُ وَأَنْتَ تَكْتُمُ أَمْرًا تَطْلُبُهُ وَتُظْهِرُ غَيْرَهُ . فَاخْفِيَ عَلَيَّ ذَلِكَ مِنْكَ
وَلَكِنِّي لِرَغْبَتِي فِي إِخَائِكَ كَرِهْتُ أَنْ أُوَاجِهَكَ بِهِ وَأَنْتَ قَدْ اسْتَبَانَ مَا
تُخْفِيهِ مِنِّي . فَأَمَّا إِذْ قَدْ أَظْهَرْتَ ذَلِكَ وَأَفْصَحْتَ بِهِ وَبِالْكَلَامِ فِيهِ فَإِنِّي
مُخْبِرُكَ عَنْ نَفْسِكَ وَمُظْهِرُكَ لِكَ سَرِيرَتِكَ وَمُعْلِمُكَ بِحَالِكَ أَلَيْ قَدِمْتَ
لَهَا بِأَلَدَانَا تَسْلُبُنَا كُنُوزَنَا النَّفِيسَةَ قَدْ ذَهَبَ بِهَا إِلَى بِلَادِكَ وَتَسْرِبُهَا
مِلْكُكَ وَكَانَ قُدُومُكَ بِالْمَكْرِ وَالْخَدِيعَةِ . وَلَكِنِّي لَمَّا رَأَيْتُ صَبْرَكَ
وَمَوَاطَنَكَ عَلَى طَلَبِ حَاجَتِكَ وَالتَّحْفِظَ مِنْ أَنْ يَسْفُطَ مِنْكَ الْكَلَامُ مَعَ
طُولِ مُنْكِكَ عِنْدَنَا بِشَيْءٍ بَسْتَدِلُّ بِهِ عَلَى سَرِيرَتِكَ وَأُمُورِكَ أَزْدَدْتُ
رَغْبَةً فِي إِخَائِكَ وَثِقَةً بِعَقْلِكَ فَأَحْبَبْتُ مَوَدَّتَكَ . فَإِنِّي لَمْ أَرِ فِي
الرَّجَالِ رَجُلًا هُوَ أَرْضَنُ مِنْكَ عَقْلًا وَلَا أَحْسَنُ أَدْبًا وَلَا أَصْبَرُ عَلَى طَلَبِ
الْعِلْمِ وَلَا أَكْثَمُ لِسَرِّهِ مِنْكَ وَلَا سِيًّا فِي بِلَادِ غَرْبِيَّةٍ وَمَمْلَكَةٍ غَيْرِ مَمْلَكَتِكَ
وَعِنْدَ قَوْمٍ لَا تَعْرِفُ سُنَنَهُمْ . وَإِنْ عَقَلَ الرَّجُلُ لَيْسَ فِي ثَنَائِي خِصَالُ
الْأُولَى مِنْهَا الرُّفْقُ . وَالثَّانِيَةُ أَنْ يَعْرِفَ الرَّجُلُ نَفْسَهُ فَيَحْفَظَهَا . وَالثَّلَاثَةُ
طَاعَةُ الْمُلُوكِ وَالْتِمَاسُ لِمَا يُرْضِيهِمْ . وَالرَّابِعَةُ مَعْرِفَةُ الرَّجُلِ مَوْضِعَ سِرِّهِ
وَكَيْفَ يَتَّبِعِي أَنْ يُطْلَعَ عَلَيْهِ صَدِيقُهُ . وَالْخَامِسَةُ أَنْ يَكُونَ عَلَى أَبْوَابِ
الْمُلُوكِ أَدِيبًا يَلِيقُ اللِّسَانَ . وَالسَّادِسَةُ أَنْ يَكُونَ لِسَرِّهِ وَسِرِّ غَيْرِهِ حَافِظًا .
وَالسَّابِعَةُ أَنْ يَكُونَ عَلَى لِسَانِهِ قَاضِرًا فَلَا يَتَكَلَّمُ إِلَّا بِمَا يَأْمَنُ تَبِعَتَهُ . وَالثَّمَانِيَةُ
أَنْ يَكُونَ بِالتَّحْفِيلِ لَا يَتَكَلَّمُ إِلَّا بِمَا يُسْأَلُ عَنْهُ . فَمَنْ أَجْتَمَعَتْ فِيهِ هَذِهِ
الْخِصَالُ كَانَ هُوَ الدَّاعِي الْخَيْرَ إِلَى نَفْسِهِ وَهَذِهِ الْخِصَالُ كُلُّهَا قَدْ أَجْتَمَعَتْ

فِيكَ وَبَانَ لِي مِنْكَ. فَأَلَّه تَعَالَى بِحِفْظِكَ وَبِعَيْنِكَ عَلَى مَا قَدِمْتَ لَهُ
فَهَصَادُ قُتْلِكَ إِيَّايَ لَتَسْلُبْنِي كَثْرِي وَفَخْرِي وَعِلْمِي. فَإِنَّكَ أَهْلٌ لِأَنْ تُسْعَفَ
بِحَاجَتِكَ وَتُسْفَعَ بِطِلْبَتِكَ وَتُعْطَى سُؤْلُكَ

فَقَالَ لَهُ بَرَزُوا بِهِ: إِنِّي قَدْ كُنْتُ هَيْأْتُ كَلَامًا كَثِيرًا وَشَعْبْتُ لَهُ شُعُوبًا
وَأَنْشَأْتُ لَهُ أَصُولًا وَطُرُقًا. فَلَمَّا أَنْتَهَيْتُ إِلَى مَا بَدَأْتَنِي بِهِ مِنْ إِطْلَاعِكَ عَلَى
أُمُورِي وَالَّذِي قَدِمْتُ لَهُ وَالْقِيَتَهُ عَلَيَّ مِنْ ذَاتِ نَفْسِكَ وَرَغْبَتِكَ فِي مَا أَلْقَيْتَ
مِنْ الْقَوْلِ أَكْثَفْتُ بِالسَّيْرِ مِنَ الْخِطَابِ مَعَكَ وَعَرَفْتُ الْكَبِيرَ مِنْ
أُمُورِي بِالصَّغِيرِ مِنَ الْكَلَامِ وَانْتَصَرْتُ بِهِ مَعَكَ عَلَى الْإِجَارِ وَرَأَيْتُ مِنْ
إِسْعَافِكَ إِيَّايَ بِحَاجَتِي مَا دَلَّنِي عَلَى كَرَمِكَ وَحُسْنِ وَفَائِكَ. فَإِنَّ الْكَلَامَ إِذَا
أُلْفِيَ إِلَى الْفَيْلَسُوفِ وَالسِّرِّ إِذَا اسْتَوْدِعَ إِلَى الْإِلْيَبِ الْحَافِظِ فَقَدْ حُصِّنَ
وَبُلِغَ بِهِ نِهَآيَةُ أَمَلٍ صَاحِبِهِ كَمَا يَحْصُنُ الشَّيْءُ النَّفِيسُ فِي الْفِلَاحِ الْحَصْبَنَةِ:
قَالَ الْهِنْدِيُّ: لَا شَيْءَ أَفْضَلُ مِنَ الْمَوْدَةِ وَمَنْ خَلَصَتْ مَوْدَتُهُ كَانَ أَهْلًا
أَنْ يَخْلُطَهُ الرَّجُلُ بِنَفْسِهِ وَلَا يَذْخَرُ عَنْهُ شَيْئًا وَلَا يَكْتُمُهُ سِرًّا. فَإِنْ حِفْظُ
السِّرِّ رَأْسُ الْأَدَبِ فَإِذَا كَانَ السِّرُّ عِنْدَ الْأَمِينِ الْكُتُومِ فَقَدْ اخْتَزَرَ مِنَ
التَّضْيِيعِ مَعَ أَنَّهُ خَلِيقٌ أَنْ لَا يَتَكَلَّمَ بِهِ وَلَا يَتِمُّ سِرِّيَّتَ أَتَيْنِ قَدْ عَلِمَاهُ
وَتَقَاوَضَاهُ. فَإِذَا تَكَلَّمَ بِالسِّرِّ اثْنَانِ فَلَا بُدَّ مِنْ ثَالِثٍ مِنْ جِهَةٍ أُحْدِثَاهُ أَوْ
مِنْ جِهَةٍ الْآخَرِ فَإِذَا صَارَ إِلَى الثَّلَاثَةِ فَقَدْ شَاعَ وَدَاعَ حَتَّى لَا يَسْتَطِيعَ
صَاحِبُهُ أَنْ يَخْبَهُ وَيَكْبُرَ عَنْهُ كَالْغَيْمِ إِذَا كَانَ مُنْقَطِعًا فِي السَّمَاءِ. فَقَالَ
قَائِلٌ غَيْمٌ مُنْقَطِعٌ لَا يَقْدِرُ أَحَدٌ عَلَى تَكْذِيبِهِ. وَأَنَا فَقَدْ يُدْخِلُنِي مِنْ مَوْدَتِكَ
وَحُطَّتِكَ سُرُورٌ لَا يَعْدِلُهُ شَيْءٌ. وَهَذَا الْأَمْرُ الَّذِي تَطْلُبُهُ مِنِّي أَعْلَمُ أَنَّهُ

مِنَ الْأَسْرَارِ الَّتِي لَا تُكْتَمُ فَلَا بُدَّ أَنْ يَفْشَوْ وَيُظْهَرَ حَتَّى يَتَحَدَّثَ بِهِ النَّاسُ .
فَإِذَا فَشَا فَقَدْ سَعَيْتُ فِي هَلَاقِي هَلَاكَ لَا أَقْدِيرُ عَلَى الْفِدَاءِ مِنْهُ بِالْمَالِ وَإِنْ
كَثُرَ . لِأَنَّ مَلِكَنَا فَظٌ غَلِيظٌ يُعَاقِبُ عَلَى الذَّنْبِ الصَّغِيرِ أَشَدَّ الْعِقَابِ
فَكَيْفَ مِثْلُ هَذَا الذَّنْبِ الْعَظِيمِ وَإِذَا حَمَلَنِي الْمَوَدَّةُ الَّتِي بَيْنِي وَبَيْنَكَ
فَأَسْعَفْتُكَ بِحَاجَتِكَ لَمْ يَرُدَّ عِقَابُهُ عَنِّي شَيْءٌ

قَالَ بَرْزُويه : إِنَّ الْأَعْلَمَاءَ قَدْ مَدَحَتِ الصَّدِيقَ إِذَا كَتَمَ سِرَّ صَدِيقِهِ
وَأَعَانَهُ عَلَى الْفَوْرِ وَهَذَا الْأَمْرُ الَّذِي قَدِمْتُ لَهُ لِيُنْفِكَ ذَخْرَتَهُ وَبِكَ
أَرْجُو بُلُوغَهُ وَأَنَا وَاثِقٌ بِكَرَمِ طِبَاعِكَ وَوُفُورِ عَقْلِكَ وَأَعْلَمُ أَنَّكَ لَا تَخْشَى
مِنِّي وَلَا تَخَافُ أَنْ أَبْدِيَهُ بَلْ تَخْشَى أَهْلَ بَيْتِكَ الطَّائِفِينَ بِكَ وَبِالْمَلِكِ أَنْ
يَسْعَوْا بِكَ . وَأَنَا أَرْجُو أَنْ لَا يَنْشِيعَ شَيْءٌ مِنْ هَذَا الْأَمْرِ لِأَنِّي أَنَا ظَالِمٌ
وَأَنْتَ مُقِيمٌ وَمَا أَفْنَتْ فَلَا تَالِكَ يَنْتَنَّا . فَتَعَاهَذَا عَلَى هَذَا جَمِيعًا : فَأَجَابَهُ
الْهِنْدِيُّ إِلَى ذَلِكَ الْكِتَابِ وَالْإِلَى غَيْرِهِ مِنَ الْكُتُبِ فَأَكَبَّ عَلَى تَفْسِيرِهِ
وَنَقْلِهِ مِنَ اللِّسَانِ الْهِنْدِيِّ إِلَى اللِّسَانِ الْفَارِسِيِّ وَأَتَعَبَ نَفْسَهُ وَأَنْصَبَ بَدَنَهُ
لَيْلًا وَنَهَارًا وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ وَجِلٌ وَفَرَعٌ مِنْ مَلِكِ الْهِنْدِ خَائِفٌ عَلَى نَفْسِهِ
مِنْ أَنْ يَذْكُرَ الْمَلِكُ الْكِتَابَ فِي وَقْتٍ وَلَا يُصَادِفُهُ فِي خِزَانَتِهِ

فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ انْتِسَاخِ الْكِتَابِ وَغَيْرِهِ مَا أَرَادَ مِنْ سَائِرِ الْكُتُبِ كَتَبَ
إِلَى أُنُوشِيرْوَانَ يُعْلِمُهُ بِذَلِكَ . فَلَمَّا وَصَلَ إِلَيْهِ الْكِتَابُ سُرَّ بِذَلِكَ سُرُورًا
شَدِيدًا . ثُمَّ تَخَوَّفَ مُعَاجَلَةَ الْمُنَادِيرِ أَنْ تُنْغِصَ عَلَيْهِ فَرَحَهُ فَكَتَبَ إِلَى بَرْزُويه
بِأَمْرٍ بِتَعْجِيلِ الْقُدُومِ . فَسَارَ بَرْزُويه مُتَوَجِّهًا نَحْوَ كَسْرَى . فَلَمَّا رَأَى الْمَلِكُ
مَا قَدْ مَسَّهُ مِنَ الشُّحُوبِ وَالتَّعَبِ وَالنَّصَبِ قَالَ لَهُ : أَيُّهَا الْعَبْدُ النَّاصِحُ

الَّذِي يَأْكُلُ ثَمَرَهُ مَا قَدْ غَرَسَ آبَاؤُنَا فَوَقَّرْنَا فَاِنِّي مُشْرِفُكَ بِالْبَيْتِ
أَفْضَلَ دَرَجَةٍ وَأَمْرُهُ أَنْ يُرِيحَ بَدَنَهُ سَبْعَةَ أَيَّامٍ
فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمُ السَّابِعُ أَمَرَ الْمَلِكُ أَنْ يَجْتَمِعَ إِلَيْهِ الْأُمَرَاءُ وَالْعُلَمَاءُ. فَلَمَّا
اجْتَمَعُوا أَمَرَ بُرْزُوبَهُ بِالتَّحْضِيرِ فَحَضَرَ وَمَعَهُ الْكُتُبُ فَفَتَحَهَا وَقَرَأَهَا عَلَى مَنْ
حَضَرَ مِنْ أَهْلِ الْمَمْلَكَةِ. فَلَمَّا سَمِعُوا مَا فِيهَا مِنَ الْعِلْمِ فَرِحُوا فَرَحًا شَدِيدًا
وَشَكَرُوا اللَّهَ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ وَمَدَحُوا بُرْزُوبَهُ وَاثْنَوْا عَلَيْهِ وَأَمَرَ الْمَلِكُ أَنْ
يُفْتَحَ لِبُرْزُوبِهِ خَزَائِنُ الْكُلُوبِ وَالزَّبَرَجَدِ وَالْيَاقُوتِ وَالذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَأَمَرَ
أَنْ يَأْخُذَ مِنَ الْخَزَائِنِ مَا شَاءَ مِنْ مَالٍ وَكُتُوبٍ وَقَالَ: يَا بُرْزُوبَهُ إِنِّي قَدْ
أَمَرْتُ أَنْ تَجْلِسَ عَلَى مِثْلِ سَرِيرِي هَذَا وَتَلْبَسَ تاجًا وَتَتَرَأَسَ عَلَى جَمِيعِ
الْأَشْرَافِ: فَجَدَّ بُرْزُوبَهُ لِلْمَلِكِ وَدَعَا لَهُ وَطَلَبَ مِنَ اللَّهِ وَقَالَ: أَكْرَمَ اللَّهُ
تَعَالَى الْمَلِكَ كَرَامَةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَحْسَنَ عَنِّي ثَوَابَهُ وَجَزَاهُ. فَاِنِّي بِحَمْدِ
اللَّهِ مُسْتَعِينٌ عَنِ الْمَالِ بِمَا رَزَقَنِي اللَّهُ عَلَى يَدِ الْمَلِكِ السَّعِيدِ الْبَاقِي الْعَظِيمِ
الْمَلِكِ وَلَا حَاجَةَ لِي بِالْمَالِ. لَكِنْ لَمَّا كَلَّفَنِي ذَلِكَ وَعَلِمْتُ أَنَّهُ يَسْرُهُ أَنْ
أَمْضِيَ إِلَى الْخَزَائِنِ فَأَخُذَ مِنْهَا طَلَبًا لِمَرْضَايِهِ وَأَمْتِنًا لِأَمْرِي: ثُمَّ قَصَدَ
خِزَانَةَ الْبَابِ فَأَخُذَ مِنْهَا نَحْفًا مِنْ ظَرَائِفِ خُرَاسَانَ وَمِنْ مَلَابِسِ الْمُلُوكِ
فَلَمَّا قَبِضَ بُرْزُوبَهُ مَا أَخْتَارَهُ وَرَضِيَهُ مِنَ الْبَابِ قَالَ: أَكْرَمَ اللَّهُ الْمَلِكَ
وَمَدَّ فِي عُمُرِهِ أَبَدًا أَبَدًا. إِنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا أَكْرَمَ وَجَبَ عَلَيْهِ الشُّكْرُ وَإِنْ
كَانَ قَدِ اسْتَوْجِبَهُ نَعْبًا وَمَشَقَّةً فَقَدْ كَانَ فِيهَا لِرِضَاكَ الْمَلِكِ. وَأَمَّا أَنَا فَمَا
لِقَيْتِهِ مِنْ عَنَاءٍ وَتَعَبٍ وَمَشَقَّةٍ لِمَا أَعْلَمُ أَنَّ لَكُمْ فِيهِ الشَّرَفَ يَا أَهْلَ هَذَا
الْبَيْتِ فَاِنِّي لَمْ أَزَلْ إِلَى هَذَا الْيَوْمِ تَابِعًا رِضَاكُمْ أَرَى الْعَسِيرَ فِيهِ يَسِيرًا

وَالشَّاقُّ هُنَا وَالنَّصَبُ وَالْأَذَى سُورًا وَلَذَّةُ مَا أَعْلَمُ أَنَّ لَكُمْ فِيهِ رِضَى
وَقُرْبَةً عِنْدَكُمْ. وَلَكِنِّي أَسْأَلُكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ حَاجَةً تُسَعِّفُنِي بِهَا وَتُعْطِيَنِي فِيهَا
سُورِي فَإِنَّ حَاجَتِي بَسِيرَةٌ وَفِي قَضَائِهَا قَائِدَةٌ كَثِيرَةٌ. قَالَ أُنُوشَرَوَانُ:
فَكُلُّ حَاجَةٍ لَكَ فَيْلَنَا مُقْضِيَةٌ فَإِنَّكَ عِنْدَنَا عَظِيمٌ وَلَوْ طَلَبْتَ مُشَارَكَتَنَا فِي
مُلْكِنَا لَفَعَلْنَا وَلَمْ نَزِدْ طَلِبَتَكَ فَكَيْفَ مَا سِوَى ذَلِكَ فَقُلْ وَلَا تَحْزَنْهُمْ فَإِنَّ
الْأُمُورَ كُلَّهَا مَبْدُوءَةٌ لَكَ

قَالَ بَرْزُويه: أَيُّهَا الْمَلِكُ لَا تَنْظُرْ إِلَى عَنَائِي فِي رِضَاكَ وَانْكِاسِي فِي
طَاعِنِكَ. فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُكَ بِلِزْمِي بِذُلِّ مُهْجَتِي فِي رِضَاكَ وَلَوْ لَمْ تَجْزِئَنِي لَمْ
يَكُنْ ذَلِكَ عِنْدِي عَظِيمًا وَلَا وَاجِبًا عَلَى الْمَلِكِ. وَلَكِنْ لِكَرَمِهِ وَشَرَفِ
مَنْصِبِهِ عَمَدًا إِلَى مُجَازِائِي وَخَصَنِي وَأَهْلَ بَيْتِي بِعُلُوِّ الْمَرْتَبَةِ وَرَفَعِ الدَّرَجَةِ
حَتَّى لَوْ قَدَّرَ أَنْ يَجْمَعَ لَنَا بَيْنَ شَرَفِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَفَعَلَ فَجَزَاهُ اللَّهُ عَنَّا
أَفْضَلَ مَا لِحْزَاهُ. قَالَ أُنُوشَرَوَانُ: أَذْكُرُ حَاجَتَكَ فَعَلَيْ مَا يَسُرُّكَ: فَقَالَ
بَرْزُويه: حَاجَتِي أَنَّ بَأْمَرَ الْمَلِكِ أَعْلَاهُ اللَّهُ تَعَالَى وَزِينَهُ بَرْزُجَهْرُ بَنَ
الْبُخْتِكَاكِ وَيُقْسِمُ عَلَيْهِ أَنْ يُعْمَلَ فِكْرُهُ وَيَجْمَعَ رَأْيُهُ وَيَجْهَدَ طَاقَتَهُ وَيُفْرِغَ
قَلْبَهُ فِي نَظْمِ تَأْلِيفِ كَلَامٍ مُتَنٍ مُحْكَمٍ وَيَجْعَلُهُ بَابًا يَذْكُرُ فِيهِ أَمْرِي وَيَصِفُ
حَالِي وَلَا يَدْعُ مِنَ الْمُبَالَغَةِ فِي ذَلِكَ أَقْصَى مَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ وَيَأْمُرُ إِذَا
اسْتَمْتُمْ أَنْ يَجْعَلَهُ أَوَّلَ الْأَبْوَابِ الَّتِي تُقْرَأُ قَبْلَ بَابِ الْأَسَدِ وَالشَّوْرِ. فَإِنَّ
الْمَلِكَ إِذَا فَعَلَ ذَلِكَ فَقَدْ بَلَغَ بِي وَبِأَهْلِي غَايَةَ الشَّرَفِ وَأَعْلَى الْمَرَاتِبِ وَأَبْنَى
لَنَا مَا لَا يَزَالُ ذِكْرُهُ بَاقِيًا عَلَى الْأَبَدِ حِينَمَا فُرِيَ هَذَا الْكِتَابُ
فَلَمَّا سَمِعَ كَسْرَى أُنُوشَرَوَانُ وَالْعُظَمَاءُ مَقَالَتَهُ وَمَا سَمِعَتْ إِلَيْهِ نَفْسُهُ مِنْ

مَحْيَةِ إِبْقَاءِ الذِّكْرِ وَاسْتَحْسِنُوا طَلِبَتَهُ وَأَخْبَارُهُ قَالَ كَسْرَى: حُبًّا وَكَرَامَةً لَكَ
 يَا بُرْزُؤِيَّةُ إِنَّكَ لَأَهْلٌ أَنْ تُسَعَفَ بِحَاجَتِكَ فَأَقْلَ مَا قِنَعْتَ بِهِ وَأَيَسَرُّ
 عِنْدَنَا وَإِنْ كَانَ خَطَرُ عِنْدَكَ عَظِيمًا: ثُمَّ أَقْبَلَ أَنْوَشِيرَوَانُ عَلَى وَزِيرِهِ
 بَرْزُجْمَهَرَ. فَقَالَ لَهُ: قَدْ عَرَفْتَ مَنَاصِحَةَ بُرْزُؤِيَّةَ لَنَا وَتَحَشُّمَهُ الْخَوَافَ
 وَالْهَمَّ لَكَ فِي مَا يَقْرُبُهُ مِنَّا وَإِعَابَهُ بِدَنِّهِ فِي مَا بَسُرْنَا وَمَا أَلَى بِهِ إِلَيْنَا مِنْ
 الْمَعْرُوفِ وَمَا أَفَادَنَا اللَّهُ عَلَى يَدِهِ مِنَ الْحِكْمَةِ وَالْأَدَبِ الْبَاقِي لَنَا فَخَرُّ وَمَا
 عَرَضْنَا عَلَيْهِ مِنْ خَزَائِنِنَا لِنَجْزِيَهُ بِذَلِكَ عَلَى مَا كَانَ مِنْهُ. فَلَمْ تَبَلْ نَفْسُهُ إِلَى
 شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ وَكَانَ يُغَيِّثُهُ وَطَلِبَتُهُ مِنَّا أَمْرًا يَسِيرًا رَأَاهُ هُوَ الثَّوَابَ مِنَّا لَهُ
 وَالْكَرَامَةَ الْغَجَلِيلَةَ عِنْدَهُ. فَإِنِّي أُحِبُّ أَنْ تَتَكَلَّمَ فِي ذَلِكَ وَتُسَعِفَهُ بِحَاجَتِهِ
 وَطَلِبَتِهِ. وَاعْلَمْ أَنَّ ذَلِكَ مِمَّا بَسُرُنِي وَلَا تَدْعُ شَيْئًا مِنَ الْأَجْنِهَادِ وَالْمَبَالِغَةِ
 إِلَّا بَلَّغْتَهُ وَإِنْ نَالَكَ فِيهِ مَشَقَّةٌ وَهُوَ أَنْ تُكْتَبَ بَابًا مُضَارِعًا لِنِلِكَ الْأَبْوَابِ
 الَّتِي فِي الْكِتَابِ وَتَذْكُرَ فِيهِ فَضْلَ بُرْزُؤِيَّةٍ وَكَيْفَ كَانَ أَيْدَاءُ أَمِيرٍ وَشَأْنِهِ
 وَتَنْسُبُهُ إِلَيْهِ وَإِلَى حَسَبِهِ وَصِنَاعَتِهِ وَتَذْكُرَ فِيهِ بَعَثْتُهُ إِلَى بِلَادِ الْهِنْدِ فِي
 حَاجَتِنَا وَمَا أَفَدَنَا عَلَى يَدِهِ مِنْ هُنَاكَ وَشَرَفَنَا بِهِ وَفَضَّلَنَا عَلَى غَيْرِنَا وَكَيْفَ
 كَانَ حَالُ بُرْزُؤِيَّةٍ وَقُدُومُهُ مِنْ بِلَادِ الْهِنْدِ. فَقُلْ مَا تَقْدِرُ عَلَيْهِ مِنْ
 التَّقْرِيطِ وَالْإِطْنَابِ فِي مَدْحِهِ وَبِالْبَاقِ فِي ذَلِكَ أَفْضَلَ الْمَبَالِغَةِ وَاجْتِهَدِ فِي
 ذَلِكَ أَجْنِهَادًا بَسُرُ بُرْزُؤِيَّةٍ وَأَهْلَ الْمَمْلَكَةِ. فَإِنَّ بُرْزُؤِيَّةَ أَهْلٌ لِذَلِكَ
 مِنِّي وَمِنْ جَمِيعِ أَهْلِ الْمَمْلَكَةِ وَمِنْكَ أَيْضًا لِحَبَّتِكَ لِلْعُلُومِ. وَاجْتَهِدْ أَنْ
 يَكُونَ غَرَضُ هَذَا الْكِتَابِ الَّذِي يَنْسَبُ إِلَى بُرْزُؤِيَّةٍ أَفْضَلَ مِنْ أَنْوَاعِ
 تِلْكَ الْأَبْوَابِ عِنْدَ الْخَاصِّ وَالْعَامِّ وَأَشَدَّ مُشَاكَلَةً بِحَالِ هَذَا الْعِلْمِ. فَإِنَّكَ

أَسْعَدُ النَّاسِ كُلِّهِمْ بِذَلِكَ لِأَنِّفَرَادِكَ بِهَذَا الْكِتَابِ وَاجْعَلْهُ أَوَّلَ الْأَبْوَابِ.
 فَإِذَا أَنْتَ عَمِلْتَهُ وَوَضَعْتَهُ فِي مَوْضِعِهِ فَأَعْلِنِي لِأَجْمَعِ أَهْلِ الْمَمْلُوكَةِ وَتَقْرَأُ
 عَلَيْهِمْ فَيَظْهَرُ فَضْلُكَ وَاجْتِهَادُكَ فِي مُحْيِنَاتِنَا فَيَكُونُ لَكَ بِذَلِكَ فَخْرٌ
 فَلَمَّا سَمِعَ بُرْزُجْمَهْرُ مَقَالَهُ الْمَلِكُ خَرَّ لَهُ سَاجِدًا وَقَالَ: أَدَامَ اللَّهُ لَكَ أَهْلًا
 الْمَلِكُ الْبَقَاءَ وَبَلَغَكَ أَفْضَلَ مَنَازِلِ الصَّالِحِينَ فِي الْآخِرَةِ وَالْأُولَى لَنَدَى
 شَرَفْتَنِي بِذَلِكَ شَرَفًا بَاقِيًا إِلَى الْأَبَدِ: ثُمَّ خَرَجَ بُرْزُجْمَهْرٌ مِنْ عِنْدِ الْمَلِكِ
 فَوَصَفَ بُرْزُوبِهِ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ دَفَعَهُ أَبَوَاهُ إِلَى الْعِلْمِ وَمَضِيهِ إِلَى بِلَادِ
 الْهِنْدِ فِي طَلَبِ الْعُقَاظِيرِ وَالْأَدْوِيَةِ وَكَيْفَ تَعَلَّمَ خُطُوطَهُمْ وَلُغَتَهُمْ إِلَى أَنْ
 بَعَثَهُ أُنُوشِيرَوَانُ إِلَى الْهِنْدِ فِي طَلَبِ الْكِتَابِ وَلَمْ يَدْعُ مِنْ قَضَائِلِ بُرْزُوبِهِ
 وَحِكْمَتِهِ وَخَلَائِقِهِ وَمَذْهَبِهِ أَمْرًا إِلَّا وَنَسَفَهُ وَأَتَى بِهِ بِأَجُودِ مَا يَكُونُ مِنْ
 الشَّرْحِ: ثُمَّ أَعْلَمَ الْمَلِكُ بِفِرَاقِهِ مِنْهُ. فَجَمَعَ أُنُوشِيرَوَانُ أَشْرَافَ قَوْمِهِ وَأَهْلَ
 سُلْطَانَتِهِ وَأَدْخَلَهُمْ إِلَيْهِ وَأَمَرَ بُرْزُجْمَهْرَ بِقِرَاءَةِ الْكِتَابِ وَبُرْزُوبِهِ فَأَتَى إِلَى
 جَانِبِ بُرْزُجْمَهْرٍ وَابْتَدَأَ يَوْصِفُ بُرْزُوبَهُ حَتَّى أَنْتَهَى إِلَى آخِرِهِ. فَفَرَحَ
 الْمَلِكُ بِمَا أَتَى بِهِ بُرْزُجْمَهْرٌ مِنَ الْحِكْمَةِ وَالْعِلْمِ: ثُمَّ أَتَى الْمَلِكُ وَجَمِيعُ مَنْ
 حَضَرَ عَلَى بُرْزُجْمَهْرٍ وَشَكَرُوهُ وَمَدَحُوهُ وَأَمَرَ لَهُ الْمَلِكُ بِمَالٍ جَزِيلٍ وَكُسُوفٍ
 وَحُلِيِّ وَأَوَانٍ. فَلَمْ يَقْبَلْ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا غَيْرَ كُسُوفٍ كَانَتْ مِنْ ثِيَابِ
 الْمَلُوكِ: ثُمَّ شَكَرَ لَهُ ذَلِكَ بُرْزُوبِهِ وَقَبِلَ رَأْسَهُ وَيَدَهُ وَقَبِلَ بُرْزُوبَهُ عَلَى
 الْمَلِكِ وَقَالَ: أَدَامَ اللَّهُ لَكَ الْهَلْكَ وَالسَّعَادَةَ فَتَدَى بَلَغْتَ بِي وَبِأَهْلِي غَايَةَ
 الشَّرَفِ بِمَا أَمَرْتَ بِهِ بُرْزُجْمَهْرَ مِنْ صُنْعَةِ الْكِتَابِ فِي أَمْرِي وَبِقَاءِ ذِكْرِي

مِنْ تَارِيخِ الْمُلُوكِ وَأَعْمَارِهِمْ
وَالْكَائِنِ الَّذِي كَانَ فِي زَمَنِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ

تَأْلِيفِ

أَبِي جَعْفَرٍ مُحَمَّدِ بْنِ جَرِيرِ بْنِ يَزِيدَ الطَّبْرِيِّ

فِي افْتِتَاحِ السَّنَاءِ

مَعْرَكَةُ الْوَأْفُوصَةِ

كُتِبَ إِلَى السَّرِيِّ عَنْ سَعِيدٍ عَنْ سَيْفٍ عَنْ مُبَشِّرٍ وَسَهْلٍ وَأَبِي عُثْمَانَ عَنْ
خَالِدٍ وَعُبَادَةَ وَأَبِي حَارِثَةَ. قَالُوا وَلَوْ عَبَّ الْفُؤَادُ بِالنَّاسِ نَحْوَ الشَّامِ وَعَكْرِمَةُ
رَدُّهُ لِلنَّاسِ وَبَلَغَ الرُّومَ ذَلِكَ فَكُنُوا إِلَى هِرَقْلَ وَخَرَجَ هِرَقْلُ حَتَّى
يَنْزِلَ بِمَحْضٍ فَأَعَدَّهُمُ الْجُنُودَ وَعَمِيَ لَهُمُ الْعَسَاكِرُ وَأَرَادَ اشْتِغَالَ بَعْضِهِمْ
بِبَعْضٍ عَنْ بَعْضٍ لِكَثْرَةِ جُنْدِهِ وَفُضُولِ رِجَالِهِ وَأَرْسَلَ إِلَى عَمْرِو أَخَاهُ
تَذَارِقَ لِأَبِيهِ وَأُمِّهِ. فَخَرَجَ نَحْوَهُمْ فِي تِسْعِينَ أَلْفًا وَبَعَثَ مَنْ يَسُوقُهُمْ حَتَّى
نَزَلَ صَاحِبُ السَّافَةِ ثَنِيَّةَ جِلْقٍ بِأَعْلَى فِلَسْطِينَ وَبَعَثَ جَرَجَةَ بْنَ نُودَرَا
نَحْوَ يَزِيدَ بْنِ أَبِي سَفِينٍ فَعَسَكَرَ بِإِزَائِهِ وَبَعَثَ الدَّرَاقِصَ فَاسْتَقْبَلَ
شُرَحْبِيلَ بْنَ حَسَنَةَ وَبَعَثَ الْقَبْقَارَ بْنَ نَسْطُومَ فِي سِتِّينَ أَلْفًا نَحْوَ أَبِي
عُبَيْدَةَ. فَهَابَهُمُ الْمُسْلِمُونَ وَجَمِيعُ فِرْقِ الْمُسْلِمِينَ وَاحِدٌ وَعِشْرُونَ أَلْفًا سِوَى
عِكْرِمَةَ فِي سِتَّةِ أَلْفٍ فَفَرَّغُوا جَمِيعًا بِالْكَتِّبِ وَبِالرُّسْلِ إِلَى عَمْرِو أَنْ مَا
الرَّأْيُ وَكَانَتْهُمْ وَرَأَسْلَهُمْ أَنْ الرَّأْيُ الْإِجْتِمَاعُ وَذَلِكَ أَنْ مِثْلَنَا إِذَا اجْتَمَعْنَا لَمْ
نُغْلَبْ مِنْ قِلَّةٍ وَإِذَا انْخَنُ تَفَرَّقْنَا لَمْ يَبْقَ الرَّجُلُ مِثْلًا فِي عَدَدٍ يَفِرُّ فِيهِ لِأَحَدٍ

مِنْ أَسْتَفْلَةٍ. وَأَعَدَّ لَنَا لِكُلِّ طَائِفَةٍ مِتَاجِنْدًا فَأَتَعَدُّوا الْيَرْمُوكَ لِيَجْتَمِعُوا
 بِهِ. وَقَدْ كُتِبَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ يَهْتَلِ مَا كَاتَبُوا بِهِ عَمْرًا فَطَلَعَ عَلَيْهِمْ كِتَابُهُ يَهْتَلِ
 رَأْيَ عَمْرٍو وَبَلَغَ ذَلِكَ هِرَقْلَ فَكَتَبَ إِلَى بَطَارِقِيهِ أَنْ اجْتَمِعُوا لَهُمْ فَأَنْزَلُوا
 بِالرُّومِ مَنَزِلًا وَاسِعَ الْعُطَنِ وَاسِعَ الْمَطَرِ ضَيْقَ الْمَهْرَبِ. وَعَلَى النَّاسِ
 التَّدَارُوقُ وَعَلَى الْمُنْدَمَةِ جَرَجَةٌ وَعَلَى مُحِبِّتَيْدٍ بَاهَانٌ وَالذَّرَافِصُ وَعَلَى الْحَرْبِ
 قَيْقَارٌ وَقَالَ أَبْشِرُوا فَإِنَّ بَاهَانَ فِي الْأَثَرِ مُبْدًا لَكُمْ. فَفَعَلُوا فَتَزَلُّوا الْوَأُفُوصَةَ
 وَهُوَ عَلَى صِفَةِ الْيَرْمُوكِ وَصَارَ الْوَادِي خَنْدَقًا لَهُمْ وَهُوَ لَهَبٌ لَا يَذْرُكُ. وَإِنَّمَا
 أَرَادَ بَاهَانَ وَأَصْحَابُهُ أَنْ يَسْتَنْبِتَ الرُّومُ وَيَأْتَسُوا بِالْمُسْلِمِينَ وَتَرْجِعَ إِلَيْهِمْ
 أَقْيَدُ نَفْسٍ عَنْ طَيْرِهَا. وَأَتَقَلَّ الْمُسْلِمُونَ عَنْ عَسْكَرِهِمُ الَّذِي اجْتَمَعُوا فِيهِ
 فَتَزَلُّوا عَلَيْهِمْ بِحَذَائِهِمْ عَلَى طَرِيفِهِمْ وَلَيْسَ لِلرُّومِ طَرِيفٌ إِلَّا عَلَيْهِمْ. فَقَالَ
 عَمْرٍو: أَيُّهَا النَّاسُ أَبْشِرُوا حُصِرَتِ الرُّومُ وَاللَّهُ وَقَلَ مَا جَاءَ مُحْصُورٌ
 بِخَيْرٍ. فَأَقَامُوا بِأَزَائِهِمْ وَعَلَى طَرِيفِهِمْ وَخَرَجُوا مِنْ صَفَرٍ مِنْ سَنَةِ ثَلَاثَ عَشْرَةَ
 وَشَهْرِي رَجَبٍ لَا يَنْدِيرُونَ مِنَ الرُّومِ عَلَى شَيْءٍ وَلَا يَخْلُصُونَ إِلَيْهِمْ. وَاللَّهَبُ
 وَهُوَ الْوَأُفُوصَةُ مِنْ وَرَائِهِمْ وَالْخَنْدَقُ مِنْ أَمَامِهِمْ. وَلَا يَخْرُجُونَ خُرْجَةً إِلَّا
 أُدِيلَ مِنْهُمْ الْمُسْلِمُونَ. حَتَّى إِذَا اسْتَحْوَ شَهْرُ رَجَبِ الْأَوَّلِ وَقَدْ اسْتَمَدُّوا آبَا
 بَكْرٍ وَأَعْلَمُوهُ الشَّانَ فِي صَفَرٍ. فَكَتَبَ إِلَى خَالِدٍ لِيَلْحَقَ بِهِمْ وَأَمَرَ أَنْ يُخْلَفَ
 عَلَى الْعِرَاقِ الْمُشَنَّى قَوَاقِمٌ فِي رَجَبٍ الْآخِرِ

كَتَبَ إِلَى الشَّرِيفِ عَنْ شُعَيْبٍ عَنْ سَيْفٍ عَنْ مُحَمَّدٍ وَطَلْحَةَ وَعَمْرٍو
 وَاللَّهَبَ قَالُوا: وَلَكَمَا نَزَلَ الْمُسْلِمُونَ الْيَرْمُوكَ وَأَسْتَمَدُّوا آبَا بَكْرٍ قَالَ
 خَالِدٌ أَقْوَى لَهَا. فَبَعَثَ إِلَيْهِ وَهُوَ بِالْعِرَاقِ وَعَزَمَ عَلَيْهِ وَأَسْتَحْكَهُ فِي السَّيْرِ

فَنَفَذَ خَالِدٌ لِدُنْكَ فَطَلَعَ عَلَيْهِمْ خَالِدٌ وَطَلَعَ بَاهَانُ عَلَى الرُّومِ وَقَدْ قَدَّمَ
 قُدَامَهُ الشَّامِيسَةَ وَالرُّهْبَانَ وَالْقَيْسِيَّينَ يُغَيِّرُونَهُمْ وَيَحْضُضُونَهُمْ عَلَى الْقِتَالِ .
 وَوَافَقَ قُدُومُ خَالِدٍ قُدُومَ بَاهَانَ فَخَرَجَ بِهِمْ بَاهَانُ كَأَلْمَقْتَدِرِ قَوْلِي خَالِدٌ
 قِتَالَهُ وَقَاتَلَ الْأَمْرَأَةَ مِنْ بِيَازَاتِهِمْ فَهَزِمَ بَاهَانُ وَتَنَابَعَ الرُّومُ عَلَى الْهَزِيمَةِ
 فَافْتَحُوا خَنْدَقَهُمْ . وَتَبَيَّنَتِ الرُّومُ بِبَاهَانَ وَفَرِحَ الْمُسْلِمُونَ بِخَالِدٍ وَحَرَدَ
 الْمُسْلِمُونَ وَحَرَدَ الرُّومُ وَهُمْ أَرْبَعُونَ وَمِائَتَا أَلْفٍ مِنْهُمْ فَأَتَوْنَ أَلْفَ
 مَقْبَدٍ وَأَرْبَعُونَ أَلْفَ مُسَلِّسٍ لِلْمَوْتِ وَأَرْبَعُونَ أَلْفًا مُرَبُّطُونَ بِالْعِمَاهِ
 وَثَمَانُونَ أَلْفَ رَاجِلٍ وَالْمُسْلِمُونَ سَبْعَةَ وَعِشْرُونَ أَلْفًا مِنْهُمْ كَانَ مِنْهُمْ
 إِلَى أَنْ قَدِمَ عَلَيْهِمْ خَالِدٌ فِي نِسْعَةِ آلاَفٍ فَصَارُوا سِنَّةً وَثَلَاثِينَ أَلْفًا وَمَرِضَ
 أَبُو بَكْرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي جُمَادَى الْأُولَى وَتَوُفِّيَ لِلنِّصْفِ مِنْ جُمَادَى الْآخِرَةِ
 قَبْلَ الْفَتْحِ بِعَشْرِ لَيَالٍ

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ قَدْ سَمِيَ لِكُلِّ أَمِيرٍ مِنْ أَمْرَاءِ الشَّامِ كُورَةً .
 فَسَمِيَ لِأَبِي عَيْنَةَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحِرَاحِ حِمَصَ . وَلِيزِيدَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ
 دِمَشْقَ . وَلِشُرَحْبِيلَ بْنِ حَسَنَةَ الْأَرْضَنَ . وَلِعَبْرَةَ بْنِ الْعَاصِ وَلِعَلْقَمَةَ بْنِ
 مِحْصَنٍ فِلَسْطِينَ . فَلَمَّا فَرَّغَا مِنْهَا نَزَلَ عَلْقَمَةُ وَسَارَ إِلَى مِصْرَ . فَلَمَّا شَارَفُوا
 الشَّامَ دَخَلَ كُلُّ أَمِيرٍ مِنْهُمْ قَوْمَ كَنْدَرٍ فَاجْتَمَعَ رَأْيُهُمْ عَلَى أَنْ يَخْتَبِعُوا بِمَكَانٍ
 وَاحِدٍ وَأَنْ يَلْقُوا جَمْعَ الرُّومِ بِجَمْعِ الْمُسْلِمِينَ

مُرُورُ خَالِدٍ مِنَ الْعِرَاقِ إِلَى الشَّامِ

كَتَبَ أَبُو بَكْرٍ إِلَى خَالِدٍ وَهُوَ بِالنَّجْدِ بِأَمْرٍ أَنْ يَهْدِيَ أَهْلَ الشَّامِ بَيْنَ
 مَعَهُ مِنْ أَهْلِ الْقُوَّةِ وَيَخْرُجَ فِيهِمْ وَيَسْتَحْلِفَ عَلَى ضَعْفَةِ النَّاسِ رَجُلًا مِنْهُمْ .

فَلَمَّا أَتَى خَالِدًا كَتَبَ أَبِي بَكْرٍ بِذَلِكَ قَالَ خَالِدٌ: هَذَا عَمَلُ الْأَعْيَسِرِ ابْنِ
 أُمِّ شَمْلَةَ يَعْنِي عُمرَ بْنَ الْخَطَّابِ حَسَدَنِي أَنْ يَكُونَ فَنَحْنُ الْعِرَاقِيُّ عَلَى يَدَيْهِ.
 فَسَارَ خَالِدٌ بِأَهْلِ الْقُوْفِ مِنَ النَّاسِ وَرَدَّ الضُّعْفَاءُ وَالنِّسَاءُ إِلَى الْمَدِينَةِ
 وَأَمَرَ عَلَيْهِمُ عُمرُ بْنُ سَعْدٍ الْأَنْصَارِيَّ وَاسْتَخْلَفَ خَالِدٌ عَلَى مَنْ أَسْلَمَ
 بِالْعِرَاقِ مِنْ رِبِيعَةَ وَغَيْرِهِمُ الْمُثَنَّى بْنُ حَارِثَةَ الشَّيْبَانِيَّ. ثُمَّ سَارَ حَتَّى نَزَلَ
 عَلَى عَيْنِ الثَّمَرِ فَأَغَارَ عَلَى أَهْلِهَا فَأَصَابَ مِنْهُمْ وَرَابِطًا حِصْنًا بِهَا فِيهِ مُقَاتِلَةٌ
 كَانَتْ كِسْرَى وَضَعَهُمْ فِيهِ حَتَّى اسْتَرْكَلَهُمْ. فَضَرَبَ أَعْنَاقَهُمْ وَسَيَّ مِنْ عَيْنِ
 الثَّمَرِ وَمِنْ أَبْنَاءِ تِلْكَ الرِّابِطَةِ سَبَايَا كَثِيرَةً فَبَعَثَ بِهَا إِلَى أَبِي بَكْرٍ. فَكَانَ
 مِنْ تِلْكَ السَّبَايَا أَبُو عَمْرٍو مَوْلَى شَبَّانَ وَهُوَ أَبُو عَبْدِ الْأَعْلَى ابْنُ أَبِي عَمْرٍو
 وَعَيْنَةُ مَوْلَى الْمُعْنَى مِنَ الْأَنْصَارِ مِنْ بَنِي زُرَيْفٍ وَأَبُو عَبْدِ اللَّهِ مَوْلَى زُهْرَةَ
 وَخَبِيرٌ مَوْلَى أَبِي دَاوُدَ الْأَنْصَارِيِّ ثُمَّ أَحْدَثَ بَنِي مَازِنَ بْنِ النَّجَّارِ وَيَسَارًا
 وَهُوَ جَدُّ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ مَوْلَى قُبَيْسِ بْنِ حِزْمَةَ بْنِ الْمُطَّلِبِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ
 وَأَفْلَحَ مَوْلَى أَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ ثُمَّ أَحْدَثَ بَنِي مَلِكِ بْنِ النَّجَّارِ وَحَمْرَانُ
 بْنُ أَبَانَ مَوْلَى عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ. وَقَتَلَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ هِلَالَ بْنَ عَقْبَةَ بْنِ
 بِشْرِ الْغَمَرِيِّ وَصَلَبَهُ بِعَيْنِ الثَّمَرِ. ثُمَّ أَرَادَ السَّيْرَ مُغَوِّرًا مِنْ فُرَافِرٍ وَهُوَ مَا
 لِكَلْبِ إِلَى سُوَى وَهُوَ مَاءٌ لَيْهَرَاءَ بَيْنَهَا خَمْسُ لَيَالٍ. فَلَمْ يَهْتَدِ خَالِدُ
 الطَّرِيقَ فَاتَّخَذَ دَلِيلًا فَدُلَّ عَلَى رَافِعِ بْنِ عِمْرَةَ الطَّائِيِّ فَقَالَ لَهُ خَالِدٌ:
 أَنْطَلِقْ بِالنَّاسِ: فَقَالَ لَهُ رَافِعٌ: إِنَّكَ لَنْ تُطِيقَ ذَلِكَ بِالتَّحْمِيلِ وَالْأَثْقَالِ
 وَاللَّهُ إِنْ الرَّاكِبَ الْمَفْرَدَ لَيَخَاضُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَا بَسَلُكُمَا إِلَّا مُغَرَّرًا. إِنَّهَا لِحَمْسُ
 لَيَالٍ حِبَادٍ لَا بَصَابَ فِيهَا مَا مَعَ مَضَلَّتِهَا. فَقَالَ لَهُ خَالِدٌ: وَنَحْمَكَ إِنَّهُ وَاللَّهِ

إِنَّ لِي بَدْءَ مِنْ ذَلِكَ إِنَّهُ قَدْ أَتَنِي مِنَ الْأَمِيرِ عَزْمَةٌ بِذَلِكَ فَهَرِ بِأَمْرِكَ. قَالَ
 اسْتَغْنُوا مِنَ الْهَاءِ مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَصُرَ أَخْتَنَ نَاقِيَهُ عَلَى مَا فُلَيْفَعَلْ
 فَإِنَّهَا الْهَاءُ لَكَ إِلَّا مَا دَفَعَ اللَّهُ. وَأَلْفَنِي عِشْرِينَ جُزُورًا عِظَامًا مِثْلًا مِثَارِ ف.
 فَأَتَاهُ مِنْ خَالِدٍ فَعَمِدَ إِلَيْهِ رَافِعٌ فَظَمَاهُنَّ حَتَّى إِذَا أَجْهَدَهُنَّ عَطَشًا
 أَوْرَدَهُنَّ فَشَرِبْنَ حَتَّى إِذَا تَمَلَّاتْ عَمِدَ إِلَيْهِنَّ فَقَطَعَ مَشَافِرَهُنَّ ثُمَّ
 كَعَمَهُنَّ لِلَّاحِظِينَ. ثُمَّ أَخْلَى أَدْبَارَهُنَّ. ثُمَّ قَالَ لِلْخَالِدِ سِرَّ فَسَارَ خَالِدٌ مَعَهُ
 مُغْدًا بِالنَّحْبُولِ وَالْأَقْنَالِ فَكَلَّمَا نَزَلَ مَتْرًا لَاقَتُهُمَا أَرْبَعًا مِنْ ذَلِكَ الشُّوَارِفِ
 فَأَخَذَهَا فِي أَكْرَاسِهَا فَسَفَاهُ النَّحْلَ. ثُمَّ شَرِبَ النَّاسُ مَا حَمَلُوا مَعَهُمْ مِنَ
 الْهَاءِ. فَلَمَّا خَشِيَ خَالِدٌ عَلَى أَصْحَابِهِ فِي آخِرِ يَوْمٍ مِنَ الْمُنَازَعَةِ قَالَ لِرَافِعِ
 بْنِ عَدِيَّةٍ وَهُوَ أَرْمَدُ: وَنَحَكَ يَا رَافِعُ مَا عِنْدَكَ: قَالَ أَذْرَكْتُ الرِّبَّ إِنِ
 شَاءَ اللَّهُ. فَلَمَّا دَنَا مِنَ الْعَلَمِينَ قَالَ لِلنَّاسِ: أَنْظَرُوا هَلْ نَرَوْنَ شَيْعَةً مِنْ
 عَوْسَجٍ كَعَمَدَةِ الرَّجُلِ: فَقَالُوا مَا نَرَاهَا: فَقَالَ: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ.
 هَلَكْتُمْ وَاللَّهِ إِذَا وَهَلَكْتُ. أَنْظَرُوا. فَطَلَبُوهَا فَوَجَدُوهَا فُطِعَتْ وَبَقِيََتْ مِنْهَا
 بَقِيَّةٌ. فَلَمَّا رَأَاهَا الْمُسْلِمُونَ كَبَرُوا وَكَبَّرَ رَافِعُ بْنُ عَدِيَّةٍ ثُمَّ قَالَ: أَحْبِرُوا
 فِي أَصْلِهَا: فَتَحَفَرُوا فَاسْتَخْرَجُوا عَيْنًا فَشَرِبُوا حَتَّى رَوَى النَّاسُ فَأَتَصَلَّتْ بَعْدَ
 ذَلِكَ لِلْخَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ الْمُنَازِلُ فَقَالَ: وَاللَّهِ مَا وَرَدَتْ هَذَا الْهَاءُ قَطُّ
 إِلَّا مَرَّةً وَاحِدَةً وَرَدَتْهُ مَعَ أَبِي وَأَنَا غُلَامٌ. فَقَالَ شَاعِرٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ
 اللَّهُ عَيْنَا رَافِعٍ أَنِّي أَهْتَدَى فَوْزَ مِنْ قُرَافِرٍ إِلَى سَوَى
 خِمْسًا إِذَا مَا سَارَهُ الْجَبَشُ بَنِي مَا سَارَهَا قَبْلَكَ إِنِّي بَرِي
 فَلَمَّا أَتَاهُ خَالِدٌ إِلَى سَوَى أَغَارَ عَلَى أَهْلِهِ وَهُوَ بِهَرَاةٍ قَبْلَ الضُّحَى وَنَاسٌ

مِنْهُمْ يَشْرَبُونَ خَمْرًا لَمْ فِي جَفْنَةٍ قَدِ اجْتَمَعُوا عَلَيْهَا وَمَعْنِيهِمْ يَقُولُ
 أَلَا عَلَّلَانِي قَبْلَ جَيْشِ أَبِي بَكْرٍ لَعَلَّ مَنَايَانَا قَرِيبٌ وَمَا تَنْدَرِي
 أَلَا عَلَّلَانِي بِالنُّزَاجِ وَكَرَّرَا عَلَى كُمَيْتِ اللَّوْنِ صَافِيَةً تَجْرِي
 أَلَا عَلَّلَانِي مِنْ مُلَاقَةِ قَهْوَةٍ نُسَلَّى هُوَمُ النَّفْسِ مِنْ جَيْدِ الْخَمْرِ
 أَظُنُّ خِيُولَ الْمُسْلِمِينَ وَخَالِدًا سَطَرُكُمْ قَبْلَ الصَّبَاحِ مِنَ الْبُشْرِ
 قَهْلَ لَكُمْ فِي السَّيْرِ قَبْلَ فِتْنَاهُمْ وَقَبْلَ خُرُوجِ الْمَعْصِرَاتِ مِنَ الْخِذْرِ
 قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ فَيَزْعُمُونَ أَنَّ مَعْنِيهِمْ ذَلِكَ قَتِلَ تَحْتَ الْغَارَةِ فَسَالَ دَمُهُ
 فِي تِلْكَ الْجَفْنَةِ ثُمَّ سَارَ عَلَى وَجْهِهِ ذَلِكَ حَتَّى أَغَارَ عَلَى غَسَّانَ بَسْرَجَ رَاهِطٍ
 ثُمَّ سَارَ حَتَّى نَزَلَ عَلَى فِتْنَةِ بُصْرَى وَعَلَيْهَا أَبُو عَيْنَةَ بْنُ الْجُرَّاجِ وَشُرْحَيْلُ
 بْنُ حَسَنَةَ وَيزِيدُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ فَاجْتَمَعُوا عَلَيْهَا فَرَا بَطُوا حَتَّى صَاغَتْ
 بُصْرَى عَلَى الْحِزْبِ وَفَتَحَهَا اللَّهُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ فَكَانَتْ أَوَّلَ مَدِينَةٍ مِنْ
 مَدَائِنِ الشَّامِ فُتِحَتْ فِي خِلَافَةِ أَبِي بَكْرٍ

مَعْرَكَةُ أَجْنَادِينَ

ثُمَّ سَارُوا جَمِيعًا إِلَى فِلَسْطِينَ مَدَنَ الْعَبْرِيِّ بْنِ الْعَاصِ وَعَمَرُوهُ مُبِيمٌ
 بِالْعَرَبَاتِ مِنْ غَوْرِ فِلَسْطِينَ وَسَمِعَتْ الرُّومُ بِهِمْ فَانْكَشَفُوا عَنْ جِلْقٍ إِلَى
 أَجْنَادِينَ وَعَلَيْهِمْ تَذَارِيقُ أَخُو هِرْقُلَ لِأَيِّهِ وَأُمِّهِ وَأَجْنَادِينَ بِلَدِّ بَيْنَ الرَّمْلَةِ
 وَبَيْتِ حَبْرِينَ مِنْ أَرْضِ فِلَسْطِينَ. وَسَارَ عَمَرُو بْنُ الْعَاصِ حِينَ سَمِعَ بِأَبِي
 عَيْنَةَ بْنِ الْجُرَّاجِ وَشُرْحَيْلِ بْنِ حَسَنَةَ وَيزِيدَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ حَتَّى لَقِيَهُمْ
 فَاجْتَمَعُوا بِأَجْنَادِينَ حَتَّى عَسَكُرُوا عَلَيْهِمْ

حَدَّثَنَا أَبُو حَمْدٍ قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ عَنْ مُحَمَّدٍ بْنِ إِسْحَاقَ عَنْ مُحَمَّدٍ

بَنِ جَعْفَرٍ يَعْنِي ابْنَ الزُّبَيْرِ عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ أَنَّهُ قَالَ: كَانَ عَلَى الرُّومِ
 رَجُلٌ مِنْهُمْ يُقَالُ لَهُ الْفَنْقَلَارُ كَانَ هِرَقْلُ اسْتَحْلَنَهُمْ وَاسْتَحْلَنَهُ عَلَى أَمْرِ الشَّامِ
 حِينَ سَارَ إِلَى الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ وَإِلَيْهِ أَنْصَرَفَ تَذَارِيقُ بَنِي مَعَهُ مِنَ الرُّومِ.
 فَأَمَّا عَلَيْهِمُ الشَّامِ فَبَزَعُمُونَ أَمَّا كَانَتْ عَلَى الرُّومِ تَذَارِيقُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ.
 حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ عَنْ مُحَمَّدٍ بْنِ جَعْفَرٍ
 بْنِ الزُّبَيْرِ عَنْ عُرْوَةَ قَالَ: لَمَّا تَدَاوَى الْعُسْكَرَانِ بَعَثَ الْفَنْقَلَارُ رَجُلًا غَرِيبًا
 فَقَالَ مُخِذْتُ أَنْ ذَلِكَ الرَّجُلُ رَجُلٌ مِنْ فُضَاعَةَ مِنْ بَنِي يَزِيدَ بْنِ حَبْدَانَ
 يُقَالُ لَهُ ابْنُ هَزَارِيقَ فَقَالَ: أَدْخُلْ فِي هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ وَلَمْ فِيهِمْ يَوْمًا وَلَيْلَةً
 ثُمَّ أَتَيْتَنِي بِخَبَرِهِمْ. قَالَ فَدَخَلَ فِي النَّاسِ رَجُلٌ عَرَبِيٌّ لَا يَنْكُرُ وَأَقَامَ فِيهِمْ
 يَوْمًا وَلَيْلَةً ثُمَّ أَتَاهُ فَقَالَ: مَا وَرَأَيْتُكَ. قَالَ: بِاللَّيْلِ رُهْبَانٌ وَبِالنَّهَارِ فُرْسَانٌ
 وَلَوْ سَرَقَ ابْنُ مَلِكِهِمْ قُطِعَتْ يَدُهُ وَلَوْ زَنَى رُجْمٌ لِإِقَامَةِ الْحَقِّ فِيهِمْ. قَالَ
 الْفَنْقَلَارُ: لَيْتَ كُنْتُ صَدَقْتَنِي لَبَطُنُ الْأَرْضِ خَيْرٌ مِنْ لِقَاءِ هَؤُلَاءِ عَلَى
 ظُهُورِهِمْ وَلَوْ كَذَبْتُ أَنْ حَظِي مِنَ اللَّهِ أَنْ يُحْيِيَ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَلَا يَنْصُرَنِي عَلَيْهِمْ
 وَلَا يَنْصُرُهُمْ عَلَيَّ. قَالَ: ثُمَّ تَزَاخَفَ النَّاسُ فَاقْتَتَلُوا. فَلَمَّا رَأَى الْفَنْقَلَارُ مَا
 رَأَى مِنْ قِتَالِ الْمُسْلِمِينَ قَالَ لِلرُّومِ لِنُورِ أَسِي يَثُوبِرَ. فَأَلَوْا لَهُ لِمَ. قَالَ
 يَوْمَ الْيَسْرِ لَا أَحِبُّ أَنْ أَرَاهُ قَرَأْتُ فِي الدُّنْيَا أَشَدَّ مِنْ هَذَا الْيَوْمِ. قَالَ:
 فَاجْتَزَأَ الْمُسْلِمُونَ رَأْسَهُ وَهُوَ لَمْ يَفْ. وَكَانَتْ وَفْعَةُ أَجْنَادِينَ فِي سَنَةِ ثَلَاثِ
 عَشْرَةَ لِلْبَلْتَيْنِ بَقِيَتَا مِنْ جَادَى الْأُولَى وَقُتِلَ يَوْمَئِذٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ
 جَمَاعَةٌ مِنْهُمْ سَلَمَةُ بْنُ هِشَامٍ بْنُ الْبَغِيغِ وَهَبَارُ بْنُ الْأَسْوَدِ بْنِ عَبْدِ الْأَسَدِ
 وَنَعِيمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ النَّحَّامُ وَهِشَامُ بْنُ الْعَاصِ بْنِ وَائِلٍ وَجَمَاعَةٌ أُخَرُ مِنْ

فَرَبَشِي. قَالَ: وَلَمْ يُسَمَّ النَّاسُ مِنْ الْأَنْصَارِ أَحَدًا أَصِيبَ بِهَا، وَفِيهَا تُورِي
أَبُو بَكْرٍ لِلْهَمَانِ لِبَالٍ بَقِيْنَ أَوْ سَبْعَ بَقِيْنَ مِنْ جِمَادَى الْآخِرَةِ
فِي أَفْتِنَا حِ دِمَشَقَ

رَجَعَ الْحَدِيثُ إِلَى حَدِيثِ سَيْفٍ عَنْ أَبِي عُمَرَ عَنْ خَالِدٍ وَأَبِي عُبَادَةَ
قَالَا: وَلَمَّا جَاءَ عُمَرُ الْكِتَابُ عَنْ أَبِي عَيْنَةَ بِالَّذِي يَنْبَغِي أَنْ يَدَّيْهِ
كَتَبَ إِلَيْهِ. أَمَا بَعْدُ فَأَبْدُوا بِدِمَشَقَ وَأَنْهَدُوا فَإِنَّهَا حِصْنُ الشَّامِ وَبَيْتُ
مَمْلُوكِهِمْ وَاشْغُلُوا عَنْكُمْ أَهْلَ فَحْلٍ بِحَبْلِ تَكُونُ بَارِئِينَ فِي مُحُورِهِمْ وَأَهْلَ
فِلَسْطِينَ وَأَهْلَ حِمَصَ. فَإِنْ فَتَحَهَا اللَّهُ قَبْلَ دِمَشَقَ فَذَاكَ الَّذِي يَحِبُّ وَإِنْ
تَأَخَّرَ فَتَحَهَا حَتَّى يَفْتَحَ اللَّهُ دِمَشَقَ فَلْيَنْزِلْ بِدِمَشَقَ مَنْ يَمْسُكُ بِهَا وَدَعُوهَا
وَأَنْطَلِقْ أَنْتَ وَسَائِرُ الْأُمَرَاءِ حَتَّى تُغِيرُوا عَلَى فَحْلٍ. فَإِنْ فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ
فَانْصَرِفْ أَنْتَ وَخَالِدٌ إِلَى حِمَصَ وَدَعِ شُرَحْبِيلَ وَعَمْرًا وَخَلِيفَتَهُمَا بِالْأَرْضَيْنِ
وَفِلَسْطِينَ. وَأَمِيرُ كُلِّ بَلَدٍ وَجَدِي عَلَى النَّاسِ حَتَّى يُخْرِجَ مِنْ أَمَارَتِهِمْ.
فَسَرَحَ أَبُو عَيْنَةَ إِلَى فَحْلٍ أَحَدَ عَشَرَ قَوَادًا أَبَا الْأَعْوَرِ السُّلَمِيِّ وَعَبْدَ
الرَّحْمَنِ بْنِ زَيْدِ بْنِ عَامِرٍ الْحَرَنِيِّ وَعَامِرَ بْنَ حَنْفَةَ وَعَمْرَ بْنَ كَلْبَةَ مِنْ
بَحْصَ وَعُمَارَةَ بْنَ الصَّعْنِيِّ بْنِ كَعْبٍ وَصَفِيَّ بْنَ عَلِيَّةَ بْنَ شَامِلٍ. وَعَمْرَ
بْنَ فُلَانٍ وَالْحَبِيبَ بْنَ عَمْرِو وَرَيْدَةَ بْنَ عَامِرٍ بْنَ خَشْعَةَ وَبِشْرَ بْنَ عِصْمَةَ
وَعُمَارَةَ بْنَ مُحْشَبٍ فَإِنَّهُ النَّاسِ. وَمَعَ كُلِّ رَجُلٍ قَوَادٌ وَكَانَتِ الرُّوسَاءُ
تَكُونُ مِنَ الصَّحَابَةِ حَتَّى لَا يَجِدُوا مَنْ يَحْنِلُ ذَلِكَ. فَسَارُوا مِنْ أَصْفَرٍ
حَتَّى نَزَلُوا قَرِيبًا مِنْ فَحْلٍ. فَلَمَّا رَأَتْ أَرْوَمُ أَنَّ الْجُنُودَ تُرِيدُهُمْ بَقُوا الْبَيَاءَ
حَتَّى نَزَلَ فَحْلٌ فَأَرَادَتْ الْأَرْضَ ثُمَّ وَجَلَتْ وَأَغَمَّ الْمُسْلِمُونَ مِنْ ذَلِكَ

فَحَبَسُوا مِنَ الْمُسْلِمِينَ بِهَا ثَلَاثِينَ أَلْفَ فَارِسٍ وَكَانَ أَوَّلَ مُحْصَرٍ بِالشَّامِ
أَهْلُ فَخْلٍ ثُمَّ أَهْلُ دِمَشْقَ

وَبَعَثُوا الْأَمْرَاءَ وَبَعَثَ أَبُو عُبَيْدَةَ ذَا الْكَلَّاعِ حَتَّى كَانَ بَيْنَ دِمَشْقَ
وَخِصَصَ رِذَاءً. وَبَعَثَ عَلْقَمَةَ بْنَ حَكِيمٍ وَمَسْرُوقًا وَكَانَا بَيْنَ دِمَشْقَ
وَفِلَسْطِينَ وَالْأَمِيرَ بَزِيدَ فَفَصَلَ وَقَصَلَ بِأَبِي عُبَيْدَةَ مِنَ الْمَرْجِ وَقَدِمَ
خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ وَعَلَى مُجَنَّبَتَيْهِ عَمْرُوًا أَبُو عُبَيْدَةَ. وَعَلَى الْخَبْلِ عِيَّاضٌ وَعَلَى
الرَّجْلِ شُرَحْبِيلٌ. فَقَدِمُوا عَلَى دِمَشْقَ وَعَلَيْهِمْ نَسْطَاسُ بْنُ نَسْطُوسَ فَحَصَرُوا
أَهْلَ دِمَشْقَ وَنَزَلُوا حَوْلَهَا. فَكَانَ أَبُو عُبَيْدَةَ عَلَى نَاحِيَةٍ وَعَمْرُوًا عَلَى نَاحِيَةٍ
وَبَزِيدٌ عَلَى نَاحِيَةٍ وَهَرَقْلُ يَوْمَنِي بِمَحْصَصَ وَمَدِينَةُ خِصَصَ بَيْنَهُمْ.
فَحَاصَرُوا أَهْلَ دِمَشْقَ نَحْوًا مِنْ سَبْعِينَ لَيْلَةً حِصَارًا شَدِيدًا بِالزُّخُوفِ
وَالنَّارِ وَالْمَجَانِينِ وَهُمْ مُعْتَصِمُونَ بِالْمَدِينَةِ بِرَجُوعِ الْغِيَاثِ وَهَرَقْلُ مِنْهُمْ
قَرِيبٌ. وَقَدِمَ اسْتَمْدُوهُ وَخُوُّ الْكَلَّاعِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَبَيْنَ خِصَصَ عَلَى رَأْسِ
لَيْلَةٍ مِنْ دِمَشْقَ كَأَنَّهُ يُرِيدُ خِصَصَ وَجَاءَتْ خُبُولُ هَرَقْلَ مُغِيثَةً لِأَهْلِ دِمَشْقَ
فَأَشْجَنَهَا الْخُبُولُ أَلَيْ مَعَ ذِي الْكَلَّاعِ وَشَغَلَتْهَا عَنِ النَّاسِ. فَأَرَزُوا وَنَزَلُوا
بِأَزَائِهِ وَأَهْلُ دِمَشْقَ عَلَى حَالِهِمْ. فَلَمَّا آتَيْنِ أَهْلُ دِمَشْقَ أَنَّ الْأَمْدَادَ
لَا بَصَلَ إِلَيْهِمْ فَشَلُّوا وَمَتُّوا وَأَبْلَسُوا وَازْدَادَ الْمُسْلِمُونَ فِيهِمْ طَمَعًا. وَقَدْ
كَانُوا يَرَوْنَ أَنَّهَا كَالْغَزَايَاتِ قَبْلَ ذَلِكَ إِذَا هَمَّ الْبَرْدُ قَتَلَ النَّاسُ فَسَقَطَ
الْجَمُّ وَالْقَوْمُ مُقِيمُونَ

فَعِنْدَ ذَلِكَ انْفَطَعَ رَجَاؤُهُمْ وَتَدِمُّوا عَلَى دُخُولِ دِمَشْقَ وَوُلِدَ لِلْبَطْرِيقِ
الَّذِي عَلَى أَهْلِ دِمَشْقَ مَوْلُودٌ فَصَنَعَ عَلَيْهِ فَكَّلَ الْقَوْمَ وَشَرِبُوا وَعَدَلُوا عَنْ

مَوَافِقِهِمْ وَلَا يَشْعُرُ بِذَلِكَ أَحَدٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ إِلَّا مَا كَانَ مِنْ خَالِدٍ فَإِنَّهُ
 كَانَ لَا يَتَأَمَّرُ وَلَا يُنِيمُ وَلَا يَخْفَى عَلَيْهِ مِنْ أُمُورِهِمْ شَيْءٌ. عِيُونُهُ ذَاكِيَةٌ وَهُوَ
 مُعْنَى بِمَا يَلِيهِ. قَدْ اتَّخَذَ حِجَابًا لَا كَهَيْئَةِ السَّلَالِمِ وَلَوْهَا فَا. فَلَمَّا أَمْسَى مِنْ
 ذَلِكَ الْيَوْمِ نَهَضَ وَمَنْ مَعَهُ مِنْ جُنْدِ الَّذِينَ قَدِيمَ بِهِمْ عَلَيْهِمْ وَتَقَدَّمَ هُوَ
 وَالتُّغْنَعُ بْنُ عَمْرِو وَمَذْعُورُ بْنُ عَدِيٍّ وَأَمثالُهُ مِنْ أَصْحَابِهِ فِي أَوَّلِ يَوْمِهِ
 وَقَالُوا: إِذَا سَمِعْنَا نَكِيرَنَا عَلَى السُّورِ فَأَرْقُوا إِلَيْنَا وَانْهَدُوا إِلَى الْبَابِ:
 فَلَمَّا أَتَيْنَاهُ إِلَى الْبَابِ الَّذِي يَلِيهِ هُوَ وَأَصْحَابُهُ الْمُتَقَدِّمُونَ رَمَوْا بِالْحِجَالِ
 الشَّرَفَ وَعَلَى ظُهُورِهِمُ الْقِرْبُ الَّتِي قَطَعُوا بِهَا خَنْدَقَهُمْ. فَلَمَّا ثَبَتَ لَهُمْ وَهْنَانِ
 تَسَلَّقَ فِيهَا التُّغْنَعُ وَمَذْعُورُ. ثُمَّ لَمْ يَدْعَا أَحَدًا أَحْبُولَةً إِلَّا ثَبَتَاهَا وَالْأَوْهَاقَ
 بِالْشَّرَفِ. وَكَانَ الْمَكَانُ الَّذِي أَفْتَحُوا مِنْهُ أَحْصَنَ مَكَانٍ يُحِيطُ بِدِمَشْقَ
 أَكْثَرُ مَا وَأَشَدُّ مَدْخَلًا وَتَوَافَوْا لِذَلِكَ فَلَمْ يَبْقَ مِنْ دَخَلٍ مَعَهُ إِلَّا
 رَقِيٌّ أَوْ دَنَانٍ مِنَ الْبَابِ حَتَّى إِذَا اسْتَوَوْا عَلَى السُّورِ حَذَرَ عَامَّةُ أَصْحَابِهِ وَاتَّخَذَ
 مَعَهُمْ وَخَلْفَ مَنْ يَحِيطُ ذَلِكَ الْمَكَانَ لِيَنْ يَرْتَفِعَ. وَأَمَرَهُمُ بِالْكَفْرِ فَكَبَّرَ
 الَّذِينَ عَلَى رَأْسِ السُّورِ. فَهَذَا الْمُسْلِمُونَ إِلَى الْبَابِ وَمَالَ إِلَى الْحِجَالِ
 بِشَرِّ كَيْفٍ قَوَّيْنَاهُ فِيهَا وَأَتَيْنَاهُ خَالِدٌ إِلَى مَنْ يَلِيهِ فَأَنَامَهُمْ وَاتَّخَذَ إِلَى
 الْبَابِ فَقَتَلُوا الْبَوَائِنَ وَنَارَ أَهْلِ الْمَدِينَةِ وَفَزَعَ سَائِرُ النَّاسِ. فَأَخَذُوا
 مَوَاقِفَهُمْ وَلَا يَذَرُونَ مَا الشَّانَ وَتَشَاغَلَ أَهْلُ كُلِّ نَاحِيَةٍ بِمَا يَلِيهِمْ. وَقَطَعَ
 خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ وَمَنْ مَعَهُ أَغْلَقَ الْبَابَ بِالسُّيُوفِ وَفَتَحُوا لِلْمُسْلِمِينَ
 رَاقِبُوا عَلَيْهِمْ مِنْ دَاخِلٍ حَتَّى مَا بَقِيَ مِمَّا بَلَى بَابَ خَالِدٍ مَقَاتِلَ إِلَّا أُتِيمَ
 وَلَهَا شَدَّ خَالِدٌ عَلَى مَنْ يَلِيهِ وَبَلَغَ مِنْهُمْ الَّذِي أَرَادَ عُنُوقَهُ وَلَزَزَ مَنْ

أَفَلَتَ إِلَى الْأَبْوَابِ الَّتِي تَلِي غَيْرَهُ. وَقَدْ كَانَ الْمُسْلِمُونَ دَعَوْهُمْ إِلَى
 الْمُنَاطَرَةِ فَأَبَوْا وَاتَّعَدُوا فَلَمْ تَنْجَاهُمْ إِلَّا وَهُمْ يَبُوحُونَ لَهُمْ بِالضَّلْحِ. فَأَجَابُوهُمْ
 وَقِيلُوا مِنْهُمْ وَفَتَحُوا لَهُمُ الْأَبْوَابَ وَقَالُوا: أَذْخُلُوا فَأَمْنَعُونَا مِنْ أَهْلِ ذَلِكَ
 الْبَابِ: وَدَخَلَ أَهْلُ كُلِّ بَابٍ بِضَلْحٍ مِنْ بِلَهِمْ وَدَخَلَ خَالِدٌ مِمَّا بِلَيْهِ عَنُوةٌ.
 فَأَتَنَى خَالِدٌ وَالْقَوَادُ فِي وَسْطِهَا هَذَا اسْتِعْرَاضًا وَأَتْنَهَا بَا وَهَذَا ضُحَا وَتَسْكِينًا
 فَأَجْرُوا نَاحِيَةَ خَالِدٍ مُجْرَى الضَّلْحِ. فَصَارَ ضُلْحٌ وَكَانَ ضُلْحٌ دِمَشْقَ عَلَى
 مُقَاسَةِ الدِّينَارِ وَالْعَفَارِ وَدِينَارٍ عَلَى كُلِّ رَأْسٍ. فَأَقْتَسَمُوا الْأَسْلَابَ
 فَكَانَ أَصْحَابُ خَالِدٍ فِيهَا كَأَصْحَابِ سَائِرِ الْقَوَادِ وَجَرَى عَلَى الدِّينَارِ مَنْ بَقِيَ
 فِي الضَّلْحِ جَرِيبٌ مِنْ كُلِّ جَرِيبِ أَرْضٍ وَوَقَفَ مَا كَانَ لِلْمُلُوكِ وَمَنْ
 صَوَّبَ مَعَهُمْ قَيْثًا وَقَسَمُوا لِذِي الْكَلَّاعِ وَمَنْ مَعَهُ وَلَإِي الْأَعْرَرِ وَمَنْ مَعَهُ
 وَلِشِيرٍ وَمَنْ مَعَهُ وَبَعَثُوا بِالْإِشَارَةِ إِلَى عُمَرَ

فِي أَفْتِنَاجِ بِلَادِ فَارِسَ

وَقَعَةُ الْفَرَفِسِ

وَقَعَةُ الْفَرَفِسِ وَيُقَالُ لَهَا الْفُسُّ فَسُّ النَّاطِقِ وَيُقَالُ لَهَا الْخِسْرُ وَيُقَالُ لَهَا
 الْمَرْوَحَةُ: قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ الطَّبْرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ. كَتَبَ إِلَيَّ السَّرِيُّ عَنْ
 شُعَيْبٍ عَنْ سَيْفٍ عَنْ مُحَمَّدٍ وَطَلْحَةَ وَزِيَادَ بِإِسْنَادِهِمْ قَالُوا: وَلَكَمَا رَجَعَ
 الْحَاجِلِيُّوسُ إِلَى رُسْتَمَ وَمَنْ أَفَلَتَ مِنْ جُنُودِهِ قَالَ رُسْتَمُ: أَيْبُ الْعَجْمِ أَشَدُّ
 عَلَى الْعَرَبِ فِيمَا تَرَوْنَ: قَالُوا: بَهْمُنُ جَادُوبِيهِ. فَوَجَّهَهُ وَمَعَهُ فَيْلُهُ وَرَدَّ
 الْحَاجِلِيُّوسَ مَعَهُ: فَقَالَ لَهُ: قَدِيمُ الْحَاجِلِيُّوسِ فَإِنْ عَادَ لِهَيْلِهَا فَأَضْرِبْ عَنْقَهُ.
 فَأَقْبَلَ بَهْمُنُ جَادُوبِيهِ وَمَعَهُ دِرْفُسٌ كَايِبَاتٌ رَايَةُ كِسْرَى وَكَانَتْ مِنْ

جُودِ الثَّمَرِ عَرَضَ ثَمَانِي أَذْرُعٍ فِي طُولِ اثْنَيْ عَشْرَةَ ذِرَاعًا. فَأَقْبَلَ أَبُو
 عُيَيْنَةَ حَتَّى نَزَلَ الرُّوحَةَ مَعَ الْبُرُوجِ وَالْعَاقُولِ. فَبَعَثَ إِلَيْهِ بِهِنَ جَادُوِيَهُ.
 إِمَّا أَنْ تَعْبُرُوا إِلَيْنَا وَتَدْعَعُمْ وَالْعُبُورَ. وَإِمَّا أَنْ تَدْعُونَا نَعْبُرَ إِلَيْكُمْ: فَقَالَ
 النَّاسُ: لَا تَعْبُرْ يَا أَبَا عُيَيْنَةَ إِنَّا نَنْهَاكَ عَنِ الْعُبُورِ. قَالُوا لَهُ: قُلْ لَهُمْ فَلْيَعْبُرُوا
 وَكَانَ مِنَ النَّاسِ عَلَيْهِ فِي ذَلِكَ سَلِيطٌ. فَلَمَّ أَبُو عُيَيْنَةَ وَتَرَكَ الرَّأْيَ وَقَالَ:
 لَا يَكُونُوا أَجْرًا عَلَى الْمَوْتِ مِنَّا بَلْ نَعْبُرْ إِلَيْهِمْ. فَعَبَرُوا إِلَيْهِمْ فِي مَثَلِ ضَيْقِ
 الْمَطَرِ وَلَمَّا ذَهَبَ فَاتَّقَنُوا يَوْمًا وَأَبُو عُيَيْنَةَ فِيمَا بَيْنَ السَّنَةِ وَالْعَشْرِ حَتَّى
 إِذَا كَانَ مِنْ آخِرِ النَّهَارِ وَاسْتَبْطَارَ جُلٌّ مِنْ ثَقِيفِ الْفُحَّ وَآلَفَ بَيْنَ النَّاسِ
 فَتَصَافَحُوا بِالسُّيُوفِ

فَعَبَرُوا إِلَيْهِمْ وَعَاضَتِ الْأَرْضُ بِأَهْلِهَا وَالْحَمُّ النَّاسُ الْحَرْبَ. فَلَمَّا
 نَظَرَتْ الْحَبُولُ إِلَى الْفِيلَةِ عَلَيْهَا التَّجْلُ وَالتَّحِيلُ عَلَيْهَا التَّجَافِيفُ وَالتَّفْرَسَانِ
 عَلَيْهِمُ الشَّعْرُ رَأَتْ شَيْئًا مُنْكَرًا لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ مِثْلَهُ. فَجَعَلَ الْمُسْلِمُونَ إِذَا
 حَمَلُوا عَلَيْهِمْ لَمْ يُقَدِّمُ خُبْرُهُمْ. فَإِذَا حَمَلُوا عَلَى الْمُسْلِمِينَ بِالْفِيلَةِ وَالتَّجَاجِلِ
 قَرَفَتْ بَيْنَ كَرَادِسِهِمْ لَا تُقِيمُ لَهَا التَّحِيلُ إِلَّا عَلَى نِفَارٍ وَحَرَقَهُمُ الْفُرسُ
 بِالنُّشَابِ وَعَاضَ الْمُسْلِمِينَ الْأَلَمَ وَجَعَلُوا لَا يَصِلُونَ إِلَيْهِمْ. فَتَرَجَّلَ
 أَبُو عُيَيْنَةَ وَتَرَجَّلَ النَّاسُ. ثُمَّ مَشَوْا إِلَيْهِمْ فَصَافَحُوهُمْ بِالسُّيُوفِ. فَجَعَلَتْ
 الْفِيلَةُ لَا تَحْمِلُ عَلَى جَمَاعَةٍ إِلَّا دَفَعَتْهُمْ. فَتَدَاوَى أَبُو عُيَيْنَةَ: أَحَارَشُوا الْفِيلَةَ
 وَقَطَعُوا بَطْنَهَا وَأَقَابُوا عَنْهَا أَهْلَهَا: وَوَأْتَبَ هُوَ الْفِيلَ الْأَبْيَضَ. فَتَعَلَّقَ
 بِبِطَانِهِ فَتَقَطَّعَهُ وَقَطَعَ الَّذِينَ عَلَيْهِ وَفَعَلَ الْقَوْمُ مِثْلَ ذَلِكَ فَأَتَرَكُوا فِيلًا إِلَّا
 حَطُوا أَهْلَهُ وَقَتَلُوا أَصْحَابَهُ فَأَهْوَسَ الْفِيلُ لِأَيِّ عُيَيْنَةَ فَتَنَحَّ مِشْفَرُهُ بِالسُّيُوفِ

فَأَنقَاهُ الْفِيلُ يَدَيْهِ فَوَقَعَ فَخَبَطَهُ الْفِيلُ وَقَامَ عَلَيْهِ . فَلَمَّا بَصُرَ بِهِ النَّاسُ تَحْتَ
 الْفِيلِ خَشَعَتْ أَنْفُسُهُمْ وَأَخَذَ اللَّوَاءُ الَّذِي كَانَ أَمْرُهُ بَعْدَهُ فَقَاتَلَ الْفِيلَ
 حَتَّى تَنَحَّى عَنْ أَبِي عُبَيْدٍ فَأَجْتَرَهُ إِلَى الْمُسْلِمِينَ فَأَخْرَزُوا وَشَلَوْهُ وَنَجَرُوا
 ثُمَّ الْفِيلُ يَدَيْهِ حَاتَ أَبِي عُبَيْدٍ وَخَبَطَهُ الْفِيلُ وَقَامَ عَلَيْهِ وَتَنَابَعَ سَبْعَةً مِنْ
 ثَقِيفٍ كُلُّهُمْ يَأْخُذُ اللَّوَاءَ وَيَقَاتِلُ حَتَّى يَمُوتَ . ثُمَّ أَخَذَ اللَّوَاءُ الْمُشَنَّى وَهَرَبَ
 النَّاسُ

فَلَمَّا رَأَى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَرْثَدٍ الثَّقَفِيَّ مَا لَفِيَ أَبُو عُبَيْدٍ وَخَلْفَاؤُهُ وَمَا بَصَعَ
 النَّاسُ بَادِرَهُمْ أَنْجَسَ فَقَطَعَهُ وَقَالَ : أَيُّهَا النَّاسُ مَوْتُوا عَلَى مَا مَاتَ عَلَيْهِ
 أُمَرَاؤُكُمْ أَوْ تَظْفَرُوا وَأَجَارَ الْمُشْرِكُونَ الْمُسْلِمِينَ إِلَى الْأَنْجَسِ وَجَشِعَ نَاسٌ
 فَتَوَاتَبُوا فِي الْفُرَاتِ فَغَرِقَ مَنْ لَمْ يَصِيرَ وَأَسْرَعُوا فِيهِمْ صَبْرًا وَحَى الْمُشَنَّى
 وَفُرْسَانُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ النَّاسَ وَنَادَى : يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا دُونُكُمْ فَأَعْبَرُوا
 عَلَى هَيْبَتِكُمْ وَلَا تَدْهَشُوا فَإِنَّا لَنْ نَزِيلَ حَتَّى نَرَاكُمْ مِنْ ذَلِكَ الْأُجَانِبِ وَلَا
 تُغَرِّقُوا أَنْفُسَكُمْ : فَوَجَدُوا الْأَنْجَسَ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَرْثَدٍ قَائِمٌ عَلَيْهِ يَمْنَعُ النَّاسَ
 مِنَ الْعُبُورِ . فَأَتَوَاهُ الْمُشَنَّى فَضْرَبَهُ وَقَالَ مَا حَمَلَكَ عَلَى الَّذِي صَنَعْتَ : قَالَ
 لِيُقَاتِلُوا . وَنَادَى مَنْ عَبَرَ . فَجَاؤُوا يُعْلَوِجُ فَضَمُّوا إِلَى السَّفِينَةِ الَّتِي قَطَعُوا
 سَفَائِبَهَا وَعَبَرَ النَّاسُ . وَكَانَ آخِرُ مَنْ قُتِلَ عِنْدَ الْأَنْجَسِ سَلِيطُ بْنُ قَيْسٍ وَعَبَرَ
 الْمُشَنَّى وَحَى جَانِبَهُ فَأَضْطَرَبَ عَسْكَرُهُ وَرَأَاهُمْ ذُو الْحَاجِبِ فَلَمْ يَقْدِرْ
 عَلَيْهِمْ . فَلَمَّا عَبَرَ الْمُشَنَّى وَحَى جَانِبَهُ أَرَفَضَ عَنْهُ أَهْلُ الْمَدِينَةِ وَبَقِيَ الْمُشَنَّى فِي
 قَلْبِهِ . كَتَبَ إِلَى السُّرَيْيِّ عَنْ شُعْبَةَ عَنْ سَيْفٍ عَنْ رَجُلٍ عَنْ أَبِي عُثْمَانَ
 الْأَنْهَدِيِّ قَالَ : هَلَكَ يَوْمَئِذٍ أَرْبَعَةُ أُلُوفٍ وَهَرَبَ أَلْفَانِ وَبَقِيَ ثَلَاثَةُ أُلُوفٍ

٤٥٠
وَقَعَةُ الْبُؤْبِ

كَتَبَ إِلَى السَّرِيَّةِ عَنْ شُعَيْبٍ عَنْ سَيْفٍ عَنْ مُحَمَّدٍ وَطَلْحَةَ وَزِيَادَ
يَا سَنَادَ هُمْ قَالُوا: وَبِعَثَ الْهَنْئِ بَعْدَ الْجَسْرِ فِيمَنْ يَلِيهِ مِنَ الْمُهَذِّبِينَ
فَتَوَاقُوا إِلَيْهِ فِي جَمْعٍ وَبَلَغَ رُسُومُ وَالْفِرْزَانِ ذَلِكَ وَأَتَتْهُمُ الْعِيُونُ بِهِ وَبِهَا
يَنْتَظِرُونَ مِنَ الْإِمْدَادِ وَاجْتَمَعَ عَلَى أَنْ يَيْعُثَا مَهْرَانَ الْمُهَذِّبَانِ حَتَّى بَرَّيَا مِنْ
رَأْيِهَا. فَخَرَجَ مَهْرَانُ فِي الْخَبُولِ وَأَمْرَاؤُهُ بِالْجَيْعِ وَبَلَغَ الْهَنْئُ الْخَبْرَ وَهُوَ
مُعْسِكِرٌ يَهْرُجُ السَّبَاحَ بَيْنَ الْقَادِسِيَّةِ وَخَفَافٍ فِي الَّذِينَ أَمَدُوهُ مِنَ
الْعَرَبِ عَنْ خَبَرِ بَشِيرٍ وَكِنَانَةَ وَيَشِيرُ يَوْمَئِذٍ بِالْجَيْعِ. فَاسْتَبَطَنَ فُرَاتَ
بَادِقِيٍّ وَارْسَلَ إِلَى جَرِيرٍ وَمَنْ مَعَهُ إِنَّا جَاءَنَا أَمْرٌ لَمْ نَسْتَطِعْ مَعَهُ الْفِيَامَ حَتَّى
تَقْدُمُوا عَلَيْنَا فَعَجَلُوا الْحَقَّ بِنَا وَمَوْعِدُكُمْ الْبُؤْبُ وَكَانَ جَرِيرٌ مُهَذِّبًا لَهُ.
وَكَتَبَ إِلَى عِصْمَةَ وَمَنْ مَعَهُ وَكَانَ مُهَذِّبًا لَهُ يَمِثِلُ ذَلِكَ وَإِلَى كُلِّ قَائِدٍ أَظْلَهُ
يَمِثِلُ ذَلِكَ وَخَذُوا عَلَى الْجُوفِ. فَسَلَكُوا عَلَى الْقَادِسِيَّةِ وَالْجُوفِ وَمَنْ
سَلَكَ مَعَهُ طَرِيقَهُ فَانْتَهَوْا إِلَى الْهَنْئِ وَهُوَ عَلَى الْبُؤْبِ بِمَا يَلِي مَوْضِعَ الْكُوفَةِ
الْيَوْمَ وَعَلَيْهِمُ الْهَنْئُ وَهُوَ بِإِزَاءِ مَهْرَانَ وَعَسْكَرِهِ. فَقَالَ الْهَنْئُ لِرَجُلٍ مِنْ
أَهْلِ السَّوَادِ مَا يُقَالُ الرُّقْعَةُ الَّتِي فِيهَا مَهْرَانُ وَعَسْكَرُهُ: قَالَ بُسْنِيَا. فَقَالَ
أَكْدَى مَهْرَانُ وَهَلَكَ عَسْكَرُهُ نَزَلَ مَنَازِلُ دُو السُّورِ. وَأَقَامَ بِمَكَانِهِ حَتَّى
كَاتَبَهُ مَهْرَانُ إِمَّا أَنْ تَعْبُرُوا إِلَيْنَا وَإِمَّا أَنْ نَعْبُرَ إِلَيْكُمْ. فَقَالَ الْهَنْئُ: أَعْبُرُوا
فَعَبَرَ مَهْرَانُ فَتَنَلَ عَلَى شَاخِي الْأَفْرَاتِ مَعَهُ فِي الْهِلَاطِ. فَقَالَ الْهَنْئُ:
كَذَلِكَ لِلرَّجُلِ. مَا يُقَالُ لِهَذِهِ الرُّقْعَةِ الَّتِي نَزَلَهَا مَهْرَانُ وَأَصْحَابُهُ وَعَسْكَرُهُ
قَالَ شُومِيَا. وَذَلِكَ فِي رَمَضَانَ. فَتَأَدَّى فِي النَّاسِ أَنْهَدُوا لِعَدُوِّكُمْ.

فَتَنَاهَدُوا وَقَدْ كَانَ الْهَيْئَةُ عَلَى الْحَيْشِ. فَجَعَلَ عَلَى مُحَبِّبَتِهِ مَدْعُورًا وَالنَّسِيرَ
وَعَلَى الْجَرَدَةِ عَاصِمًا وَعَلَى الطَّلَاحِ عَصَمَةَ وَأَصْطَفَى الْفَرِيْقَانِ وَقَامَ الْهَيْئَةُ
فِيهِمْ خَطِيْبًا فَقَالَ: إِنَّكُمْ صَوَامٌ وَالصَّوْمُ مَرْقَةٌ وَمَضْعَفَةٌ وَإِنِّي أَرَى مِنْ أَرَايِ
أَنْ تُنْطَرُوا. ثُمَّ تَقَوُّوا بِالطَّعَامِ عَلَى فِتَالٍ عَدُوِّكُمْ: قَالُوا نَعَمْ: فَأَفْطَرُوا
فَأَبْصَرَ رَجُلًا يَسْتَوْفِرُ وَيَسْتَنْتِلُ مِنَ الصَّفِّ فَقَالَ: مَا بَالُ هَذَا: فَقَالُوا:
مِنْ قَرْمِ الزَّخْفِ يَوْمَ الْحَسْرِ وَهُوَ يُدْأَنُ يَسْتَفْتِلُ فَرَعَهُ بِالرُّمَحِ وَقَالَ:
لَا أَبَا لَكَ الزَّمْ مَوْفِكَ فَإِذَا أَتَاكَ فِرْنُكَ فَأَغْبِهِ عَنْ صَاحِبِكَ وَلَا
تَسْتَفْتِلُ. قَالَ: إِنِّي بِذَلِكَ لَجِدِيرٌ فَاسْتَفَرُّوْا لِمِ الصَّفِّ. كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ
عَنْ شُعَيْبٍ عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ الشَّيْبَانِيِّ مِثْلَهُ

كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ عَنْ شُعَيْبٍ عَنْ عِيْدِ اللَّهِ بْنِ مُحِصَنِ عَنْ أَبِيهِ أَنَّ
الْحَجَّ لَهَا أَذِنَ لَمْ فِي الْعُبُورِ تَزَلُّوا شُومِيَا مَوْضِعَ دَارِ الرِّزْقِ. فَتَعَبُوا لَهَا
جَاؤُوا هُنَاكَ. فَأَقْبَلُوا عَلَى الْمُسْلِمِينَ فِي صُفُوفٍ ثَلَاثَةٍ مَعَ كُلِّ صَفٍ
فِيلٌ وَرَجُلُهُمْ أَمَامَ فِيلِهِمْ وَجَاؤُوا لَمْ رُجِّلٌ. فَقَالَ الْهَيْئَةُ لِلْمُسْلِمِينَ: أَلَّذِي
تَسْمَعُونَ فَشَرٌّ فَالْزَمُوا الصَّمْتَ وَاسْتَبِرُوا بَيْنَكُمْ هَمَسًا. فَدَنَوْا مِنَ الْمُسْلِمِينَ
وَجَاؤُوا مِنْ قَبْلِ نَهْرِ بَنِي سُلَيْمٍ نَحْوَ مَوْضِعِ نَهْرِ بَنِي سُلَيْمٍ الْيَوْمَ. فَلَمَّا
دَنَوْا زَحَوْا وَصَفَّ الْمُسْلِمِينَ فِيمَا بَيْنَ نَهْرِ بَنِي سُلَيْمٍ الْيَوْمَ وَمَا وَرَاءَهُ
كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ عَنْ شُعَيْبٍ عَنْ مُحَمَّدٍ وَطَلْحَةَ قَالَ: لَوْ كَانَ عَلَى مُحَبِّبَتِي
الْهَيْئَةُ بَشِيرٌ وَبَشَرٌ بَنُ أَبِي رَهْمٍ وَعَلَى جُرْدَتِهِ الْهَيْئَةُ وَعَلَى الرَّجُلِ مَسْعُودٌ
وَعَلَى الطَّلَاحِ قَبْلَ ذَلِكَ الْيَوْمِ النَّسِيرُ وَعَلَى الرِّدْمِ مَدْعُورٌ وَكَانَ عَلَى
مُحَبِّبَتِي مِرَانُ بْنُ الْأَزْدِ أَبِيهِ مَرْزُبَانُ الْخَبِيرِ وَمَرْدَانِشَاهُ. وَلَمَّا خَرَجَ

الْمُثَنَّى طَافَ فِي صُوفِهِ بِعَهْدِ الْيَمِّ عَهْدَهُ وَهُوَ عَلَى فَرَسِهِ الشَّمُوسِ وَكَانَ
يُدْعَى الشَّمُوسَ مِنْ لَبَنٍ عَرَبِيٍّ وَلِيَهَارَتِهِ. فَكَانَ إِذَا رَكِبَهُ قَاتِلٌ وَكَانَ
لَا يَرَكِبُهُ إِلَّا لِقِتَالٍ يُودِعُهُ مَا لَمْ يَكُنْ قِتَالٌ. فَوَقَفَ عَلَى الرَّابَاتِ رَايَةً
رَايَةً بِحُضْرَتِهِمْ وَيَأْمُرُهُمْ بِأَمْرٍ وَيَهْزُهُمْ بِمَا فِيهِمْ تَحْضِيضًا لَهُمْ وَلِكُلِّهِمْ يَقُولُ:
إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ لَا تُؤْتَى الْعَرَبُ مِنْ قِبَلِكُمْ الْيَوْمَ. وَاللَّهِ مَا يَسُرُّنِي الْيَوْمَ لِنَفْسِي
شَيْءٌ إِلَّا وَهُوَ يَسُرُّنِي لِعَامَتِكُمْ. فَحَيُّوْنَهُ بِمِثْلِ ذَلِكَ. وَأَنْصَفُهُمُ الْمُثَنَّى فِي
الْقَوْلِ وَالْفِعْلِ وَخَلَطَ النَّاسَ فِي الْمَكْرُوهِ وَالْمَحْبُوبِ. فَلَمْ يَسْتَطِعْ أَحَدٌ
مِنْهُمْ أَنْ يُعِيبَ لَهُ قَوْلًا وَلَا عَمَلًا. ثُمَّ قَالَ: إِنِّي مُكَبِّرٌ ثَلَاثًا فَهَيَّؤُوا لِي أَهْلًا
مَعَ الرَّابِعَةِ: فَلَمَّا كَبَّرَ أَوَّلَ تَكْبِيرٍ رَكَدَتْ خَيْلُهُمْ وَحَرُّهُمْ مَلِكًا. فَلَمَّا رَأَى
الْمُثَنَّى خَلَا فِي بَعْضِ صُوفِهِ أَرْسَلَ إِلَيْهِمْ رَجُلًا وَقَالَ: إِنَّ الْأَمِيرَ
يَقْرَأُ عَلَيْكُمْ السَّلَامَ وَيَقُولُ: لَا تَنْفُضُوا الْمُسْلِمِينَ الْيَوْمَ: فَقَالُوا نَعَمْ: وَاعْتَدَلُوا
وَجَعَلُوا قَبْلَ ذَلِكَ بَرُونَهُ وَهُوَ يَهْدُ لِحَيْتِهِ لَمَّا يَرَى مِنْهُمْ فَأَعْنَبُوا بِأَمْرٍ لَمْ
يُحِجَّ بِهِ أَحَدٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَوْمَئِذٍ فَرَمَقُوهُ فَرَأَوْهُ يَضْحَكُ فَرَحًا وَالْيَوْمُ يَنْ
عَجَل وَمَا وَرَأَاهَا

فَلَمَّا طَالَ الْقِتَالُ وَاشْتَدَّ عَهْدُ الْمُثَنَّى إِلَى أَنَسِ بْنِ هِلَالٍ فَقَالَ: يَا أَنَسُ
إِنَّكَ أَمْرٌ عَرَبِيٌّ وَإِنْ لَمْ تَكُ عَلَى دِينِنَا. فَإِذَا رَأَيْتَنِي قَدْ حَمَلْتُ عَلَى مِهْرَانَ
فَاحْمِلْ مَعِيَ: وَقَالَ لَا بِنِ ذِي السَّهْمَيْنِ مِثْلَ ذَلِكَ فَأَجَابَهُ. فَحَمَلَ الْمُثَنَّى
عَلَى مِهْرَانَ فَأَزَالَهُ حَتَّى دَخَلَ فِي مَبْمَتِهِ. ثُمَّ خَالَطُوهُمْ فَاجْتَمَعَ الْقُلُوبُ
وَأَرْتَفَعَ الْغَبَارُ وَالْحَجَبَاتُ نَقَلُ لَا يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَبْزُغُوا لِتَصْرِ أَمِيرِهِمْ
لَا الْمَشْرِكُونَ وَلَا الْمُسْلِمُونَ. وَأَرْتَفَعَتْ مَسْعُودٌ يَوْمَئِذٍ وَقُوَادٌ مِنْ قُوَادِ

المُسْلِمِينَ وَقَدْ كَانَ قَالَ لَهُمْ: إِذَا رَأَيْتُمُونَا أَصَبْنَا فَلَا تَدْعُوا مَا أَنْتُمْ فِيهِ
فَإِنَّ أَحَدَ الْجَبَشِيِّينَ يَنْكَشِفُ ثُمَّ يَنْصَرِفُ وَأَغْنُوا غَنَاءَ مَنْ يَلِيكُمْ: وَأَوْجَعَ
قَلْبُ الْمُسْلِمِينَ فِي قَلْبِ الْمُشْرِكِينَ وَقَتَلَ غُلَامٌ مِنَ التَّغْلِبِيِّينَ نَصْرَانِي
مِهْرَانَ فَاسْتَوَى عَلَى فَرَسِهِ. فَجَعَلَ الْهَنْثَى سَلْبَهُ لِمُصَاحِبِ خَيْلِهِ. وَكَذَلِكَ
إِذَا كَانَ الْمُشْرِكُ فِي خَيْلٍ رَجُلٍ فَتَقَاتَلَ وَسَلَبَ فَهُوَ لِلَّذِي هُوَ أَيْدٍ عَلَى مَنْ
قَتَلَهُ وَكَانَ لَهُمْ قَائِدَانِ أَحَدُهُمَا جَرِيدٌ وَالْآخَرُ ابْنُ الْهُوَيْرِ فَأَقْتَمَا

كَتَبَ إِلَيَّ السَّرِيُّ عَنْ شُعَيْبٍ عَنْ سَيْفٍ عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَفَّرٍ بْنِ
تَعْلَبَةَ قَالَ: جَلَبَ فِتْيَةٌ مِنْ بَنِي تَغْلِبَ أَفْرَاسًا. فَلَمَّا انْفَى الرَّحْضَانُ يَوْمَ
الْبُؤَيْبِ قَالُوا: لَا تَقَاتِلِ الْعَرَبَ مَعَ الْعَجَمِ فَأَصَابَ أَحَدُهُمْ مِهْرَانُ يَوْمَيْدٍ
وَمَهَّدَ عَلَى فَرَسٍ لَهُ وَرَدَّ مُجْتَفِفٍ بِمُخَفَّافٍ أَصْفَرَيْنِ عَيْنَيْهِ هِلَالٌ وَعَلَى ذَنْبِهِ
أَهْلَةٌ فَاسْتَوَى عَلَى فَرَسِهِ ثُمَّ انْتَفَى فَقَالَ: أَنَا الْغُلَامُ التَّغْلِبِيُّ أَنَا قَتَلْتُ
الْمَرْزُبَانَ: فَأَتَاهُ جَرِيدٌ وَابْنُ الْهُوَيْرِ فِي قَوْمِهِمَا فَأَخَذَا بِرِجْلَيْهِ فَأَنْزَلَاهُ. كَتَبَ
إِلَيَّ السَّرِيُّ عَنْ شُعَيْبٍ عَنْ سَيْفٍ عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمَرْزُبَانِ أَنَّ جَرِيدًا
وَالْمَنْدِيرَ اشْتَرَا فِيهِ فَأَخْضَمَا فِي سِلَاحِهِ فَتَقَا ضَبَا إِلَى الْهَنْثَى. فَجَعَلَ سِلَاحَهُ
بَيْنَهُمَا وَالْمِنْطَفَةَ وَالسَّوَارِينَ بَيْنَهُمَا وَأَقْتَمَا قَلْبَ الْمُشْرِكِينَ. كَتَبَ إِلَيَّ
السَّرِيُّ عَنْ شُعَيْبٍ عَنْ سَيْفٍ عَنْ أَبِي رَوْحٍ قَالَ: وَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لِنَأْتِي
الْبُؤَيْبَ قَدَرِ فِيمَا بَيْنَ مَوْضِعِ السُّكُونِ وَبَيْنِ سُلَيْمٍ عِظَامًا بَيْضًا تَلُوحُ
مِنْ هَامِهِمْ وَلَوْ صَالِحٌ يُعْتَبَرُ بِهَا. قَالَ وَحَدَّثَنِي بَعْضُ مَنْ شَهِدَهَا أَنَّهُمْ كَانُوا
يُحْزَرُونَ بِهَا ثَلَاثَةَ أَلْفٍ قَتِيلٍ مِنَ الْعَجَمِ وَمَا عُنِيَ عَلَيْهَا حَتَّى دَفَنَهَا أَذْفَانُ
الْبُؤَيْبِ

كَتَبَ إِلَيَّ السَّرِيَّةُ عَنْ شُعَيْبٍ عَنْ سَيْفٍ عَنْ عَطِيَّةَ بْنِ الْحَرِثِ
 قَالَ: لَمَّا أَهْلَكَ اللَّهُ مَهْرَانَ اسْتَمَكَّنَ الْمُسْلِمُونَ مِنَ الْغَارَةِ عَلَى السَّوَادِ فِيمَا
 بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ دِجْلَةَ فَخَرُّوْهَا لَا يَخَافُونَ كَيْدًا وَلَا يَلْقَوْنَ فِيهِ مَا نِعَا. وَأَنْتَفَضَتْ
 مَسَاحُ الْعَجْرِ فَرَجَعَتْ إِلَيْهِمْ وَأَعْنَصُوا بِسَابَاطٍ وَسَرَّحُوا أَنْ يَنْزِلُوا مَا وَرَاءَ
 دِجْلَةَ. فَكَانَتْ وَقْعَةُ الْبُؤَيْبِ فِي رَمَضَانَ سَنَةِ ثَلَاثِ عَشْرَةٍ قَتَلَ اللَّهُ مَهْرَانَ
 وَجَيْشَهُ وَأَفْعَمُوا جَنْبَيْ الْبُؤَيْبِ عِظَامًا حَتَّى اسْتَوَى وَمَا عَقَى عَلَيْهَا الثَّرَابُ
 أَزْمَانَ الْفِتْنَةِ وَمَا يَثَارُ هُنَاكَ شَيْءٌ إِلَّا وَقَعُوا مِنْهَا عَلَى شَيْءٍ. وَهُوَ مَا بَيْنَ
 السُّكُونِ وَمَرْهَبَةِ وَبَنِي سُلَيْمٍ وَكَانَ مَغِيضًا لِلْفُرَاتِ أَزْمَانَ الْآكَاسِرَةِ
 يَصُبُّ فِي الْجُوفِ. وَقَالَ الْأَعْوَرُ الْعَبْدِيُّ الشَّيْ

هَاجَتْ لِأَعْوَرَ دَارُ الْحَيِّ إِحْنَانَا وَأَسْتَبَدَّتْ بَعْدَ عَبْدِ الْقَيْسِ خَفَانَا
 وَقَدْ أَرَانَا بِهَا وَالشَّمْلُ مُجْتَمِعٌ إِذْ يَا لِحَيْلَةٍ قَتَلُ جُنْدِ مَهْرَانَا
 أَزْمَانَ سَارَ الْمَثْنَى بِالْحَبُولِ لَهْرٌ فَقَتَلَ الرَّحْفَ مِنْ فُرْسٍ وَجِبِلَانَا
 سَمَا لِمَهْرَانَ وَالْجَيْشِ الذِّبَابُ مَعَهُ حَتَّى أَبَادَهُمْ مَثْنَى وَوَحْدَانَا



مِنْ كِتَابِ الْفَخْرِيِّ فِي الْأَدَابِ السُّلْطَانِيَّةِ
وَالدُّوَلِ الْإِسْلَامِيَّةِ
ذِكْرُ خِلَافَةِ هَارُونَ الرَّشِيدِ^١

بُويعَ بِالْخِلَافَةِ فِي سَنَةِ سَعِينَ وَمِئَةٍ. كَانَ الرَّشِيدُ مِنْ أَفَاضِلِ الْمُخْلَفَاءِ
وَفُضَحَاءِهِمْ وَعُلَمَائِهِمْ وَكُرَمَائِهِمْ كَانَ يَخُجُّ سَنَةً وَيَعُزُّو سَنَةً. كَذَلِكَ مَدَّةُ
خِلَافَتِهِ إِلَّا سِنِينَ قَلِيلَةً. قَالُوا: وَكَانَ يُصَلِّي فِي كُلِّ يَوْمٍ مِئَةَ رَكْعَةٍ. وَخُجَّ
مَاشِيًا. وَلَمْ يَخُجَّ خَلِيفَةً مَاشِيًا غَيْرُهُ. وَكَانَ إِذَا خُجَّ حَجَّ مَعَهُ مِئَةٌ مِنَ الْفُقَهَاءِ
وَأَبْنَاءِهِمْ. وَإِذَا لَمْ يَخُجَّ أَحَدٌ نَلْتَبِعُهُ رَجُلٌ بِالنَّفَقَةِ السَّابِقَةِ. وَالْكَسُوفِ
الظَّاهِرِ. وَكَانَ يَتَشَبَّهُ فِي أَفْعَالِهِ بِالْمَنْصُورِ إِلَّا فِي بَذْلِ الْمَالِ. فَإِنَّهُ لَمْ يَرِ
خَلِيفَةً أَسَحَّ مِنْهُ بِالْمَالِ. وَكَانَ لَا يَضِيعُ عِنْدَهُ إِحْسَانٌ مُحْسِنٍ وَلَا يُؤَخَّرُ.
وَكَانَ يُحِبُّ الشَّعْرَ وَالشُّعْرَاءَ وَيَهْوِي إِلَى أَهْلِ الْأَدَبِ وَالنِّفَةِ. وَيَكْرَهُ

^١ أما هارون الرشيد أحد الحكماء العباسيين فقد ولد في سنة ٧٦٥ في ري من مبدىا
ونوف في سنة ٨٠٩ في طوس. وقد اشتهر هذا الخليفة بمعارفته جيوش الملكة ايرينا في اسيا
الصغرى لما قام مقام اخيه موسى الهادي على السنة الملوكية في سنة ٧٨٦. فشق على موسى
فأخرج اخيه هارون فقصده قتله. فلما رأت والدتها ان لا يد من قتل احد ولديها اخذت
موت موسى على هارون الذي رفع شأن دولة العباسيين الى اعلى ذرى العظمة والمجد.
فتفتح فتوحات اشتهرت في اسيا وحارب مراراً ايرينا ويكفور الى ان اجبرها على اداء الجزية
واتسمت اتصالياته حتى المغرب. ونجحت مع كارلوس الكبير ملك فرنسا. وما امتاز به
هذا الخليفة حسن التفاه الى العلوم والصنائع فازهرت في ايام دولته. فحط العلماء والادباء
عصاً الرجال عند يده. غير انه كثيراً ما ابدى من التساوق المنكرة لاسيا ضد البركة
للدين كما اقد حازوا ملو انعامه

البراءة في الدين. وَكَانَ مُحِبُّ الْمَدِيحِ لَا سِيَّامًا مِنْ شَاعِرٍ فَصِيحٍ. وَنَحْزِلُ
الْعَطَاةَ عَلَيْهِ

قَالَ الْأَصْمَعِيُّ: صَنَعَ الرَّشِيدُ طَعَامًا وَزَخَرَفَ مَجَالِسَهُ وَأَحْضَرَ أَبَا
الْعَتَاهِيَةِ وَقَالَ لَهُ: صِفْ لَنَا مَا نَحْنُ فِيهِ مِنْ نَعِيمٍ هَذِهِ الدُّنْيَا: فَقَالَ أَبُو
الْعَتَاهِيَةِ:

عِشْ مَا بَدَا لَكَ سَالِبًا فِي ظِلِّ شَاهِقَةِ الْقُصُورِ
فَقَالَ الرَّشِيدُ: أَحْسَنْتَ ثُمَّ مَاذَا: فَقَالَ:

يُسْعَى عَلَيْكَ بِهَا أَشْتَهَيْتَ لَدَى الرُّوَّاحِ أَوْ الْبُكُورِ
فَقَالَ: حَسَنٌ ثُمَّ مَاذَا: فَقَالَ:

فَإِذَا النُّفُوسُ تَفَعَّقَتْ فِي ظِلِّ حَشْرَجَةِ الصُّدُورِ
فَهُنَاكَ تَعْلَمُ مَوْفِنَا مَا كُنْتَ إِلَّا فِي غُرُورِ

فَبَكَى الرَّشِيدُ. فَقَالَ الْفَضْلُ بْنُ بَحْيٍ: بَعَثَ إِلَيْكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ
لِتَسْرُحَ فَرَسَتُهُ: فَقَالَ الرَّشِيدُ: دَعَهُ فَإِنَّهُ رَأَانَا فِي عَيْنِ فَكْرِهِ أَنْ يَزِيدَنَا مِنْهُ
وَكَانَ الرَّشِيدُ يَتَوَاضَعُ لِلْعُلَمَاءِ. قَالَ أَبُو مُعَاوِيَةَ الضَّرِيرُ: وَكَانَ مِنْ
عُلَمَاءِ النَّاسِ. أَكَلْتُ مَعَ الرَّشِيدِ يَوْمًا. فَصَبَّ عَلَى يَدَيَّ الْمَاءَ رَجُلٌ فَقَالَ
لِي: يَا أَبَا مُعَاوِيَةَ. أَتَذَرِبُ مِنْ صَبِّ الْمَاءِ عَلَى يَدِكَ: فَقُلْتُ لَا يَا أَمِيرَ
الْمُؤْمِنِينَ. قَالَ أَنَا. فَقُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْتَ تَفْعَلُ هَذَا إِجْلَالًا
لِلْعِلْمِ. قَالَ نَعَمْ

فِي أَيَّامِهِ خَرَجَ بَحْيِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَسَنِ بْنِ حَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي
طَالِبٍ. شَرَحَ كَيْفِيَّةَ الْحَالِ فِي ذَلِكَ

كَانَ بَحْمِي بْنُ عَبْدِ اللَّهِ قَدْ خَافَ مَا جَرَّ عَلَى أَخَوَيْهِ النَّفْسِ الرَّكِيَّةِ
وَابْتَرَاهِمَ قَبِيلَ بَاخْمَرِي. فَمَضَى إِلَى الدَّيْلَمِ. فَأَعْتَقَهُ وَفِيهِ امْتِخَانُ الْإِمَامَةِ
وَبَابُوعُهُ وَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ النَّاسُ مِنَ الْأَمْصَارِ وَقَوِيَّتْ شَوْكَتُهُ. فَأَغْتَمَ الرَّشِيدُ
لِذَلِكَ. وَنَدَبَ إِلَيْهِ الْفَضْلَ بْنَ بَحْمِي فِي خَمْسِينَ أَلْفًا وَوَلَاهُ جُرْجَانَ
وَطَبْرِسْتَانَ وَالرِّيَّ وَغَيْرَ ذَلِكَ. فَتَوَجَّهَ الْفَضْلُ بِالْجُنُودِ. فَلَطَفَ بِبَحْمِي
بْنِ عَبْدِ اللَّهِ وَحَذَرَهُ وَخَوْفَهُ وَرَغْبَتَهُ. فَالَى بَحْمِي إِلَى الصُّلْحِ وَطَلَبَ أَمَانًا
يُخَيِّطُ الرَّشِيدُ وَلَنْ يُشْهَدَ عَلَيْهِ فِيهِ الْقَضَاءُ وَالْفَتْهَاءُ وَجَلَّةَ بَنِي هَاشِمٍ.
فَأَجَابَهُ الرَّشِيدُ إِلَى ذَلِكَ وَسُرَّ بِهِ وَكَتَبَ لَهُ أَمَانًا يُلَيِّغُ بِخَطِّهِ. وَشَهِدَ عَلَيْهِ
فِيهِ الْقَضَاءُ وَالْفَتْهَاءُ وَمَشَاجِئُ بَنِي هَاشِمٍ وَسِيرَ الْأَمَانَ مَعَ هَدَايَا وَنُحْبٍ.
فَقَدِمَ بَحْمِي مَعَ الْفَضْلِ. فَلَقِيَهُ الرَّشِيدُ فِي أَوَّلِ الْأَمْرِ بِكُلِّ مَا أَحَبَّ. ثُمَّ
حَسَّهُ عِنْدَهُ وَأَسْتَفْنَى الْفَتْهَاءَ فِي نَفْضِ الْأَمَانِ. فَمِنْهُمْ مَنْ أَفْتَى بِصِحِّهِ
فَحَاجَهُ. وَمِنْهُمْ مَنْ أَفْتَى بِطُلَايِهِ فَأَبْطَلَهُ. ثُمَّ قَتَلَهُ بَعْدَ ظُهُورِ آيَةٍ لَهُ عَظِيمَةٍ
شَرَحَ الْآيَةَ الَّتِي ظَهَرَتْ فِي قَضِيَّةِ بَحْمِي بْنِ عَبْدِ اللَّهِ

حَضَرَ رَجُلٌ مِنْ آلِ الزُّبَيْرِ مِنَ الْعَوَامِ عِنْدَ الرَّشِيدِ وَسَعَى بِبَحْمِي وَقَالَ:
إِنَّهُ بَعْدَ الْأَمَانِ فَعَلَ وَصَنَعَ وَدَعَا النَّاسَ إِلَى نَفْسِهِ. فَأَحْضَرَهُ الرَّشِيدُ
مِنْ مَحْبِسِهِ وَجَمَعَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الزُّبَيْرِيِّ. وَسَأَلَهُ عَنْ ذَلِكَ فَأَنْكَرَ. فَوَاقَفَهُ
الزُّبَيْرِيُّ فَقَالَ لَهُ بَحْمِي: إِنْ كُنْتَ صَادِقًا فَاحْلِفْ: فَقَالَ الزُّبَيْرِيُّ: وَاللَّهِ
الطَّالِبِ الْغَالِبِ وَأَرَادَ أَنْ يَتِمَّ الْيَبِينَ: فَقَالَ لَهُ بَحْمِي: دَعِ هَذِهِ الْيَبِينَ
فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى إِذَا أَحْبَبَهُ الْعَبْدُ لَمْ يُعْجَلْ عُقُوبَتُهُ. وَلَكِنْ أَحْلَفَ لِي يَبِينَ
الْبَرَاءَةِ. وَفِي يَبِينَ عَظَمَى صُورَتِهَا أَنْ يَقُولَ عَنْ نَفْسِهِ: بَرِيٌّ مِنْ حَوْلِ

اللَّهِ وَقُوَّتِهِ. وَدَخَلَ فِي حَوْلِ نَفْسِهِ وَقُوَّتِهَا إِنْ كَانَ كَذًا وَكَذَا: فَلَمَّا سَمِعَ
الرُّبَيْدِيُّ هَذِهِ الْيَمِينَ ارْتَنَاعَ لَهَا وَقَالَ: مَا هَذِهِ الْيَمِينَ الْعَرَبِيَّةُ وَأَمْتَنَعَ مِنْ
الْحَلْفِ بِهَا: فَقَالَ لَهُ الرَّشِيدُ: مَا مَعْنَى أَمْتَنَاعِكَ. إِنْ كُنْتَ صَادِقًا فَيَا نَقُولُ
فَأَخَوْفُكَ مِنْ هَذِهِ الْيَمِينَ: فَحَلَفَ بِهَا. فَأَخْرَجَ مِنَ الْخَلِيسِ حَتَّى ضَرَبَ
رِجْلَهُ وَمَاتَ. وَقِيلَ مَا أَنْقَضَى النَّهَارُ حَتَّى مَاتَ. فَحَمَلُوهُ إِلَى الْقَبْرِ وَحَطُّوهُ
فِيهِ وَارَادُوا أَنْ يَطْمُؤُوا الْقَبْرَ بِالْتُّرَابِ. فَكَانُوا كُنْهًا جَعَلُوا التُّرَابَ فِيهِ
دَهَبَ التُّرَابُ وَلَا يَنْطُمُ الْقَبْرُ فَعَلِمُوا أَنَّهَا آيَةٌ سَمَوِيَّةٌ. فَسَفَنُوا الْقَبْرَ
وَرَأَوْا. وَإِلَى ذَلِكَ أَشَارَ أَبُو فِرَاسٍ بْنُ حَمْدَانَ فِي مِيبَتِهِ يَقُولُ:
بِأَجَاهِدَا فِي مَسَاوِيهِمْ يُكْتِمُهُمَا غَدْرُ الرَّشِيدِ يَبْحِي كَيْفَ بَنَكُمُ
ذَاقَ الرُّبَيْدِيُّ غَبَّ الْحِنْتِ وَأَنْكَشَفَتْ عَنِ ابْنِ فَاطِمَةَ الْأَقْوَالُ وَاللَّهْمُ
وَمَعَ ظُهُورٍ مِثْلِ هَذِهِ الْآيَةِ الْعَظِيمَةِ قُتِلَ بَحِيٌّ فِي الْحَبْسِ شَرِّ قَتْلَةٍ
وَكَانَتْ حَوْلَةَ الرَّشِيدِ مِنْ أَحْسَنِ الدُّوَلِ وَأَكْثَرِهَا وَفَارًا وَرَوْنَقًا وَخَيْرًا
وَأَوْسَمًا رُقْعَةً مَمْلُوكَةٍ. جَبَى الرَّشِيدُ مُعْظَمَ الدُّنْيَا. وَكَانَ أَحَدُ عُمَّالِهِ
صَاحِبَ بَصْرَ. وَلَمْ يَنْبَغِ عَلَى بَابِ خَلِيفَةٍ مِنَ الْعُلَمَاءِ وَالشُّعْرَاءِ وَالْفُقَهَاءِ
وَالْفُرَّاءِ وَالْفُضَاةِ وَالْكَتَّابِ وَالنَّدَمَاءِ وَالْمُهَنِّينَ مَا أَجْتَمَعَ عَلَى بَابِ الرَّشِيدِ.
وَكَانَ يَصِلُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ أَجْزَلَ صِلَةٍ وَرَفْعُهُ إِلَى أَعْلَى دَرَجَةٍ. وَكَانَ
فَاضِلًا شَاعِرًا رَاطِيَةً لِلْأَخْبَارِ وَالْآثَارِ وَالْأَشْعَارِ. صَحَّحَ الدُّوقِ وَالْتِمِيزِ
مِهْبَا عِنْدَ الْخَاصَّةِ وَالْعَامَةِ. فَبُضَّ عَلَى مُوسَى بْنِ جَعْفَرٍ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ.
وَأُخْضِرَ فِي قُبَّةٍ إِلَى بَغْدَادَ. فَحَبَسَهُ بِدَارِ السِّنْدِيِّ بْنِ شَاهَكَ. ثُمَّ قُتِلَ
وَضُفِّرَ أَنَّهُ مَاتَ حَنْفَ أَنْفِهِ

شَرَحُ كَيْفِيَةِ اِتِّحَالٍ فِي ذَلِكَ . كَانَ بَعْضُ حُصَادِ مُوسَى بْنِ جَعْفَرٍ مِنْ أَقَارِبِهِ قَدْ وَثَّقَ بِهِ إِلَى الرَّشِيدِ وَقَالَ لَهُ : إِنَّ النَّاسَ يَجْهَلُونَ إِلَى مُوسَى خُسَّ أَمْوَالِهِمْ وَيَعْتَفِدُونَ إِمَامَتَهُ وَإِنَّهُ عَلَى عَزْمِ الْخُرُوجِ عَلَيْكَ . وَكَثُرَ فِي الْقَوْلِ فَوْقَ ذَلِكَ عِنْدَ الرَّشِيدِ بِمَوْفِعِ أَهْبَهُ وَأَفْلَقَهُ . ثُمَّ أَعْطَى الْوَاثِقِي مَالًا أَحَالَهُ بِهِ عَلَى الْإِلَادِ . فَلَمْ يَسْتَمْتِعْ بِهِ وَمَا وَصَلَ الْمَالُ مِنَ الْإِلَادِ إِلَّا وَقَدْ مَرَضَ مَرْصَةً شَدِيدَةً وَمَاتَ فِيهَا . وَأَمَّا الرَّشِيدُ فَإِنَّهُ حَجَّ فِي نِلِكَ السَّنَةِ . فَلَمَّا وَرَدَ الْمَدِينَةَ قَبِضَ عَلَى مُوسَى بْنِ جَعْفَرٍ وَحَمَلَهُ فِي قُبَّةٍ إِلَى بَغْدَادَ . فَحَبَسَهُ عِنْدَ السِّنْدِيِّ بْنِ شَاهَكَ وَكَانَ الرَّشِيدُ بِالرَّقَّةِ . فَأَمَرَ بِقَتْلِهِ فَقُتِلَ قَتْلًا خَفِيًّا . ثُمَّ أُدْخِلُوا عَلَيْهِ جَمَاعَةً مِنَ الْعُدُولِ بِالْكَرْخِ لِيُشَاهِدُوهُ إِظْهَارَ أَنَّهُ مَاتَ حَنْفَ أَنْفِهِ . صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَامُهُ . وَمَاتَ الرَّشِيدُ بِطُوسَ . وَكَانَ خَرَجَ إِلَى خُرَاسَانَ لِلْحَارِثَةِ رَافِعِ بْنِ أَلَيْثِ بْنِ نَصْرِ بْنِ سَيَّارٍ . وَكَانَ هَذَا رَافِعٌ قَدْ خَرَجَ وَخَلَعَ الطَّاعَةَ وَتَغَلَّبَ عَلَى سَمَرْقَنْدَ وَقَتَلَ عَامِلَهَا وَمَلَكَهَا وَقَوَّيْتُ شَوْكَتَهُ فَخَرَجَ الرَّشِيدُ بِنَفْسِهِ إِلَيْهِ . فَاتَتْ بِطُوسَ فِي سَنَةِ ثَلَاثٍ وَتِسْعِينَ وَمِئَةً

شَرَحُ حَالِ الْوِزَارَةِ فِي أَوَّلِهِ

لَمَّا بُويعَ بِالْخِلَافَةِ اسْتَوَزَرَ كَاتِبَهُ قَبْلَ الْخِلَافَةِ بِجَنِّي بْنِ خَالِدِ بْنِ بَرْمَكٍ وَظَهَرَتْ حَوْلَهُ نَبِيَّ بَرْمَكٍ مُدَّ حَبِثُهُ
 شَرَحُ أَحْوَالِ الدَّوْلَةِ الْبَرْمَكِيَّةِ وَذَكَرُ مَبْدِئِهَا وَمَا لَهَا . كَانُوا قَدِيمًا عَلَى دِينِ الْجُوسِ . ثُمَّ أَسْلَمَ مَنْ أَسْلَمَ مِنْهُمْ وَحَسَنَ إِسْلَامُهُمْ . وَهَذِهِ الدَّوْلَةُ الْبَرْمَكِيَّةُ كَانَتْ غُرَّةً فِي جَبْهَةِ الدَّهْرِ وَتَاجًا عَلَى مَفْرِقِ الْعَصْرِ . ضَرَبَتْ

بِمَكَارِمِهَا الْأَمْثَالُ. وَشُدَّتْ إِلَيْهَا الرِّحَالُ. وَنِطَطَتْ بِهَا الْأَمَالُ. وَبَدَلَتْ
لَهَا الدُّنْيَا أَفْلاذَ أَكْبَادِهَا. وَمَتَّخَتْهَا أَوْفَرَ إِسْعَادِهَا. فَكَانَتْ بِحُجِيِّ وَبُيُوتِ
كَالنُّجُومِ زَاهِرَةٍ. وَالتَّجُورِ زَاخِرَةٍ. وَالسُّبُولِ دَافِعَةٍ. وَالغُبُوثِ مَاطِرَةٍ. أَسْوَاقُ
الْأَدَابِ عِنْدَهُمْ نَافِقَةٌ. وَمَرَاتِبُ كُتُوبِ الْحُرُمَاتِ عِنْدَهُمْ عَالِيَةٌ. وَالْأَنْبِيَا
فِي أَيَّامِهِمْ عَلِيمَةٌ. وَأُجُوهُ الْمَمْلَكَةِ ظَاهِرَةٌ. وَهُمْ مُلْجَأُ الْإِلْفِ وَمُعْتَصِمُ الطَّرِيدِ.
وَهُمْ يَقُولُ أَبُو نُؤَاسٍ:

سَلَامٌ عَلَى الدُّنْيَا إِذَا مَا قُدِّمْتُ
ذِكْرُ وَزَارَةِ بَحِّي بْنِ خَالِدٍ لِلرَّشِيدِ. لَمَّا جَلَسَ الرَّشِيدُ عَلَى سَرِيرِ الْمَمْلَكَةِ
أَسْتَوَزَرَ بَحِّي بْنَ خَالِدٍ بْنِ بَرْمَكٍ. وَكَانَ كَاتِبُهُ وَفَائِيَهُ وَوَزِيرُهُ قَبْلَ الْخِلَافَةِ.
فَنَهَضَ بَحِّي بْنُ خَالِدٍ بِأَعْبَاءِ الدُّوَلَةِ أَمَّمُ نُهُوضِ. وَسَدَّ الشُّغُورَ. وَتَدَارَكَ
الْخَلَلَ. وَجَبَى الْأَمْوَالَ. وَعَمَرَ الْأَطْرَافَ. وَأَظْهَرَ رَوْنَقَ الْخِلَافَةِ. وَتَصَدَّى
لِإِهْمَاتِ الْمَمْلَكَةِ. وَكَانَ كَاتِبًا بَلِيغًا لَيِّبًا أَدِيبًا شَدِيدًا صَائِبًا أَلْرَأْيَ
حَسَنَ النَّذِيرِ. ضَاطِطًا لِمَا تَحْتَ يَدِهِ. قَوِيًّا عَلَى الْأُمُورِ. جَوَادًا يُبَارِي
الرَّيْحَ كَرَمًا وَجُودًا. مُمَدِّحًا بِكُلِّ لِسَانٍ. حَلِيمًا عَفِيفًا وَفُورًا مِهْمًا وَلَهُ
يَقُولُ الْقَائِلُ:

لَا تَرَانِي مُصَاحِمًا كَفَّ بَحِّي
لَوْ يَمْسُ الْبُخْلُ رَاحَةَ بَحِّي
وَمِنْ أَرَأَى بَحِّي السَّدِيدِ مَا قَالَهُ لِلْهَادِي. وَقَدْ عَزَمَ عَلَى أَنْ يَجْلَعَ
أَخَاهُ هُرُونَ مِنَ الْخِلَافَةِ وَيُنَاصِحَ لِابْنِهِ جَعْفَرِ بْنِ الْهَادِي. وَكَانَ بَحِّي كَاتِبَ
الرَّشِيدِ وَهُوَ يَتَرَجَّى أَنْ يَقُولَ هُرُونَ الْخِلَافَةَ فَبَصِيرَ هُوَ وَزِيرَ الدُّوَلَةِ.

فَقَالَ الْمَلِكُ بَعْثِي وَهَبَ لَهُ عِشْرِينَ أَلْفَ دِينَارٍ. وَحَادَثَهُ فِي خَلْعِ
هُرُونَ أَخِيهِ وَالْمُبَايَعَةِ لِجَعْفَرٍ أُنَيْدَهُ. فَقَالَ لَهُ بَعْثِي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ: إِنْ
فَعَلْتَ حَمَلْتَ النَّاسَ عَلَى نَكَثِ الْأَيْمَانِ وَنَقْضِ الْهُودِ. وَتَجَرَّأَ النَّاسُ عَلَى
مِثْلِ ذَلِكَ. وَلَوْ تَرَكْتَ أَخَاكَ هُرُونَ عَلَى وَلَايَةِ الْهَدْيِ ثُمَّ بَايَعْتَ لِجَعْفَرٍ
بَعْدَهُ كَانَ ذَلِكَ أَوْكَدَ فِي يَتَعَبِهِ: فَتَرَكَ الْمَلِكُ ذَلِكَ مُدَّةً. ثُمَّ غَلَبَ
عَلَيْهِ حُبُّ الْوَلَدِ. فَأَحْضَرَ بَعْثِي مَرَّةً ثَانِيَةً وَفَاوَضَهُ فِي ذَلِكَ. فَقَالَ لَهُ
بَعْثِي: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ. لَوْ حَدَّثَ بِكَ حَدِيثُ الْمَوْتِ وَقَدْ خَلَعْتَ أَخَاكَ
وَبَايَعْتَ لِأَبْنِكَ جَعْفَرٍ وَهُوَ صَغِيرٌ دُونَ الْبُلُوغِ. أَفَتَرَى كَانَتْ خِلَافَتُهُ
نَاصِحٌ. وَكَانَ مَسَاحِجُ بَنِي هَاشِمٍ يَرْضَوْنَ ذَلِكَ وَيُسَلِّمُونَ الْخِلَافَةَ إِلَيْهِ:
قَالَ لَا. قَالَ بَعْثِي: فَدَعْ هَذَا الْأَمْرَ حَتَّى ثَانِيَةَ عَتَمَا. وَلَوْ لَمْ يَكُنِ الْهَدْيُ
بَايَعِ لِهُرُونَ لَوَجِبَ أَنْ تُبَايَعَ أَنْتَ لَهُ لِيَلَّا تَخْرُجَ الْخِلَافَةُ مِنْ بَنِي أَبِيكَ:
فَقَصَّوْا الْمَلِكُ رَأْيَهُ. وَكَانَ الرَّشِيدُ بَعْدَ ذَلِكَ بَرَّءً مِنْ أَكْثَرِ
أَهْلَادِي بَعْثِي بْنِ خَالِدٍ عِنْدَهُ

وَمِنْ مَكَارِمِهِ. فَبَلَغَ أَنَّ الرَّشِيدَ لَمَّا نَكَبَ الْبَرَامِكَةَ وَاسْتَأْصَلَ شَأْنَهُمْ.
حَرَّمَ عَلَى الشُّعْرَاءِ أَنْ يَرْتَوْفُوا وَأَمَرَ بِالْمُؤَاخَذَةِ عَلَى ذَلِكَ. فَأَجْنَزَ بَعْضُ
الْمُحَرِّسِينَ بَعْضَ الْمُحَرِّبَاتِ. فَرَأَى إِنْسَانًا وَاقِفًا وَفِي يَدِهِ رُفْعَةٌ فِيهَا شَعْرٌ
يَضْمَنُ رِثَاءَ الْبَرَامِكَةِ وَهُوَ يَنْشُدُ وَيَبْكِي. فَأَخَذَهُ الْمُحَرِّسُ وَأَتَى بِهِ إِلَى
الرَّشِيدِ وَقَصَّ عَلَيْهِ الصُّورَةَ. فَاسْتَخَضَرَ الرَّشِيدُ وَسَأَلَ عَنْ ذَلِكَ.
فَاعْتَرَفَ بِهِ. فَقَالَ لَهُ الرَّشِيدُ: أَمَا سَمِعْتَ تَحْرِيبِي لِرِثَائِهِمْ. لِأَفَعَلَنْ بِكَ
وَلَا ضَعَنْ. فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنْ أَذِنْتَ لِي فِي حِكَايَةِ حَالِي حَكَمْتُهَا

ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ أَنْتَ وَرَأَيْتُكَ. قَالَ قُلْ. قَالَ: إِنِّي كُنْتُ مِنْ أَصْغَرِ كُتَّابِ
 بَيْحَى بْنِ خَالِدٍ وَلَدِ فَيْحٍ حَالًا. فَقَالَ لِي يَوْمًا: أُرِيدُ أَنْ تُصِيفَنِي فِي دَارِكَ
 يَوْمًا فَقُلْتُ: يَا مَوْلَانَا أَنَا خُوفَنَ ذَلِكَ وَدَارِي لَا تَنْصَلِحُ لِهَذَا. قَالَ: لَا بُدَّ مِنْ
 ذَلِكَ. قُلْتُ: فَإِنْ كَانَ لَا بُدَّ فَأَمْلِي مِدَّةً حَتَّى أَصْلِحَ شَأْنِي وَمَنْزِلِي. ثُمَّ بَعْدَ
 ذَلِكَ أَنْتَ وَرَأَيْتُكَ. قَالَ: كَمْ أَمْلَيْتُكَ. قُلْتُ سَنَةً. قَالَ كَثِيرٌ. قُلْتُ فَشَهْرًا.
 قَالَ نَعَمْ. فَمَضَيْتُ وَشَرَعْتُ فِي إِصْلَاحِ الْمَنْزِلِ وَتَهْيِئَةِ أَسْبَابِ الدَّعْوَةِ.
 فَلَمَّا تَهَيَّأَتِ الْأَسْبَابُ أَعْلَمْتُ الْوَزِيرَ بِذَلِكَ فَقَالَ: نَحْنُ غَدَا عِنْدَكَ.
 فَمَضَيْتُ وَتَهَيَّأْتُ فِي الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ وَمَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ. فَحَضَرَ الْوَزِيرُ فِي
 غَدَاٍ وَمَعَهُ أَبْنَاهُ جَعْفَرٌ وَالْفَضْلُ وَعِدَّةٌ بِسِيَرَةٍ مِنْ خَوَاصِّ أَتْبَاعِهِ. فَتَزَلَّ
 عَنْ دَارَتِهِ وَنَزَلَ وَلَدَاهُ جَعْفَرٌ وَالْفَضْلُ وَمَنْ مَعَهُ وَقَالَ: يَا فُلَانُ أَنَا جَائِعٌ
 فَجْعَلْ لِي بَشِيءًا. فَقَالَ لِي الْفَضْلُ ابْنُهُ: الْوَزِيرُ يُحِبُّ الْفَرَارِجَ الْمَشْوِيَّةَ.
 فَجْعَلْ مِنْهَا مَا حَضَرَ. فَدَخَلْتُ وَأَحْضَرْتُ شَيْئًا. فَكَلَّمَ الْوَزِيرُ ثُمَّ قَامَ
 يَتَمَشَّى فِي الدَّارِ وَقَالَ: يَا فُلَانُ فَرَجْنَا فِي دَارِكَ. فَقُلْتُ: يَا مَوْلَانَا هَذِهِ هِيَ
 دَارِي لَيْسَ لِي غَيْرُهَا. قَالَ بَلَى لَكَ غَيْرُهَا. قُلْتُ وَاللَّهِ مَا أَمْلَيْتُ سِوَاهَا.
 فَقَالَ: هَاتُوا بَنَاءً. فَلَمَّا حَضَرَ قَالَ لَهُ: أَفْتَحْ فِي هَذَا الْحَائِطِ بَابًا. فَضَمَى
 لِيَفْتَحَ. فَقُلْتُ: يَا مَوْلَانَا كَيْفَ يَجُوزُ أَنْ يَفْتَحَ بَابٌ إِلَى بُيُوتِ الْأَجِيرَانِ وَاللَّهِ
 أَوْصَى بِحِفْظِ الْأَجَارِ. قَالَ: لَا بَأْسَ فِي ذَلِكَ ثُمَّ فَتَحَ الْبَابَ. فَقَامَ الْوَزِيرُ
 وَأَبْنَاؤُهُ فَدَخَلُوا فِيهِ وَأَنَا مَعَهُمْ فَخَرَجَ مِنْهُ إِلَى بُسْتَانٍ حَسَنِ كَثِيرِ الْأَشْجَارِ
 وَالْهَامِ يَتَدَفَّقُ فِيهِ وَبِهِ مِنَ الْمَقَاصِيرِ وَالْمَسَاكِينِ مَا يَرُوقُ كُلُّ نَاطِرٍ. وَفِيهِ مِنَ
 الْأَلَاتِ وَالْفُرُشِ وَالْمُحْدَمِ وَالْجَوَارِي كُلِّ حَبِيلٍ بِدِيرٍ فَقَالَ: هَذَا الْمَنْزِلُ

وَجَمِيعُ مَا فِيهِ لَكَ . فَجَبَلْتُ يَدَهُ وَدَعَوْتُ لَهُ وَتَحَفَّتُ الْقِصَّةَ . فَإِذَا هُوَ مِنْ
يَوْمٍ حَادَثَنِي فِي مَعْنَى الدَّعْوَةِ . قَدْ أَرْسَلَ وَأَشَدَّى الْأَمْلَاكَ الْجَاوِرَةَ
لِي . وَعَمَّرَهَا دَارًا حَسَنَةً وَنَقَلَ إِلَيْهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ هُوَ أَوْ نَا لَا أَعْلَمُ وَكُنْتُ أَرَى
الْبِعَارَةَ وَأَحْسِبُهَا لِبَعْضِ الْأَجْبَرَانِ . فَقَالَ لِأَبْنِهِ جَعْفَرٍ : يَا بُنَيَّ هَذَا مَتَرٌ
وَعِيَالٌ . فَلَمَّا دُهُ مِنْ أَيْنٍ تَكُونُ لَهُ . قَالَ جَعْفَرٌ : قَدْ أَعْطَيْتُهُ الضَّيْعَةَ الْفَلَانِيَّةَ
بِمَا فِيهَا وَسَاكُنُهَا لَكَ بِذَلِكَ كِتَابًا . فَالْتَقَيْتُ إِلَى أَبِيهِ الْفَضْلِ وَقَالَ لَهُ :
يَا بُنَيَّ . فَمِنَ الْآنِ إِلَى أَنْ يَدْخُلَ دَخْلُ هَذِهِ الضَّيْعَةِ مَا الَّذِي يُنْفِقُ . فَقَالَ
الْفَضْلُ : عَلَى عَشْرَةِ آلَافٍ دِينَارٍ أَحْمِلُهَا إِلَيْهِ . فَقَالَ : فَعَجَّلَا لَهُ مَا فَلَمَّا
فَكَتَبَ لِي جَعْفَرٌ بِالضَّيْعَةِ . وَحَمَلَ الْفَضْلُ إِلَى الْمَالِ فَأَثَرَيْتُ وَارْتَفَعَتْ
حَالِي وَكَسَبْتُ بَعْدَ ذَلِكَ مَعَهُ مَا لَا طَائِلًا أَنَا أَتَقَلَّبُ فِيهِ إِلَى الْيَوْمِ . فَوَاللَّهِ
يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَا أَجْدُ فُرْصَةً أَنْ مَكُنُ فِيهَا مِنْ الثَّنَاءِ عَلَيْهِمْ وَالِدُعَاءِ
لَهُمْ إِلَّا أَنْتَهَزْتُهَا مُكَافَأَةً لَهُمْ عَلَى إِحْسَانِهِمْ وَلَنْ أَقْدِرَ عَلَى مُكَافَأَتِهِ . فَإِنْ كُنْتُ
قَاتِلِي عَلَى ذَلِكَ . فَأَفْعَلُ مَا بَدَأَ لَكَ . فَرَفَّقَ الرَّشِيدُ لِذَلِكَ وَأَطْلَعَهُ وَأَذِنَ
لِجَمِيعِ النَّاسِ فِي رِثَائِهِمْ

فَقِيلَ إِنَّ هُرُونَ الرَّشِيدَ حَجَّ . وَمَعَهُ بَحْجِي بْنُ خَالِدِ بْنِ بَرْمَكٍ . وَمَعَهُ وَلَدَاهُ
الْفَضْلُ وَجَعْفَرٌ . فَلَمَّا وَصَلُوا إِلَى الْمَدِينَةِ جَلَسَ الرَّشِيدُ وَمَعَهُ بَحْجِي . فَأَعْطَا
النَّاسَ . وَجَلَسَ الْأَمِينُ وَمَعَهُ الْفَضْلُ بْنُ بَحْجِي فَأَعْطَا النَّاسَ . وَجَلَسَ
الْهَامُونُ وَمَعَهُ جَعْفَرٌ فَأَعْطَا النَّاسَ . فَأَعْطَوْا فِي تِلْكَ السَّنَةِ ثَلَاثَ
أَعْطِيَّاتٍ ضَرِبَتْ يَكْتَرِبُهَا الْأَمْثَالُ . وَكَانُوا بِسُمُوهُ عَامَ الْأَعْطِيَّاتِ الثَّلَاثِ
وَأَثَرَى النَّاسُ بِسَبَبِ ذَلِكَ . وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ الشَّاعِرُ

أَنَا بَنُو الْأَمَالِ مِنْ آلِ بَرْمَكٍ فَبَاطِبِ أَخْبَارِ وَيَا حُسْنَ مَنْظَرِ
لَمْ رِحْلَةً فِي كُلِّ عَامٍ إِلَى الْعِدَسِ وَأُخْرَى إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ الْمُسْتَرِ
إِذَا نَزَلُوا بِطَحَاةِ مَكَّةَ أَشْرَفَتْ بِحَيٍّ وَيَا نُضْلَ بْنَ بَحْيٍ وَجَعْفَرِ
فَتُظْلِمُ بَغْدَادُ وَتَجْلُو لَنَا الدَّجَى بِمَكَّةَ مَا نَعُو ثَلَاثَةَ أَفْهَرِ
فَمَا خَلِفتُ إِلَّا لِيُجُودَ أَكُنْهُمْ وَأَقْدَامُهُمْ إِلَّا لِأَعْوَادِ مِنْبَرِ
إِذَا رَاضَ بَحْيٍ الْأَمْرَ ذَلَّتْ صِعَابُهُ وَنَاهِيكَ مِنْ رَاعٍ لَهُ وَمُدَبِّرِ
كَانَ بَحْيٍ يَقُولُ: مَا خَاطَبَنِي أَحَدٌ إِلَّا هَيْبَتُهُ. حَتَّى يَتَكَلَّمَ. فَإِذَا تَكَلَّمَ كَانَ
بَيْنَ اثْنَيْنِ. إِمَّا أَنْ تَزِيدَ هَيْبَتُهُ أَوْ تَضَحَّيْلٌ. وَكَانَ يَقُولُ: الْمَوَاعِيدُ شِبَاكُ
الْكَرَامِ يَصِيدُونَ بِهَا مُحَامِدَ الْأَخْرَارِ. كَانَ بَحْيٍ إِذَا رَكِبَ يُعِدُّ صُرَرًا فِي
كُلِّ صَرْعٍ مِتَادِرَهُمْ يَذْفَعُهَا إِلَى الْمَتَعَرِّضِينَ لَهُ
سَيِّدُهُ وَيَايَهُ الْفَضْلُ بْنُ بَحْيٍ

كَانَ الْفَضْلُ مِنْ كِرَامِ الدُّنْيَا وَأَجْوَادِ أَهْلِ عَصْرِهِ. وَكَانَ قَدْ أَرْضَعَتْهُ
أُمُّ هُرُونَ الرَّشِيدِ. وَلَازَعَتْ أُمُّهُ الرَّشِيدَ. وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ مَرْوَانُ بْنُ
أَبِي حَفْصَةَ

كَفَى لَكَ فَخْرًا أَنْ أَكْرَمَ حُرْقٍ غَدَتِكَ بِذَبِيٍّ وَالْحَلِيفَةَ وَاحِدِ
لَقَدْ رَنَّتْ بَحْيٍ فِي الْمَشَاهِدِ كُلِّهَا كَمَا زَانَ بَحْيٍ خَالِدًا فِي الْمَشَاهِدِ
وَلَاهُ الرَّشِيدُ حُرَّاسَانِ. فَخَرَجَ إِلَيْهِ أَبُو الْهَوَلِ الشَّاعِرُ مَا دَحَا مُعْتَذِرًا
مِنْ شِعْرِ كَانَ هَجَاهُ بِهِ فَأَنشَدَهُ

مَرَى نَحْوَهُ مِنْ غَضَبَةِ الْفَضْلِ عَارِضٌ لَهُ لُجَّةٌ فِيهَا الْبُورِاقُ وَالرَّعْدُ
وَكَيْفَ يَنَامُ اللَّيْلَ مُلْفٍ فِرَاشُهُ عَلَى مَدْرَجٍ يَعْتَادُهُ الْأَسَدُ الْوَرْدُ

وَمَا لِي إِلَى الْفَضْلِ بْنِ بَجِيٍّ بْنِ خَالِدٍ مِنَ الْجَزْمِ مَا يُجَسِّى عَلَى مِثْلِهِ أَنْتُمْ
فَجَدُّ بِالرَّضَى لَا أَتَّبِعِي مِنْكَ غَيْرُهُ وَرَأَيْكَ فِيهَا كُنْتُ عَوْدَتِي بَعْدُ
فَقَالَ لَهُ الْفَضْلُ : لَا أَحْبِلُ تَفْرِيقَكَ بَيْنَ رِضَابِي وَخَسَانِي . وَهَذَا
مَقْرُونَانِ فَإِنْ أَرَدْتَهُمَا مَعًا وَالْأَفْدَعُهُمَا مَعًا . ثُمَّ وَصَلَهُ وَرَضِيَ عَنْهُ
حَدَّثَ إِسْحَقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْمُوصِلِيُّ قَالَ : كُنْتُ قَدْ رَيْتُ جَارِيَةً وَتَقَفْتُهَا
وَعَلِمْتُهَا حَتَّى بَرَعْتُ . ثُمَّ أَهْدَيْتُهَا إِلَى الْفَضْلِ بْنِ بَجِيٍّ . فَقَالَ لِي يَا إِسْحَقُ .
إِنْ رَسُولٌ صَاحِبٌ مِصْرَ قَدْ وَرَدَ إِلَيَّ يَسْأَلُنِي حَاجَةً أَفَرِحُهَا عَلَيْهِ .
فَدَعُ هَذِهِ الْجَارِيَةَ عِنْدَكَ فَإِنِّي سَأَطْلُبُهَا وَأُعْلِمُهُ أَنِّي أُرِيدُهَا . فَإِنَّهُ سَوَفَ
يَحْضُرُ إِلَيْكَ وَيَسْأَلُكَ فِيهَا . فَلَا تَأْخُذْ فِيهَا أَقْلٌ مِنْ خَمْسِينَ أَلْفَ دِينَارٍ .
قَالَ إِسْحَقُ : فَهَضَبْتُ بِالْجَارِيَةِ إِلَى مَنْزِلِي . فَجَاءَ إِلَيَّ رَسُولُ صَاحِبِ
مِصْرَ وَسَأَلَنِي عَنِ الْجَارِيَةِ فَأَخْرَجْتُهَا إِلَيْهِ . فَبَدَلَ فِيهَا عَشْرَةَ أَلْفِ
دِينَارٍ فَأَمْتَنَعْتُ . فَصَعِدَ إِلَى عِشْرِينَ أَلْفَ دِينَارٍ فَأَمْتَنَعْتُ . فَصَعِدَ
إِلَى ثَلَاثِينَ أَلْفًا فَأَمْلَكْتُ نَفْسِي حَتَّى قُلْتُ لَهُ بَعْتُكَ . وَسَلَّمْتُ الْجَارِيَةَ
إِلَيْهِ وَقَبِضْتُ مِنْهُ الْمَالَ . ثُمَّ إِنِّي أَتَيْتُ مِنَ الْغَدِ إِلَى الْفَضْلِ بْنِ بَجِيٍّ فَقَالَ :
يَا إِسْحَقُ يَكُمُ بَعْتُ الْجَارِيَةَ . قُلْتُ ثَلَاثِينَ أَلْفَ دِينَارٍ . قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ
لَا تَأْخُذْ مِنْهُ أَقْلٌ مِنْ خَمْسِينَ أَلْفًا . قُلْتُ فِذَاكَ أَيُّيَّيَّيَّ وَاللَّهِ مَا مَلَكْتُ
نَفْسِي مُنْذُ سَمِعْتُ لَفْظَةَ ثَلَاثِينَ . فَتَبَسَّمَ ثُمَّ قَالَ : إِنْ رَسُولٌ صَاحِبِ
الرُّومِ قَدْ سَأَلَنِي أَيْضًا حَاجَةً وَسَأَفْرَحُ عَلَيْهِ هَذِهِ الْجَارِيَةَ وَأَدُلُّهُ عَلَيْكَ
فَخُذْ جَارِيَتَكَ وَأَنْصَرِفْ إِلَى مَنْزِلِكَ . فَإِذَا سَأَلَكَ فِيهَا فَلَا تَأْخُذْ مِنْهُ
أَقْلٌ مِنْ خَمْسِينَ أَلْفَ دِينَارٍ

فَأَخَذْتُ الْجَارِيَةَ وَأَنْصَرَفْتُ إِلَى مَتْرِي . فَأَتَانِي رَسُولُ صَاحِبِ الرُّومِ
وَسَاوَمَنِي فِي الْجَارِيَةِ . فَطَلَبْتُ خَمْسِينَ أَلْفًا فَقَالَ : هَذَا كَثِيرٌ وَلَكِنْ
تَأْخُذْ مِنِّي ثَلَاثِينَ أَلْفًا : فَوَاللَّهِ مَا مَلَكَتُ نَفْسِي مُنْذُ سَمِعْتُ لَفْظَةَ ثَلَاثِينَ أَلْفٍ
حَتَّى قُلْتُ لَهُ . بِعْتِكَ . ثُمَّ قَبِضْتُ أَلْفًا مِنْهُ وَسَلَّمْتُ الْجَارِيَةَ إِلَيْهِ .
وَمَضَيْتُ مِنَ الْغَدِ إِلَى الْفَضْلِ بْنِ يَحْيَى فَقَالَ : مَا صَنَعْتَ وَبِكُمْ بَعْتَ
الْجَارِيَةَ يَا إِسْحَقُ . قُلْتُ بِثَلَاثِينَ أَلْفًا . قَالَ سُبْحَانَ اللَّهِ مَا أَوْصَيْتَكَ أَنْ
لَا تَأْخُذَ فِيهَا أَقْلٌ مِنْ خَمْسِينَ أَلْفًا . قُلْتُ : جُعِلْتُ فِدَاكَ وَاللَّهِ إِنِّي لَهَا
سَمِعْتُ قَوْلَهُ ثَلَاثِينَ أَلْفًا اسْتَرْخَتْ جَمِيعُ أَعْضَائِي . فَضَحِكُ وَقَالَ : خُذْ
جَارِيَتَكَ وَادْهَبْ إِلَى مَتْرِكَ . فَنِي غَدٍ يَجِبُ إِلَيْكَ رَسُولُ صَاحِبِ
خُرَاسَانَ . فَقَوَّ نَفْسَكَ وَلَا تَأْخُذْ مِنْهُ أَقْلٌ مِنْ خَمْسِينَ أَلْفًا . قَالَ إِسْحَقُ :
فَأَخَذْتُ الْجَارِيَةَ وَمَضَيْتُ إِلَى مَتْرِي . فَجَاءَنِي رَسُولُ صَاحِبِ خُرَاسَانَ
وَسَاوَمَنِي فِيهَا . فَطَلَبْتُ خَمْسِينَ أَلْفًا فَقَالَ لِي : هَذَا كَثِيرٌ وَلَكِنْ تَأْخُذْ
ثَلَاثِينَ أَلْفًا . فَقَوَّيْتُ نَفْسِي وَأَمْتَنَعْتُ . فَصَدَّ مَعِيَ إِلَى أَرْبَعِينَ أَلْفٍ
دِينَارٍ . فَكَادَ عَقْلِي يَذْهَبُ مِنَ الْفَرَحِ . وَلَمْ أَتِمَّا لَكَ أَنْ أَقُولَ لَهُ بِعْتِكَ :
فَأَحْضَرَ أَلْفًا وَأَقْبَضْنِيهِ وَسَلَّمْتُ الْجَارِيَةَ إِلَيْهِ . وَمَضَيْتُ مِنَ الْغَدِ إِلَى
الْفَضْلِ فَقَالَ لِي : بِكُمْ بَعْتَ الْجَارِيَةَ : قُلْتُ : يَا أَرْبَعِينَ أَلْفًا . وَاللَّهِ لَهَا
سَمِعْتُهَا مِنْهُ كَادَ عَقْلِي يَذْهَبُ . وَقَدْ حَصَلَ عِنْدِي جُعِلْتُ فِدَاكَ مِنْهُ
أَلْفٍ دِينَارٍ . وَلَمْ يَفُفْ لِي أَمَلٌ . فَأَحْسَنَ اللَّهُ جَزَاءَكَ . فَأَمَرَ بِالْجَارِيَةِ
فَأُخْرِجَتْ إِلَيَّ وَقَالَ : يَا إِسْحَقُ خُذْ جَارِيَتَكَ وَأَنْصَرِفْ . قَالَ إِسْحَقُ :
قُلْتُ هَذِهِ الْجَارِيَةُ وَاللَّهِ أَعْظَمُ النَّاسِ بَرَكَهً فَأَعْنَقْتُهَا وَتَرَوُجُهَا فَوَلَدَتْ

لي أولادي

قيل إن محمد بن إبراهيم الإمام ابن محمد بن علي ابن عبد الله بن العباس حضر يوماً عند الفضل بن يحيى ومعه سَفَطٌ فيه جَوْهَرٌ وَقَالَ لَهُ: إِنَّ حَاصِلِي قَدْ قُصِرَ عَمَّا أَحْتَاجُ إِلَيْهِ. وَقَدْ عَلَانِي دَيْنٌ مَبْلَغُهُ أَلْفُ أَلْفِ دِرْهَمٍ وَإِنِّي أَسْخِي أَنْ أَعْلِمَ أَحَدًا بِذَلِكَ وَأَنْتُ أَنْ أَسْأَلَ أَحَدًا مِنَ التُّجَّارِ أَنْ يُقْرِضَنِي ذَلِكَ. وَإِنْ كَانَ مَعِيَ رَهْنٌ بِنِي بِالْقَيْمَةِ. وَأَنْتَ أَبْقَاكَ اللَّهُ لَكَ تُجَّارٌ يُعَامِلُونَكَ. وَأَنَا أَسْأَلُكَ أَنْ تَقْتَرِضَ لِي مِنْ أَحَدِهِمْ هَذَا الْمَبْلَغَ وَتُعْطِيَهُ هَذَا الرَّهْنَ. فَقَالَ لَهُ الْفَضْلُ: السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ وَلَكِنْ يُحْجِ هَذِهِ الْحَاجَةُ أَنْ تُعَيِّمَ عِنْدِي هَذَا الْيَوْمَ. فَأَقَامَ عِنْدَهُ. ثُمَّ إِنَّ الْفَضْلَ أَخَذَ السَّفَطَ مِنْهُ وَهُوَ مَخْتُومٌ بِخَيْبِهِ. وَأَرْسَلَ مَعَهُ أَلْفَ أَلْفِ دِرْهَمٍ وَنَفَذَ الدَّرَاهِمَ وَالسَّفَطَ إِلَى مَتْرِلِهِ وَأَخَذَ خَطًّا وَكَلِمَةً بِقَبْضِهِ. فَأَقَامَ مُحَمَّدٌ فِي دَارِ الْفَضْلِ إِلَى آخِرِ النَّهَارِ. ثُمَّ أَنْصَرَفَ إِلَى دَارِهِ فَوَجَدَ السَّفَطَ وَمَعَهُ أَلْفُ أَلْفِ دِرْهَمٍ. فَسَرَّ بِذَلِكَ سُرُورًا عَظِيمًا. فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْعَدِيدِ بَكَرَ إِلَى الْفَضْلِ لِيَشْكُرَهُ عَلَى ذَلِكَ. فَوَجَدَهُ قَدْ بَكَرَ إِلَى دَارِ الرَّشِيدِ. فَمَضَى مُحَمَّدٌ إِلَى دَارِ الرَّشِيدِ. فَلَمَّا عَلِمَ الْفَضْلُ بِهِ خَرَجَ مِنْ بَابِ آخَرٍ وَمَضَى إِلَى دَارِ أَبِيهِ. فَمَضَى مُحَمَّدٌ إِلَيْهِ. فَحِينَ عَلِمَ بِهِ خَرَجَ بِبَابِ آخَرٍ وَمَضَى إِلَى مَتْرِلِهِ. فَمَضَى مُحَمَّدٌ إِلَيْهِ وَاجْتَمَعَ بِهِ وَشَكَرَهُ عَلَى فِعْلِهِ وَقَالَ: إِنِّي بَكَرْتُ إِلَيْكَ لِأَشْكُرَكَ عَلَى إِحْسَانِكَ: فَقَالَ لَهُ الْفَضْلُ: إِنِّي فَكَّرْتُ فِي أَمْرِكَ فَرَأَيْتُ أَنَّ هَذِهِ الْأَلْفَ أَلْفًا أَلْبِي حَمْلَهَا أَمْسِ إِلَيْكَ تَقْضِي بِهَا دَيْنَكَ. ثُمَّ تَحْتَاجُ إِلَيْهِ فَتَقْتَرِضُ. فَبَعْدَ قَلِيلٍ بَعُوكَ مِثْلَهَا. فَبَكَرْتُ الْيَوْمَ إِلَى

أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَعَرَضْتُ عَلَيْهِ حَالَكُمْ وَأَخَذْتُ لَكُمْ مِنْهُ أَلْفَ دِرْهَمٍ أُخْرَى. فَلَمَّا حَضَرَتْ إِلَى بَابِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ خَرَجْتُ أَنَا بِبَابٍ آخَرَ وَكَذَلِكَ فَعَلْتُ لَهَا حَضَرَتْ إِلَى بَابِ أَبِي لَآئِي مَا كُنْتُ أَوْثُرُ أَنَّ أَلْفَاكَ حَتَّى يُجْمَلَ أَلْمَالُ إِلَى مَثَرِكَ وَقَدْ جُمِلَ: فَقَالَ لَهُ مُحَمَّدٌ: يَا أَيْ شَيْءٍ أَجَارِيكَ عَلَى هَذَا الْإِحْسَانِ مَا عِنْدِي شَيْءٌ أَجَارِيكَ بِهِ إِلَّا أَنِّي أَلْتَمِزُ بِالْأَيْمَانِ الْمُؤَكَّدَةِ وَالطَّلَاقِ وَالْعَنَاقِ وَأُنْجِجُ أَنِّي مَا أَفِئُ عَلَى بَابٍ غَيْرِكَ وَلَا أَسْأَلُ سِوَاكَ: قَالُوا: وَحَلَفَ مُحَمَّدٌ أَيْمَانًا مُؤَكَّدَةً وَكَتَبَ بِهَا خَطَّهُ وَأَشْهَدَ بِهِ عَلَيْهِ أَنَّهُ لَا يَفِئُ بِبَابٍ غَيْرِ الْفَضْلِ بْنِ بَجْجِي. فَلَمَّا أَهَبَتْ كَوَلَّةَ الْبَرَامِكَةِ وَتَوَلَّى الْفَضْلُ بْنُ الرَّيْعِ الْوِزَارَةَ بَعْدَهُمْ أَحْتَاجَ مُحَمَّدٌ فَقَالُوا لَهُ: نَوْرِكَيْتَ إِلَى الْفَضْلِ بْنِ الرَّيْعِ... فَلَمْ يَفْعَلْ وَالْزَّمُ بِالْيَسِينِ فَأَمَرَ يَرْكَبُ إِلَى أَحَدٍ وَلَمْ يَنْفِ عَلَى بَابٍ أَحَدٍ حَتَّى مَاتَ

سَيِّدُ جَعْفَرِ بْنِ بَجْجِي الْبَرَمَكِيُّ

كَانَ جَعْفَرُ بْنُ بَجْجِي فَصِيحًا أَيْبًا ذَكِيًّا فَطِنًا كَرِيمًا حَلِيمًا. وَكَانَ أَرْشِيدُ يَأْتِرُ بِهِ أَكْثَرُ مِنْ أَنْسِهِ بِأَخِيهِ الْفَضْلِ لِسُهُوَتِهِ أَخْلَاقِي جَعْفَرٍ وَشَرَّاسَةِ أَخْلَاقِي الْفَضْلِ. قَالَ الرَّشِيدُ يَوْمًا لِبَجْجِي: يَا أَيْ مَا بَالُ أَلْسِ بُسْرَنَ الْفَضْلِ الْوَزِيرِ الصَّغِيرِ وَلَا يُسَمُّونَ جَعْفَرًا بِذَلِكَ: فَقَالَ بَجْجِي: لِأَنَّ الْفَضْلَ يُخَلِّفُنِي. قَالَ: فَضَمُّ إِلَى جَعْفَرٍ أَعْمَاءَ كَعَمَالِ الْفَضْلِ. فَقَالَ بَجْجِي: إِنْ خِدَمْتِكَ وَمُنَادَمَتِكَ تَشْغَلَانِي عَنْ ذَلِكَ. فَجَعَلَ إِلَيْهِ أَمْرَ دَارِ الرَّشِيدِ. وَسَمِيَ بِالْوَزِيرِ الصَّغِيرِ أَيْضًا

قَالَ الرَّشِيدُ يَوْمًا لِبَجْجِي: قَدْ أَحْبَبْتُ أَنْ أُنْقَلَ دِيَوَانُ الْحَاكِمِ مِنَ الْفَضْلِ

إِلَى جَعْفَرٍ. وَقَدْ اسْتَحْيَيْتُ مِنْ مَكَاتِبِهِ فِي هَذَا الْمَعْنَى فَأَكْتُبُ أَنْتَ إِلَيْهِ.
فَكُتِبَ بِحُجَّتِي إِلَى الْفَضْلِ: قَدْ أَمَرَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَعْلَى اللَّهِ أَمْرُهُ أَنْ يُحَوَّلَ
الْحُجَّاتُ مِنْ بَيْتِكَ إِلَى شَأْلِكَ. فَأَجَابَهُ الْفَضْلُ: قَدْ سَمِعْتُ لِمَا أَمَر بِهِ أَمِيرُ
الْمُؤْمِنِينَ فِي أَخِي وَمَا أَتَقَلَّتْ عَنِّي نِعْمَةٌ صَارَتْ إِلَيْهِ وَلَا غَرِبَتْ عَنِّي
رُتْبَةٌ طَلَعَتْ عَلَيْهِ. فَقَالَ جَعْفَرٌ: لِلَّهِ دَرُّ أَخٍ مَا أَكْبَسَ نَفْسَهُ وَأَظْهَرَ
دَلَائِلَ الْفَضْلِ عَلَيْهِ وَأَقْوَى مِثْلَ الْعَقْلِ عِنْدَهُ وَأَوْسَعَ فِي الْبَلَاغَةِ ذَرْعَهُ
فَيَلْ إِنْ جَعْفَرُ بْنُ بَحْجَى الْبَرْمَكِيُّ. جَلَسَ يَوْمًا لِلشَّرْبِ وَأَحَبُّ الْخُلُقِ.
فَاحْضَرْنَا مَعَهُ الَّذِينَ بَأْسُ بِهِمْ. وَجَلَسَ مَعَهُمْ وَقَدْ هِيَ الْمَجْلِسُ وَلَيْسُوا
الْثِيَابَ الْمَصْبُغَةَ وَكَانُوا إِذَا جَلَسُوا فِي مَجْلِسِ الشَّرَابِ وَاللَّهْوِ. لَيْسُوا الثِّيَابَ
الْمُحْمَرَّ وَالصُّفْرَ وَالْخَضِرَ. ثُمَّ إِنْ جَعْفَرُ بْنُ بَحْجَى تَقَدَّمَ إِلَى الْحَاجِبِ أَنْ
لَا يَأْذَنَ لِأَحَدٍ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ تَعَالَى سِوَى رَجُلٍ مِنَ الثَّدْمَاءِ كَانَ قَدْ
تَأَخَّرَ عَنْهُمْ أَسْمُهُ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ صَالِحٍ. ثُمَّ جَلَسُوا يَشْرَبُونَ. وَدَارَسَ
الْكُتَاتُ. وَخَفَّتِ الْعِيدَانُ. وَكَانَ رَجُلٌ مِنْ أَقَارِبِ الْخُلَيْفَةِ يُقَالُ لَهُ
عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ صَالِحِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ. وَكَانَ شَدِيدَ
الْوَفَارِ وَالذِّمِّ وَالْحِشْمَةِ. وَكَانَ الرَّشِيدُ قَدْ أَلْتَمَسَ مِنْهُ أَنْ يُنَادِمَهُ
وَيَشْرَبَ مَعَهُ وَبَدَّلَ لَهُ عَلَى ذَلِكَ أَمْوَالًا جَلِيلَةً فَلَمْ يَفْعَلْ. فَأَتَفَقَ أَنْ هَذَا
عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ صَالِحٍ حَضَرَ إِلَى بَابِ جَعْفَرِ بْنِ بَحْجَى لِيُخَاطَبَهُ فِي حَوَاجِجِ
لَهُ. فَظَنَّ الْحَاجِبُ أَنَّهُ هُوَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ صَالِحٍ الَّذِي تَقَدَّمَ جَعْفَرُ بْنُ
بَحْجَى بِالْإِذْنِ لَهُ وَأَنْ لَا يُدْخَلَ غَيْرُهُ. فَأَذِنَ الْحَاجِبُ لَهُ. فَدَخَلَ عَبْدُ
الْمَلِكِ بْنُ صَالِحٍ الْعَبَّاسِيُّ عَلَى جَعْفَرِ بْنِ بَحْجَى. فَلَمَّا رَأَاهُ جَعْفَرٌ كَادَ عَقْلُهُ

يَذْهَبُ مِنَ الْحَيَاءِ وَقَطَنَ أَنَّ الْقَضِيَّةَ قَدْ اسْتَبْهَتْ عَلَى الْحَاجِبِ بِطَرِيقِ
 أَشْنَابِهِ الْأَسْمَرِ. وَقَطَنَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ صَالِحٍ أَيْضًا لِلْقَضِيَّةِ وَظَهَرَ لَهُ
 أَنْجَلُ فِي وَجْهِ جَعْفَرِ بْنِ بَيْحَى. فَأَنْبَسَ عَبْدُ الْمَلِكِ وَقَالَ: لَا بَأْسَ عَلَيْكُمْ
 أَحْضَرُوا لَنَا مِنْ هَذِهِ الثِّيَابِ الْمَبْصَغَةِ شَيْئًا. فَأَحْضَرَ لَهُ قَبِيصٌ مَصْبُوعٌ
 فَلَبِسَهُ وَجَلَسَ يُبَاسِطُ جَعْفَرُ بْنُ بَيْحَى وَيُبَازِجُهُ وَقَالَ: اسْتَفُونَا مِنْ سَرَائِكُمْ
 فَسَقَوْهُ رِطْلًا وَقَالَ: أَرَفَقُوا بِنَا فَلَيْسَ لَنَا عَادَةٌ بِهَذَا. ثُمَّ بَاسَطَهُمْ وَمَا زَحَمَ
 وَمَا زَالَ حَتَّى أَنْبَسَ جَعْفَرُ بْنُ بَيْحَى وَزَالَ انْتِبَاضُهُ وَحِبَاؤُهُ. فَفَرِحَ جَعْفَرُ
 بِذَلِكَ فَرَحًا شَدِيدًا وَقَالَ لَهُ: مَا حَاجُكَ. قَالَ جِئْتُ أَصْلَحَكَ اللَّهُ فِي
 ثَلَاثِ حَوَاجٍ. أُرِيدُ أَنْ تُخَاطِبَ الْخَلِيفَةَ فِيهَا. أَوَّلُهَا أَنْ عَلَيَّ دَيْنًا مَبْلُغُهُ
 أَلْفُ أَلْفٍ دِرْهَمٍ أُرِيدُ قَضَاءَهُ. ثَانِيهَا أُرِيدُ وَلَايَةً لِأَنِّي بِشَرَفِهَا
 قَدَرُهُ. وَثَالِثُهَا أُرِيدُ أَنْ تُزَوِّجَ وَلَدِي بِابْنَةِ الْخَلِيفَةِ فَإِنَّهَا بِنْتُ عَيْبَةٍ وَهِيَ
 كُفْرَاءٌ لَهَا. فَقَالَ جَعْفَرُ بْنُ بَيْحَى: قَدْ قَضَى اللَّهُ هَذِهِ الْحَوَاجَّ الثَّلَاثَ. أَمَّا
 أَمَّا فِي هَذِهِ السَّاعَةِ يُجْهَلُ إِلَى مَنَزِلِكَ. وَأَمَّا الْوَلَايَةُ فَقَدْ وَلَيْتُ أُنَبِّئَكَ
 مِصْرَ. وَأَمَّا الزَّوْجُ فَقَدْ زَوَّجْتُهُ فَلَا تَنَ أَبْنَةَ مَوْلَانَا أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى
 صِدَاقٍ مَبْلُغُهُ كَذَا وَكَذَا. فَأَنْصَرَفَ فِي أَمَانٍ اللَّهُ. فَرَاجَ عَبْدُ الْمَلِكِ إِلَى
 مَنَزِلِهِ. فَرَأَى أَمَّا لَ قَدْ سَبَقَهُ. وَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ حَضَرَ جَعْفَرُ عِنْدَ
 الرَّشِيدِ وَعَرَفَهُ مَا جَرَى وَأَنَّهُ قَدْ وُلَّاهُ مِصْرَ وَزَوَّجَهُ ابْنَتَهُ. فَعَجِبَ الرَّشِيدُ مِنْ
 ذَلِكَ وَأَمَضَى الْعَقْدَ وَالْوَلَايَةَ. فَأَخْرَجَ جَعْفَرُ مِنْ دَارِ الرَّشِيدِ حَتَّى كَتَبَ
 لَهُ التَّقْلِيدَ بِمِصْرَ وَأَحْضَرَ الْقَضَاةَ وَالشُّهُودَ وَعَقَدَ الْعَقْدَ
 وَقِيلَ إِنَّ جَعْفَرُ بْنُ بَيْحَى كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ صَاحِبِ مِصْرَ عِدَاوَةٌ وَوَحْشَةٌ

وَكَانَ كُلُّ مِنْهَا مُجَانِبًا لِلْآخِرِ. فَزَوَّرَ بَعْضُ النَّاسِ كِتَابًا عَنْ لِسَانِ جَعْفَرِ بْنِ يَحْيَى إِلَى صَاحِبِ مِصْرَ مَضْمُونُهُ. أَنَّ حَامِلَ هَذَا الْكِتَابِ مِنْ أَحْصَى أَصْحَابِنَا. وَقَدْ أَثَرُ التَّنَزُّجِ فِي الدِّيَارِ الْبَصْرِيَّةِ فَإِذَا يُدْأَنُ نُحْسِنَ الْإِلْتِقَاتَ إِلَيْهِ وَبَالِغَ فِي الْوَصِيَّةِ. ثُمَّ أَخَذَ الْكِتَابَ وَمَضَى إِلَى مِصْرَ وَعَرَضَهُ عَلَى صَاحِبِهَا. فَلَمَّا وَقَفَ عَلَيْهِ تَعَجَّبَ مِنْهُ وَفَرِحَ بِهِ. إِلَّا أَنَّهُ حَصَلَ عِنْدَهُ أَرْيَابٌ وَشَكٌّ فِي الْكِتَابِ. فَأَكْرَمَ الرَّجُلُ وَأَنْزَلَهُ فِي دَارٍ حَسَنَةٍ وَأَقَامَ لَهُ مَا يَجْتَاجُ إِلَيْهِ وَأَخَذَ الْكِتَابَ مِنْهُ وَأَرْسَلَهُ إِلَى وَكِيلِهِ يَبْغَدَادَ وَقَالَ لَهُ: قَدْ وَصَلَ شَخْصٌ مِنْ أَصْحَابِ الْوَزِيرِ بِهَذَا الْكِتَابِ وَقَدْ أَرْتَبْتُ بِهِ. فَإِذَا يُدْأَنُ تَنْتَحِصَ لِي عَنْ حَبِيبَةِ الْحَالِ فِي ذَلِكَ. وَهَلْ هَذَا خَطُّ الْوَزِيرِ أَمْ لَا: وَأَرْسَلَ كِتَابَ الْوَزِيرِ صُحْبَةً مَكْتُوبِهِ إِلَى وَكِيلِهِ. فَجَاءَ الْوَكِيلُ إِلَى وَكِيلِ الْوَزِيرِ وَحَدَّثَهُ بِالْفَصِّ وَأَرَاهُ الْكِتَابَ. فَأَخَذَهُ وَكِيلُ الْوَزِيرِ وَدَخَلَ إِلَى الْوَزِيرِ وَعَرَفَهُ الْحَالِ. فَلَمَّا وَقَفَ جَعْفَرُ بْنُ يَحْيَى عَلَى الْكِتَابِ عَلِمَ أَنَّهُ مُزَوَّرٌ عَلَيْهِ. وَكَانَ عِنْدَهُ جَمَاعَةٌ مِنْ نُدَمَائِهِ وَنَوَائِيهِ. فَرَمَى الْكِتَابَ عَلَيْهِمْ وَقَالَ لَهُمْ: أَهَذَا خَطٌّ. فَنَأْمَلُوهُ وَأَنْكُرُوهُ كُلُّهُمْ وَقَالُوا: هَذَا مُزَوَّرٌ عَلَى الْوَزِيرِ. فَعَرَفَهُمْ صُورَةَ الْحَالِ وَأَنَّ الَّذِي زَوَّرَ هَذَا الْكِتَابَ مَوْجُودٌ بِبَصْرَ عِنْدَ صَاحِبِهَا وَأَنَّهُ يَنْتَظِرُ عَوْدَ الْجَوَابِ يَتَعَفَّفِي حَالِهِ وَقَالَ لَهُمْ: مَا تَرَوْنَ وَكَيْفَ يَنْبَغِي أَنْ نَفْعَلَ فِي هَذَا. فَقَالَ بَعْضُهُمْ: يَنْبَغِي أَنْ يَتَلَ هَذَا الرَّجُلُ حَتَّى تَحْسِمَ هَذِهِ الْمَادَّةُ وَلَا يَرْجِعَ أَحَدٌ يَجْعَرُ عَلَى مِثْلِ هَذَا الْفِعْلِ. وَقَالَ آخَرُ: يَنْبَغِي أَنْ نَقْطَعَ بَيْسَهُ أَلَيْ زَوَّرَ بِهَا هَذَا الْخَطُّ. وَقَالَ آخَرُ: يَنْبَغِي أَنْ يُوجَعَ ضَرْبًا وَيُطْلَقَ حَالِ سَبِيلِهِ.

وَكَانَ أَحْسَنَهُمْ مَحْضَرًا مَنْ قَالَ: يَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ عُقُوبَتُهُ عَلَى هَذَا الْفِعْلِ.
 حِرْمَانُهُ وَأَنْ يَعْرِفَ صَاحِبُ مِصْرَ بِحَالِهِ لِيَحْرِمَهُ فَيَكْفِيَهُ مِنَ الْعُقُوبَةِ أَنَّهُ قَدْ
 قَطَعَ هَذِهِ الْمَسَافَةَ الْبُعِيدَةَ مِنْ بَغْدَادَ إِلَى مِصْرَ ثُمَّ يَرْجِعُ خَائِبًا. فَلَمَّا فَرَّغُوا
 مِنْ حَدِيثِهِمْ. قَالَ جَعْفَرٌ: سُبْحَانَ اللَّهِ أَلَيْسَ فِيكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ. قَدْ عَلِمْتُمْ
 مَا كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَ صَاحِبِ مِصْرَ مِنَ الْعَدَاوَةِ وَالْعِجَابَةِ وَأَنْ كُلُّ وَاحِدٍ
 مِنَّا كَانَتْ تَمْنَعُهُ عَيْنُ النَّفْسِ أَنْ يَفْخَ بِأَبِ الصُّلْحِ. فَقَدْ قَبِضَ اللَّهُ لَنَا
 رَجُلًا فَفَخَّ يَتَنَبَّأُ بِأَبِ الْمَصَاحِمَةِ وَالْمَكَاتِبَةِ وَأَزَالَ يَتَنَبَّأُ بِتِلْكَ الْعَدَاوَةِ.
 فَكَيْفَ يَكُونُ جَزَآؤُهُ مَا ذَكَرْتُمْ مِنَ الْإِسَاءَةِ: ثُمَّ أَخَذَ الْقَلَمَ وَكَتَبَ عَلَى
 ظَاهِرِ الْكِتَابِ إِلَى صَاحِبِ مِصْرَ: سُبْحَانَ اللَّهِ كَيْفَ حَصَلَ لَكَ الشُّكُّ فِي
 خَطِيئِي. هَذَا خَطُّ يَدَيَّ وَالرَّجُلُ مِنْ أَعَزِّ أَصْحَابِي وَأُرِيدُ أَنْ تُحْسِنَ إِلَيْهِ
 وَتُعِيدَهُ إِلَيَّ سَرِيعًا فَإِنِّي مُشْتَاتٌ إِلَيْهِ مُخْتَاجٌ إِلَى حُضُورِهِ: فَلَمَّا وَصَلَ
 الْكِتَابُ وَفِي ظَاهِرِهِ خَطُّ الْوَزِيرِ إِلَى صَاحِبِ مِصْرَ كَادَ بِطَيْدٍ مِنَ الْفَرَحِ
 وَأَحْسَنَ إِلَى الرَّجُلِ غَايَةَ الْإِحْسَانِ وَوَاصَلَهُ بِعَالٍ كَثِيرٍ وَنَحْفٍ جَمِيلٍ. ثُمَّ
 إِنَّ الرَّجُلَ رَجَعَ إِلَى بَغْدَادَ وَهُوَ أَحْسَنُ النَّاسِ حَالًا. فَمَحْضَرٌ إِلَى مَجْلِسِ
 جَعْفَرٍ وَوَقَعَ بَيْنَهُ الْأَرْضَ وَيَبْكِي. فَقَالَ لَهُ جَعْفَرٌ: مَنْ أَنْتَ أَخِي قَالَ:
 بَاوَلَانَا أَنْعَبْدُكَ وَصَنِعْتَكَ الْهَزُورُ الْكَذَابُ الْتَجَرَّيْتُ. فَعَرَفَهُ جَعْفَرٌ
 بِشَيْءٍ بِهِ وَأَجْلَسَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ وَسَأَلَهُ عَنْ حَالِهِ وَقَالَ لَهُ: كَمْ وَصَلَ إِلَيْكَ
 نَهْ. فَقَالَ: مِئَةُ أَلْفٍ دِينَارٍ. فَاسْتَفْلَهَا جَعْفَرٌ وَقَالَ: لَا زِمْنَا حَتَّى نَضَاعِفَهَا
 أَتَى. فَلَا زِمَهُ مَدَّةً فَكَسَبَ مَعَهُ مِثْلَهَا

وَمَا زَالَتْ حَوْلَةُ الْبَرَامِكَةِ فِي عُلُوِّ وَارْتِفَاعٍ وَتَزَايُدٍ حَتَّى اتَّحَرَفَتْ عَنْهُمْ

الدُّنْيَا. أَمَارَةٌ تَدُلُّ عَلَى انْحِرَافِ قُلُوبِهِمْ
 حَدَّثَ بَخِيشُوعُ الطَّيِّبُ قَالَ: دَخَلْتُ يَوْمًا عَلَى الرَّشِيدِ وَهُوَ جَالِسٌ فِي
 قَصْرِ الْمُخَلَّدِ مِنْ مَدِينَةِ السَّلَمِ. وَكَانَ الْبَرَامِكَةُ يَسْكُنُونَ بِحِذَائِهِ مِنَ الْجَنَابِ
 الْآخِرِ وَبَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ عَرَضٌ دِجْلَةٌ. قَالَ: فَظَنَرَ الرَّشِيدُ قِرَاءَةَ أَعْيُنِكَ
 الْحَبُولِ وَازْدِحَامِ النَّاسِ عَلَى بَابِ بَيْتِي بْنِ خَالِدٍ فَقَالَ: جَزَى اللَّهُ بَيْتِي
 خَيْرًا نَصَدَى لِلْأُمُورِ وَأَرَا حَيِّي مِنَ الْكَدِّ وَوَقَرِ أَوْقَانِي عَلَى اللَّذَّةِ. ثُمَّ
 دَخَلْتُ إِلَيْهِ بَعْدَ أَوْقَاتٍ. وَقَدْ شَرَعَ يَتَغَيَّرُ عَلَيْهِمْ. فَظَنَرَ قِرَاءَةَ الْحَبُولِ كَمَا
 رَأَاهَا تِلْكَ الْمَرْءُ. فَقَالَ اسْتَبَدَّ بَيْتِي بِالْأُمُورِ دُونِي. فَأَخْلَافَةُ عَلَى الْحَقِيقَةِ
 لَهُ وَلَيْسَ لِي مِنْهَا إِلَّا اسْمُهَا. قَالَ: فَعَلِمْتُ أَنَّهُ سَبَنَهُمْ ثُمَّ نَكَبَهُمْ عَفِيبَ ذَلِكَ
 نَرَحُ السَّبَبِ فِي نَكْبَةِ الْبَرَامِكَةِ وَكَيْفِيَةِ الْحَالِ

فِي ذَلِكَ

اِخْتَلَفَ أَصْحَابُ السَّيْرِ وَالتَّوَارِيخِ فِي ذَلِكَ. فَقِيلَ كَانَ سَبَبُ ذَلِكَ
 أَنَّ الرَّشِيدَ كَلَّفَ جَعْفَرَ بْنَ بَيْتِي قَتْلَ رَجُلٍ مِنْ آلِ أَبِي طَالِبٍ. فَتَخَرَّجَ
 جَعْفَرٌ مِنْ ذَلِكَ. وَأَطْلَقَ الطَّالِبِيُّ وَسُيِّعِي إِلَى الرَّشِيدِ بِجَعْفَرٍ فَقَالَ لَهُ: مَا
 فَعَلَ الطَّالِبِيُّ قَالَ: هُوَ فِي الْخُبْسِ. قَالَ الرَّشِيدُ: بِحَيَاتِي. فَظَنَنَ جَعْفَرُ
 فَقَالَ: لَا وَحْيَانِكَ وَلَكِنْ أَطْلَقْتَهُ لِأَنِّي عَلِمْتُ أَنَّهُ لَيْسَ عِنْدَكَ مَكْرُوهٌ. فَقَالَ
 لَهُ الرَّشِيدُ: نَعَمْ مَا فَعَلْتُ. فَلَمَّا قَامَ جَعْفَرٌ قَالَ الرَّشِيدُ: قَتَلَنِي اللَّهُ إِنْ لَمْ
 أَقْتُلْكَ ثُمَّ نَكَبَهُمْ

وَقِيلَ إِنَّ أَعْدَاءَ الْبَرَامِكَةِ مِثْلَ الْفَضْلِ بْنِ الرَّيْعِ. مَا زَالُوا يَسْعَوْنَ
 بِهِمْ إِلَى الرَّشِيدِ وَيَذْكُرُونَ لَهُ اسْتِبْدَادَهُمْ بِالْمَلِكِ وَأَخْجَانَهُمْ لِلْأَمْوَالِ

حَتَّى أَوْغَرُوا صَدْرَهُ فَأَوْقَعَ بِهِمْ
وَقِيلَ إِنَّ جَعْفَرَ وَالْفَضْلَ ابْنَيْ بَيْحَى ظَهَرَ مِنْهَا مِنْ الْإِذْلَالِ مَا لَا يَجْنِبُهُ
نُفُوسُ الْمُلُوكِ. فَنَكَبَهُمْ لِذَلِكَ

وَقِيلَ إِنَّ بَيْحَى بْنَ خَالِدِ بْنِ وَهْبٍ بَكَّةَ يَطُوفُ حَوْلَ الْبَيْتِ وَيَقُولُ
اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ رِضَاكَ فِي أَنْ تَسْلُبَنِي أَهْلِي وَمَالِي وَوَلَدِي. قَاسَلَنِي إِلَّا الْفَضْلَ
وَلَدِي. ثُمَّ وَلَّى فَلَمَّا مَشَى قَلِيلًا عَادَ وَقَالَ: يَا رَبِّ إِنَّهُ سَجَّ بِبَيْتِي أَنْ
يَسْتَنِي عَلَيْكَ اللَّهُمَّ وَالْفَضْلَ. فَنَكَبَهُمُ الرَّشِيدُ بَعْدَ قَلِيلٍ وَقِيلَ غَيْرُ ذَلِكَ
شَرَحَ مَقْتَلِ جَعْفَرِ بْنِ بَيْحَى
وَالْقُبُضِ عَلَى أَهْلِهِ

كَانَ الرَّشِيدُ قَدْ حَجَّ. فَلَمَّا عَادَ مِنْ الْحَجِّ سَارَ مِنَ الْمَحِيرَةِ إِلَى الْأَنْبَارِ
فِي السُّفُنِ وَجَعَلَ يَشْرَبُ وَرَكِبَ جَعْفَرُ بْنُ بَيْحَى إِلَى الصِّيدِ وَجَعَلَ يَشْرَبُ
تَارَةً وَيَكْهُوَ أُخْرَى وَنَحِثُ الرَّشِيدِ وَهَذَا بَاهُ تَأْيِيهِ وَعِنْدَهُ بَخِيشُوعُ الطَّيِّبُ
وَأَبُو زَكَرِيَّا الْأَعْمَى بَغْيِيهِ. فَلَمَّا أَطْلَلَ الْمَسَاءَ دَعَا الرَّشِيدُ مَسْرُورًا الْخَادِمَ.
وَكَانَ مُغْضًا لَجَعْفَرٍ وَقَالَ: أَذْهَبَ فِجْنِي بِرَأْسِ جَعْفَرٍ وَلَا تُرَاجِعْنِي. فَوَافَاهُ
مَسْرُورٌ بِغَيْرِ إِذْنٍ وَهَجَمَ عَلَيْهِ وَأَبُو زَكَرِيَّا بَغْيِيهِ

فَلَا تَبْعُدُ فَكُلُّ قَتَى سَبَائِي عَلَيْهِ الْمَوْتُ يَطْرُقُ أَوْ يُعَادِي
فَلَمَّا دَخَلَ مَسْرُورٌ قَالَ لَهُ جَعْفَرُ بْنُ بَيْحَى: لَقَدْ سَرَرْتَنِي بِحَيْكَ
وَسَوَّيْتَنِي بِدُخُولِكَ عَلَيَّ بِغَيْرِ إِذْنٍ. فَقَالَ الدِّبُّ جِئْتُ بِهِ أَعْظَمُ أَجْبِ
أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى مَا يُرِيدُ بِكَ. فَوَقَعَ عَلَى رِجْلَيْهِ فَقَبَّلَهَا وَقَالَ لَهُ: عَاوِذُ
أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَإِنَّ الشَّرَابَ قَدْ حَمَلَهُ عَلَى ذَلِكَ وَقَالَ: دَعْنِي أَدْخُلُ

كَارِي فَأَوْصِي. فَقَالَ: الدُّخُولُ لَا سَبِيلَ إِلَيْهِ. وَأَمَّا الْوَصِيَّةُ فَأَوْصِ بِهَا
بَدَا لَكَ فَأَوْصِي. ثُمَّ حَمَلَهُ إِلَى مَتَرِلِ الرَّشِيدِ وَعَدَلَ بِهِ إِلَى قُبِّهِ وَضَرَبَ
عُنُقَهُ وَأَلْقَى بِرَأْسِهِ عَلَى تُرْسٍ إِلَى الرَّشِيدِ وَبَدَنِهِ فِي نَطْعٍ. وَوَجَّهَ الرَّشِيدُ
فَقَبْضَ عَلَى أَبِيهِ وَأَخُوْتِهِ وَأَهْلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَحَبَسَهُمْ بِالرَّقَّةِ وَأَسْتَأْصَلَ شَأْفَتَهُمْ.
وَمِنْ ظَرِيفٍ مَا وَقَعَ فِي ذَلِكَ مَا رَوَاهُ الْعِمْرَانِيُّ الْمَوْرُخُ قَالَ: حَدَّثَ
فُلَانٌ قَالَ: دَخَلْتُ الدِّيَوَانَ فَنَظَرْتُ فِي بَعْضِ تَذَاكِرِ الثُّنَابِ فَرَأَيْتُ
فِيهَا أَرْبَعَ مِائَةِ أَلْفٍ دِينَارٍ ثَمَنُ خِلْعَةٍ لَجَعْفَرِ بْنِ بَجِيٍّ الْوَزِيرِ. ثُمَّ دَخَلْتُ
بَعْدَ أَيَّامٍ فَرَأَيْتُ تَحْتَ ذَلِكَ عَشْرَةَ قَرَارِيطَ ثَمَنُ نَظْمٍ وَبَوَارِي لِأَخْرَاقِ
جُنَّةِ جَعْفَرِ بْنِ بَجِيٍّ فَعَجِبْتُ مِنْ ذَلِكَ. ثُمَّ اسْتَوَزَرَ الرَّشِيدُ بَعْدَ الْبَرَامِكَةِ
الْفَضْلَ بْنَ الرَّبِيعِ وَكَانَ حَاجِبُهُ

وِزَارَةُ أَبِي الْعَبَّاسِ الْفَضْلِ بْنِ الرَّبِيعِ

فَكَانَ حَاجِبًا لِلْمَنْصُورِ وَالْمُهْدِيِّ وَالْهَادِي وَالرَّشِيدِ. فَلَمَّا تَغَيَّبَ الرَّشِيدُ
الْبَرَامِكَةَ اسْتَوَزَرَهُ بَعْدَهُمْ. كَانَ الْفَضْلُ بْنُ الرَّبِيعِ شَهْمًا خَيْرًا بِأَحْوَالِ
الْمُلُوكِ وَأَدَابِهِمْ. وَلَمَّا وَلِيَ الْوِزَارَةَ تَهَوَّسَ بِالْأَدَبِ وَجَمَعَ إِلَيْهِ أَهْلَ
الْعِلْمِ فَخَصَّلَ مِنْهُ مَا أَرَادَ فِي مَدَّةٍ يَسِيرَةٍ. وَكَانَ أَبُو نُؤَاسٍ مِنْ شُعْرَائِهِ
الْمَنْطُوعِينَ إِلَيْهِ فَمِنْ شِعْرِهِ فِي أَمْرِ الرَّبِيعِ

عَبَّاسُ عَبَّاسٍ إِذَا اضْطَرَمَّ الْوَعْيُ وَالْفَضْلُ فَضْلُ وَالرَّبِيعُ رَبِيعُ
وَمَا زَالَ الْفَضْلُ بْنُ الرَّبِيعِ عَلَى وِزَارَتِهِ إِلَى أَنْ مَاتَ الرَّشِيدُ بِطُوسَ.
فَجَمَعَ الْفَضْلُ الْعُسْكَرَ وَمَا فِيهِ وَرَجَعَ إِلَى بَغْدَادَ. انْتَهَى ذِكْرُ خِلَافَةِ
هُرُونَ الرَّشِيدِ

ذِكْرُ خِلَافَةِ أَبِي أَحْمَدَ عَبْدِ اللَّهِ

الْمُسْتَعَصِمِ بِاللَّهِ

يُوبِغُ لَهُ بِالْخِلَافَةِ فِي سَنَةِ أَرْبَعِينَ وَسِتِّمِئَةٍ هُوَ آخِرُ الْخُلَفَاءِ . كَانَ الْمُسْتَعَصِمُ رَجُلًا خَيْرًا مَتَدِينًا لَيْنَ الْجَانِبِ سَهْلَ الْعَرِيكَ عَفِيفَ اللِّسَانِ وَالْفَرْجِ حَمَلَ الْكِتَابَ وَكَتَبَ خَطًا مَلِيحًا وَكَانَ سَهْلَ الْأَخْلَاقِ وَكَانَ خَفِيفَ الْوُطْأَةِ . إِلَّا أَنَّهُ كَانَ مُسْتَضْعَفَ الرَّأْيِ ضَعِيفَ الْبَطْشِ قَلِيلَ الْخَبَرِ بِأُمُورِ الْمَمْلَكَةِ . مَطْمُوعًا فِيهِ غَيْرُ مَسْبُوبٍ فِي النُّفُوسِ وَلَا مُطَّلِعٌ عَلَى حَقَائِقِ الْأُمُورِ . وَكَانَ زَمَانُهُ يَنْفُضِي أَكْثَرُ بَسْمَاعِ الْأَغَانِي وَالْفَرْجِ عَلَى الْمَسَاخِرَةِ . وَفِي بَعْضِ الْأَوْقَاتِ يَجْلِسُ بِخِزَانَةِ الْكُتُبِ جُلُوسًا لَيْسَ فِيهِ كَيْدٌ فَائِدَةٌ . وَكَانَ أَصْحَابُهُ مُسْتَوَلِينَ عَلَيْهِ وَكُلُّهُمْ جُهَالٌ مِنْ أَرْذَالِ الْعَوَامِّ إِلَّا وَزِيرُهُ مُوَيْدُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ الْعَلْقَمِيِّ . فَإِنَّهُ كَانَ مِنْ أَعْيَانِ النَّاسِ وَعُقْلَاءِ الرِّجَالِ . وَكَانَ مَكْنُوفَ الْيَدِ مَرْخُودَ الْقَوْلِ يَتَرَقَّبُ الْعَزْلَ وَالْقَبْضَ

١ الخلفاء هم الذين خلفوا محمد بن عبد الله نبي الاسلام وتولوا الامر من بعده من العرب وكان في يدهم امر السياسة والدين معا . وهم اولاء خلفاء المشرق وكانت دار خلافتهم مكة الى وفاة اقام علي بن ابي طالب . ثم الشام في دولة بني امية . ثم بغداد في دولة بني العباس . وكانت مدتهم جميعا ٦٢٢ سنة وذلك من سنة ٦٢٦ ليلاد الى سنة ١٢٥٨ •

ثانيا خلفاء الاندلس واول من ولي الخلافة هناك عبد الرحمن الاموي من ملوك انشام وذلك سنة ٦٥٧ وكانت مدتهم ٢٧٤ سنة اي من التاريخ المذكور الى سنة ١٠٣١ •

ثالثا خلفاء مصر وهم الفاطميون واول من ولي الخلافة منهم عبيد الله من سلالة فاطمة بنت محمد وذلك سنة ٩٠٩ واستمرت خلافتهم ٢٦٢ سنة حتى اضمحلت سنة ١١٧١ على يد الملك صلاح الدين الايوبي •

وكان تقليد الخلافة في صدر الاسلام بالمبايعة الى ان جاء معاوية بن ابي سفيان الاموي في اخر القرن الاول فنسخ المبايعة وقرر الخلافة في صلوة واستمر الحال على ذلك الى سنة ٩٣٥ حيث خلعهم امير الامراء عن امر السياسة . وبقيت الخلافة متدركة بين العرب الى ظهور السلطان سليم العثماني فاستلم الخلافة من المتوكل آخر خلفاء بني العباس وذلك سنة ١٥١٦ فكانت مدة جميعهم ٨٨٠ سنة (بولي)

صَبَاحَ مَسَاءَ. وَكَانَتْ عَادَةُ الْخُلَفَاءِ أَكْثَرُهُمْ أَنْ يَحْجِسُوا أَوْلَادَهُمْ وَأَقَارِبَهُمْ
وَبِذَلِكَ جَرَتْ سُنَنُهُمْ إِلَى آخِرِ أَيَّامِ الْمُسْتَعِصِمِ. فَلَمَّا وَلِيَ الْمُسْتَعِصِمُ
أَطْلَقَ أَوْلَادَهُ الثَّلَاثَةَ وَلَمْ يَحْجِسْهُمْ وَهُمْ الْأَمِيرُ الْكَبِيرُ أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ
وَالْعَامَةُ نُسَيْبَةُ أَبَا بَكْرٍ لَيْسَ بِصَحِيحٍ وَإِنَّمَا سَمَّوْهُ بِذَلِكَ لِأَنَّهُ لَمَّا نَهَبَ الْكَرْخَ
نُسِبَ الْأَمْرُ فِي ذَلِكَ إِلَيْهِ. وَقِيلَ إِنَّهُ هُوَ الذِّبِ أَشَارَ بِذَلِكَ وَالْأَمِيرُ
الْأَوْسَطُ وَهُوَ أَبُو الْفَضَائِلِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ كَانَ شَهْمًا خَرَجَ إِلَى بَيْنَ يَدَيْ
السُّلْطَانِ هُوَ لَا كُوْوَ وَوَقَعَ كَلَامُهُ بِمَوْضِعِ الْإِسْتِحْسَانِ فِي الْحَضْرَةِ السُّلْطَانِيَّةِ
وَالْأَمِيرِ الْأَصْغَرِ أَبُو الْمَنَافِبِ

حَدَّثَنِي صَفِيُّ الدِّينِ عَبْدُ الْمُؤْمِنِ بْنُ فَاخِرِ الْأَرْمَوِيِّ وَكَانَ قَدْ صَارَ
فِي آخِرِ أَيَّامِ الْمُسْتَعِصِمِ مُتَرَبِّيًا عِنْدَهُ وَمِنْ خَوَاصِهِ. وَكَانَ قَدْ اسْتَجَدَّ فِي
آخِرِ أَيَّامِهِ خِزَانَةَ كُتُبٍ وَنَقَلَ إِلَيْهَا مِنْ نَفَائِسِ الْكُتُبِ وَسَلَّمَ مَفَاتِيحَهَا
إِلَى عَبْدِ الْمُؤْمِنِ. فَصَارَ عَبْدُ الْمُؤْمِنِ يَجْلِسُ بِبَابِ الْخِزَانَةِ يَنْسُخُ لَهُ مَا
يُرِيدُ. وَإِذَا خَطَرَ الْخُلَيْفَةَ الْجُلُوسُ فِي خِزَانَةِ الْكُتُبِ جَاءَ إِلَيْهَا وَعَدَلَ عَنْ
الْخِزَانَةِ الْأُولَى الَّتِي كَانَتْ مُسَلَّمَةً إِلَى الشَّيْخِ صَدْرِ الدِّينِ عَلِيِّ بْنِ النَّبَارِ.
قَالَ. أَغْنِي عَبْدُ الْمُؤْمِنِ: كُنْتُ مَرَّةً جَالِسًا فِي مُجْمَعٍ صَغِيرٍ وَأَنَا أَنْسُخُ
وَهُنَاكَ مَرْتَبَةً يَرْسُمُ الْخُلَيْفَةُ إِذَا جَاءَ إِلَى هُنَاكَ جَلَسَ عَلَيْهَا. وَقَدْ بَسُطَتْ
عَلَيْهَا لِحْفَةٌ لِيَرُدَّ عَنْهَا الْغُبَارُ. فَجَاءَ خُوْدَيْدَمٌ صَغِيرٌ وَنَامَ قَرِيبًا مِنَ الْمَرْتَبَةِ
الْمَذْكُورَةِ وَاسْتَغْرَقَ فِي النَّوْمِ فَتَلَبَّ حَتَّى تَلَفَّفَ فِي تِلْكَ الْلِحْفَةِ
الْمَبْسُوطَةِ عَلَى الْمَرْتَبَةِ ثُمَّ تَلَبَّ حَتَّى صَارَتْ رِجْلَاهُ عَلَى الْمُسْنَدِ. قَالَ وَأَنَا
مَشْغُولٌ بِالنَّسْخِ فَأَحْسَسْتُ بَوَاطِءَ فِي الدِّهْلِيْزِ فَتَنَظَّرْتُ فَإِذَا هُوَ الْخُلَيْفَةُ

وَهُوَ يَسْتَدْعِي بِلِلْإِشَارَةِ وَمُخْتَفٍ وَطَاهٍ. فُقِمْتُ إِلَيْهِ مُتَرَعِّجًا وَقَبِلْتُ
الْأَرْضَ فَقَالَ لِي: هَذَا الْخَوْدِيمُ الَّذِي قَدْ نَامَ حَتَّى تَلَفَّ فِي هَذِهِ الْحِفَّةِ
وَصَارَتْ رِجَالُهُ عَلَى الْمَسَدِ مَتَّى هَجَمْتُ عَلَيْهِ حَتَّى يَسْتَيْقِظَ وَبَعْلَمَ أَنِّي قَدْ
شَاهَدْتُهُ عَلَى هَذِهِ الْحَالِ تَنْفِطُرُ مَرَارَتُهُ مِنَ الْخَوْفِ. فَأَنْقَضَهُ أَنْتَ بِرَفْقٍ
فَأَنِّي سَأَخْرُجُ إِلَى الْبُسْتَانِ ثُمَّ أَعُودُ. قَالَ وَخَرَجَ الْخَلِيفَةُ فَدَخَلَتْ إِلَى
الْخَوْدِيمِ وَأَنْقَضَتْهُ فَأَتَتْهُ ثُمَّ أَصْلَحْنَا الْمَرْتَبَةَ ثُمَّ دَخَلَ الْخَلِيفَةُ

وَحَدَّثَنِي بَعْضُ أَهْلِ بَغْدَادَ حَدَّثْتُ أَنَّ الشَّيْخَ صَدْرَ الدِّينِ بْنِ النَّبَاسِ
شَيْخَ الْخَلِيفَةِ قَالَ: دَخَلْتُ مَرَّةً إِلَى خِزَانَةِ الْكُتُبِ عَلَى عَادَتِي وَفِي كُتُبِي
مِنْ دِيلٍ فِيهِ رِفَاعٌ كَثِيرٌ لِلْجَمَاعَةِ مِنْ أَرْبَابِ الْخَوَاجِ فَطَرَحْتُ الْبِنْدِيلَ
وَفِيهِ الرِّفَاعُ فِي مَوْضِعٍ ثُمَّ فُقِمْتُ لِبَعْضِ شَأْنِي. فَلَمَّا عُدْتُ إِلَى الْخِزَانَةِ
بَعْدَ سَاعَةٍ حَلَلْتُ الرِّفَاعَ مِنَ الْبِنْدِيلِ حَتَّى أَتَانَا مَلَأًا وَأَقْدَمَ مِنْهَا الِهْمُ
فَرَأَيْنَاهَا جَمِيعًا وَعَلَيْهَا تَوْفِيعُ الْخَلِيفَةِ بِالْإِجَابَةِ إِلَى جَمِيعِ مَا فِيهَا. فَعَلِمْتُ
أَنَّ الْخَلِيفَةَ قَدْ جَاءَ إِلَى الْخِزَانَةِ عِنْدَ قِيَامِي فَرَأَسَ الْبِنْدِيلَ وَفِيهِ الرِّفَاعُ
فَفَتَحَهَا وَوَقَعَ عَلَى جَمِيعِهَا

وَالْمُسْتَعَصِمُ هُوَ آخِرُ خُلَفَاءِ الدَّوْلَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ بِيغْدَادَ وَلَمْ يَخْرُجْ فِي أَيَّامِ
الْمُسْتَعَصِمِ شَيْءٌ يُوَثِّرُ سِوَى نَهَبِ الْكَرْخِ وَبَسِ الْأَثَرُ ذَلِكَ. وَفِي آخِرِ
أَيَّامِهِ قَوِيَتْ الْأَرَارِجِفُ بِوُضُولِ عَسْكَرِ الْبُغُولِ صُحْبَةَ السُّلْطَانِ هُوَلَا كُو
فَلَمْ يَخْرُجْ ذَلِكَ مِنْهُ عَزْمًا وَلَا تَبَهُ مِنْهُ هَيْبَةً وَلَا أَحْدَثَ عِنْدَهُمَا. وَكَانَ
كُلَّمَا سَمِعَ عَنِ السُّلْطَانِ مِنَ الْإِحْيَاطِ وَالِاسْتِعْدَادِ شَيْءٌ ظَهَرَ مِنَ الْخَلِيفَةِ
نَقِضُهُ مِنَ التَّنْزِيطِ وَالِإِهْمَالِ. وَلَمْ يَكُنْ يَتَصَوَّرُ حَقِيقَةَ الْحَالِ فِي ذَلِكَ

وَلَا يَعْرِفُ هَذِهِ الدَّوْلَةَ بِسَرِّ اللَّهِ إِحْسَانَهَا وَأَعْلَى شَأْنِهَا حَقَّ الْمَعْرِفَةِ. وَكَانَ
وَزِيرُهُ مُؤَيَّدُ الدِّينِ بْنُ الْعَلْفِيِّ يَعْرِفُ حَقِيقَةَ الْأَحَالِ فِي ذَلِكَ وَيُكَائِبُهُ
بِالتَّخْذِيرِ وَالنَّصِيحَةِ وَيُشِيرُ عَلَيْهِ بِالتَّقْطِيعِ وَالِاسْتِعْدَادِ وَهُوَ لَا يَزِدُّ إِلَّا غُفُولًا.
وَكَانَ خَوَاصُهُ يُوهِمُونَهُ أَنَّهُ لَيْسَ فِي هَذَا كَيْدٌ خَطِرٌ وَلَا هُنَاكَ مَخْذُورٌ وَأَنَّ
الْوَزِيرَ إِنَّمَا بَعْظُمُ هَذَا لِيَنْفَقَ سُوقُهُ وَلِيَنْبَرِزَ إِلَيْهِ الْأَمْوَالُ لِيُحْنِدَ بِهَا الْعَسَاكِرَ
فَيَنْتَطِعَ مِنْهَا لِنَفْسِهِ. وَمَا زَالَتْ غَفْلَةُ الْخَلِيفَةِ تَنْبِيهِ وَيَقْظَةُ الْأَجَانِبِ الْآخِرِ
تَضَاعَفُ حَتَّى وَصَلَ الْعَسْكَرُ السُّلْطَانِيُّ إِلَى هَمْدَانَ وَأَقَامَ بِهَا مُدْبِدَةً.
ثُمَّ تَوَاتَرَتْ الرُّسُلُ السُّلْطَانِيَّةُ إِلَى الدِّيَّانِ الْمُسْتَعَصِيِّ فَوَقَعَ التَّعْيِينَ
مِنْ حِيَوَانَ الْخَلِيفَةِ عَلَى وَلَدِ أَسْتَاذِ الدَّارِ وَهُوَ شَرَفُ الدِّينِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ
الْجُوزِيِّ فَبَعَثَ رَسُولًا إِلَى خِدْمَةِ الدَّرْكَاهِ السُّلْطَانِيَّةِ بِهَمْدَانَ. فَلَمَّا وَصَلَ
وَسُمِعَ جَوَابُهُ عُلِمَ أَنَّهُ جَوَابٌ مُغَالَطَةٌ وَمُدَافَعَةٌ

فِيحْنِدُهُ وَقَعَ الشَّرُوعُ فِي قَصْدِ بَغْدَادَ وَبَشَّرَ الْعَسَاكِرُ إِلَيْهَا. فَتَوَجَّهَ
عَسْكَرُ كَيْفٍ مِنَ الْمَغُولِ وَالْمَقْدَمِ عَلَيْهِمْ بَاجُوعٌ إِلَى تِكْرِيتَ لِيَعْبُرُوا مِنْ
هُنَاكَ إِلَى الْأَجَانِبِ الْغَرْبِيِّ وَيَقْصِدُوا بَغْدَادَ مِنْ غَرْبِهَا وَيَقْصِدَهَا
الْعَسْكَرُ السُّلْطَانِيُّ مِنْ شَرْفِهَا. فَلَمَّا عَبَرَ عَسْكَرُ بَاجُوعٍ مِنْ تِكْرِيتَ وَأَخْبَرَ
إِلَى أَعْمَالِ بَغْدَادَ أَجْفَلَ النَّاسُ مِنْ دُجَيْلٍ وَالْإِنْخِاقِي وَنَهْرِ مَلِكٍ وَنَهْرِ
عَبَسَى وَدَخَلُوا إِلَى الْمَدِينَةِ بَيْنَسَائِمِهِمْ وَأَوْلَادِهِمْ حَتَّى كَانَتِ الرَّجُلُ أَوْ الْمَرْأَةُ
يَقْدِفُ بِنَفْسِهِ فِي الْهَاءِ وَكَانَ الْمَلَّاحُ إِذَا عَبَرَ أَحَدًا فِي سَفِينَةٍ مِنْ جَانِبِ
إِلَى جَانِبٍ يَأْخُذُ أَجْرَهُ سَوَارًا مِنْ ذَهَبٍ أَوْ طِرَازًا مِنْ زُرْكَشٍ أَوْ عِدَّةٍ
مِنَ الدَّنَانِيرِ. فَلَمَّا وَصَلَ الْعَسْكَرُ السُّلْطَانِيُّ إِلَى دُجَيْلٍ وَهُوَ يَزِيدُ عَلَى

ثَلَاثِينَ أَلْفَ فَارِسٍ خَرَجَ إِلَيْهِ عَسْكَرُ الْخَلِيفَةِ صُحْبَةً مُقَدَّمِ الْجَبُوشِ
مُجَاهِدِ الدِّينِ إِيَّكَ الدَّوِيدَارِ وَكَانَ عَسْكَرُ فِي غَايَةِ الْفَلَةِ. فَالْتَقَوْا بِأَتْحَانِبِ
الْغُرْنِيِّ مِنْ بَغْدَادَ قَرِيبًا مِنَ الْبَلَدِ فَكَانَتْ الْغَلْبَةُ فِي أَوَّلِ الْأَمْرِ لِعَسْكَرِ
الْخَلِيفَةِ. ثُمَّ كَانَتْ الْكُرَّةُ لِلْعَسْكَرِ السُّلْطَانِي فَأَبَادُوهُمْ قَتْلًا وَأَسْرًا. وَأَعَانَهُمْ
عَلَى ذَلِكَ نَهْرٌ فَخَوَّهُ فِي طُولِ اللَّيْلِ فَكَثُرَتِ الْوُحُولُ فِي طَرِيقِ الْمَنْهَرِ مِنْ
فَلَمْ يَخُجْ مِنْهُمْ إِلَّا مَنْ رَمَى نَفْسَهُ فِي الْمَاءِ أَوْ مَنْ دَخَلَ الْبَرِيَّةَ وَمَضَى عَلَى
وَجْهِهِ إِلَى السَّامِ. وَبَجَا الدَّوِيدَارُ فِي جُمُعَةٍ مِنْ عَسْكَرِهِ وَوَصَلَ إِلَى بَغْدَادَ
وَسَاقَ بَاجُوحًا دَخَلَ الْبَلَدَ مِنْ جَانِبِهِ الْغُرْنِيِّ وَوَقَفَ بِعَسَاكِرِهِ مُحَازِي
الْتَّاجِ وَجَاسَتْ عَسَاكِرُهُ خِلَالَ الدِّيَارِ وَأَقَامَ مُحَازِي التَّاجِ أَيَّامًا
أَمَّا حَالُ الْعَسْكَرِ السُّلْطَانِي فَإِنَّهُ فِي يَوْمِ الْحَبْسِ رَابِعِ مُحَرَّمٍ مِنْ سَنَةِ
سِتٍّ وَخَمْسِينَ وَسِتِّمِئَةٍ ثَارَتْ غَبْرَةٌ عَظِيمَةٌ شَرَفِي بَغْدَادَ عَلَى دَرْبِ بَعْقُوبَ
يَحِثُّ عَمَتِ الْبَلَدِ فَأَنْزَعَ النَّاسُ مِنْ ذَلِكَ وَصَعِدُوا إِلَى أَعَالِي السُّطُوحِ
وَالْمَنَائِرِ يَتَشَوَّقُونَ. فَأَنْكَشَفَتِ الْغَبْرَةُ عَنْ عَسَاكِرِ السُّلْطَانِ وَخَوَّوْهُ وَلَفِيفَهُ
وَكُرَاعِهِ وَقَدْ طَبَقَ وَجْهَ الْأَرْضِ وَأَحَاطَ بِبَغْدَادَ مِنْ جَمِيعِ جِهَاتِهَا. ثُمَّ
شَرَعُوا فِي اسْتِعْمَالِ أَسْبَابِ انْخِصَارِ وَشَرَعَ الْعَسْكَرُ الْخَلِيفِيُّ فِي الِهْدَافَةِ
وَالْمَقَاوِمَةِ إِلَى يَوْمِ تَاسِعٍ وَعِشْرِي مُحَرَّمٍ. فَلَمْ يَشْعُرِ النَّاسُ إِلَّا وَرَايَاتُ
الْمَغُولِ ظَاهِرَةً عَلَى سُورِ بَغْدَادَ مِنْ بُرْجٍ يُسَمَّى بُرْجَ الْعَجِيجِ مِنْ نَاحِيَةِ
بَابِ مِنْ أَبْوَابِ بَغْدَادَ يُقَالُ لَهُ بَابُ كَلَوَازِسَ. وَكَانَ هَذَا الْبُرْجُ أَقْصَرَ
أَبْرَاجِ السُّورِ. وَنَفَعَهُ الْعَسْكَرُ السُّلْطَانِي هُجُومًا وَدُخُولًا فَجَرَى مِنَ الْقَتْلِ
الدَّرِيْعِ وَالْتَّهَبِ الْعَظِيمِ وَالتَّهْتِيكِ الْبَلِيغِ مَا يَعْظُمُ سَمَاعُهُ جُمْلَةً. فَمَا الظَّنُّ

بِتَفَاصِيلِهِ وَكَانَ مَا كَانَ مِمَّا لَسْتُ أَذْكُرُ فَظَنُّ ظَنًّا وَلَا تَسْأَلْ عَنِ الْخَبَرِ.
وَأَمَرَ السُّلْطَانُ بِخُرُوجِ الْخَلِيفَةِ وَوَلَدِهِ وَنِسَائِهِ إِلَيْهِ. فَخَرَجُوا فَحَضَرَ الْخَلِيفَةُ
بَيْنَ يَدَيِ الذَّرَكَاهِ. فَبُقِلَ أَنَّهُ غُوتِبَ وَوُجَّحَ بِهَا مَعْنَاهُ نِسْبَةُ الْعَجَزِ وَالنَّفَرِيطِ
وَالْغُفُولِ إِلَيْهِ. ثُمَّ أُوصِلَ إِلَى الْبِلَاسِ^١ وَوَلَدَاهُ الْأَكْبَرُ وَالْأَوْسَطُ. وَأَمَّا
بَنَاتُهُ فَأُسْرِنَ ثُمَّ اسْتَشْهَدَ الْمُسْتَعِصِمُ فِي رَابِعِ صَفَرٍ مَنَّةَ سِتٍّ وَخَمْسِينَ
وَسِتِّينَ

إِنْتَهَى ذِكْرُ خِلَافَةِ الْمُسْتَعِصِمِ بِاللَّهِ

^١ البِلَاسُ فِي قَانُونِ الْجُمَايَاتِ فِي دَوْلَةِ الْمَغُولِ



مِنْ كِتَابِ

الْمَوَاعِظِ وَالْإِعْتِبَارِ فِي ذِكْرِ الْخَطِطِ وَالْأَقَامِ

لِفَتَى الدِّينِ الْمَغْرِبِيِّ

ذِكْرُ خِلَافَةِ الْحَاكِمِ بِأَمْرِ اللَّهِ

الْحَاكِمُ بِأَمْرِ اللَّهِ أَبُو عَلِيٍّ مَنْصُورُ بْنُ الْعَزِيزِ نِزَارُ بْنُ الْمُعِزِّ لَدِينِ اللَّهِ
أَبِي تَيْمٍ مَعْدًى وَلَدَ بِالْقَصْرِ مِنَ الْقَاهِرَةِ الْمُعِزِّيَّةِ لَيْلَةَ الْخَمِيسِ الثَّلَاثِ
وَالْعِشْرِينَ مِنْ شَهْرِ رَجَبِ الْأَوَّلِ سَنَةِ خَمْسٍ وَسَعِينَ وَثَلَاثِينَ فِي السَّاعَةِ
التَّاسِعَةِ وَالطَّالِعِ مِنْ بُرْجِ السَّرْطَانِ سَبْعَ وَعِشْرُونَ دَرَجَةً. وَسَلِّمْ عَلَيْهِ
بِالْخِلَافَةِ فِي مَدِينَتِهِ بَلْبَاسَ بَعْدَ الظُّهْرِ مِنْ يَوْمِ الثَّلَاثَةِ ثَامِنِ وَعِشْرِي شَهْرِ
رَمَضَانَ سَنَةِ سِتٍّ وَثَمَانِينَ وَثَلَاثِينَ. وَسَارَ إِلَى الْقَاهِرَةِ فِي يَوْمِ الْأَرْبَعَاءِ
يَسَائِرُ أَهْلِ الدَّوْلَةِ وَالْعَزِيزُ فِي قُبَّةٍ عَلَى نَاقَةٍ بَيْنَ يَدَيْهِ. وَعَلَى الْحَاكِمِ دُرَاعَةٌ
مُصَمَّمَةٌ وَعِمَامَةٌ فِيهَا الْجَوْهَرُ وَبِيَدِهِ رُمْحٌ وَقَدْ ثَقُلَ السَّيْفَ وَلَمْ يُفَقِّدْ مِنْ
جَمِيعِ مَا كَانَ مَعَ الْعَسَاكِرِ شَيْءٌ. وَدَخَلَ الْقَصْرَ قَبْلَ صَلَوةِ الْمَغْرِبِ. وَأَخَذَ
فِي جِهَازِ أَبِيهِ الْعَزِيزِ بِاللَّهِ وَدَفَنَهُ. ثُمَّ بَكَرَ سَائِرُ أَهْلِ الدَّوْلَةِ إِلَى الْقَصْرِ
يَوْمَ الْخَمِيسِ وَقَدْ نَصَبَ الْحَاكِمُ سَرِيرَهُ مِنْ ذَهَبٍ عَلَيْهِ مَرْتَبَةٌ مُدْهَبَةٌ فِي
الْإِيوَانِ الْكَبِيرِ. وَخَرَجَ مِنْ قَصْرِ رَاكِبًا وَعَلَيْهِ مِعْصَمَةُ الْجَوْهَرِ وَالنَّاسُ

الحاكم بامر الله هو أحد الخلفاء الفاطميين بمصر ولي العهد بعد أبيه سنة ١١٦٦ وكان شرساً
جائراً سفاكاً دماً واضطهد اليهود والنصارى وأمر بقلع الكرم. وكانت وفاته سنة ١٠٢١
قتلاً بيد فتى من المسلمين. وكان يدعى أنه من سلالة علي ابن أبي طالب ويدعون نفسه أمير
المؤمنين والغائب مقام الله وعدل عن دين محمد وإقام ديناً جديداً وهو دين الدروز المتبعين
الآن في سورية ومصر وإصحابة يزعمون أنه نُقل إلى السماء (بولي) ١

وَقُوفٌ فِي صَحْنِ الْإِيوَانِ. فَقَبِلُوا لَهُ الْأَرْضَ وَمَشَوْا بَيْنَ يَدَيْهِ حَتَّى جَلَسَ عَلَى السَّرِيرِ. فَوَقَفَ مِنْ رِثْمَةِ الْوُقُوفِ وَجَلَسَ مِنْ لَهُ عَادَةٌ أَنْ يَجْلِسَ وَسَلَّمَ الْجَمِيعُ عَلَيْهِ بِالْإِمَامَةِ وَالْقَبْرِ الَّذِي أَخْبِرَ لَهُ وَهُوَ الْحَاكِمُ بِأَمْرِ اللَّهِ وَكَانَ سَنُهُ يَوْمَئِذٍ إِحْدَى عَشْرَةَ سَنَةً وَخَمْسَةَ أَشْهُرٍ وَسِتَّةَ أَيَّامٍ.

فَجَعَلَ أَبَا مُحَمَّدٍ الْحَسَنَ بْنَ عَمَّارٍ الْكُتَّامِيَّ وَاسِطَةً وَلَقَبَهُ بِأَمِينِ الدَّوْلَةِ وَأَسْفَطَ مَكُوسًا كَانَتْ بِالسَّاحِلِ وَرَدَّ إِلَى الْحُسَيْنِ بْنِ جَوْهَرٍ الْفَائِدِ الْبَرِيدَ وَالْإِنْشَاءَ. فَكَانَ يُخْلِفُهُ ابْنُ سُورِينَ وَأَقْرَبُ عَيْسَى بْنِ نَسْطُورُسَ عَلَى دِيْوَانِ الْخَاصِّ وَقَدْ سَلِمَانَ بْنَ جَعْفَرٍ بْنِ فَلَاحٍ الشَّامِ. فَخَرَجَ بَنُوتُكَيْنُ بِدِمَشْقَ وَسَارَ مِنْهَا لِمُدَاقَعَةِ سُلَيْمَانَ بْنِ جَعْفَرٍ بْنِ فَلَاحٍ. فَلَبِغَ الرَّمْلَةُ وَأَنْضَمَ إِلَيْهِ ابْنُ الْجُرَّاحِ الطَّامِثِيُّ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْعَرَبِ وَوَاقَعَ ابْنُ فَلَاحٍ فَأَنْهَزَهُمْ وَفَرَّ ثُمَّ أُسِيرَ وَحِيلَ إِلَى الْقَاهِرَةِ فَأَكْرَمَ. وَأَخْلَفَ أَهْلُ الدَّوْلَةِ عَلَى ابْنِ عَمَّارٍ وَوَقَعَتْ حُرُوبٌ آلَتْ إِلَى صَرْفِهِ عَنِ الْوَسَاطَةِ وَلَهُ فِي النَّظَرِ أَحَدُ عَشَرَ شَهْرًا غَيْرَ خَمْسَةِ أَيَّامٍ. فَلَزِمَ دَارَهُ وَأُطْلِفَتْ لَهُ رُسُومٌ وَجَرَائِزٌ. وَأُفِيمَ الطَّوَّاشِي بِرَجْوَانِ الصَّنْعِيِّ مَكَانَهُ فِي الْوَسَاطَةِ لِثَلَاثِ بَقِيْنَ مِنْ رَمَضَانَ سَنَةِ سَبْعٍ وَثَمَانِينَ وَثَلَاثِينَ. فَجَعَلَ كَاتِبَهُ فَهْدَ بْنَ إِبْرَاهِيمَ يُوقِعُ عَنْهُ وَلَقَبَهُ بِالرَّئِيسِ وَصَرَفَ سُلَيْمَانَ بْنَ فَلَاحٍ عَنِ الشَّامِ بِجَيْشِ بْنِ الصَّمْصَامَةِ وَقَدْ فَخَلَ ابْنُ إِسْمَاعِيلَ الْكُتَّامِيَّ مَدِينَةَ صُورَ وَقَدْ بَانَسَ الْخُدَّامَ بِرَقَّةً وَمَيْسُورًا الْخُدَّامَ طَرَابُلُسَ وَبَيْنَمَا الْخُدَّامُ غَزَوْا وَعَسْفَلَانَ. فَوَاقَعَ جَيْشُ الرُّومِ عَلَى فَايَةِ وَقَتْلَ مِنْهُمْ خَمْسَةَ آلَافٍ رَجُلًا وَغَزَا إِلَى أَنْ دَخَلَ مَرْعَشَ. وَقَدْ وَظِيفَةَ قِضَاءِ الْقَضَاةِ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ الْحُسَيْنِ بْنَ

عليّ بن النعمان في صفر سنة تسع وثمانين بعد موت قاضي القضاة محمد بن النعمان. وقتل الأستاذ برجوان لأربع بقين من ربيع الآخر سنة تسع وثمانين وثلثمائة وله في النظر ستان وثمانية أشهر غير يوم واحد ورد النظر في أمور الناس وتدير المملكة والتوفعات إلى الحسين بن جوهر ولقب بقائد الفواد خلفه الرئيس ضد. واتخذ الحاكم مجلسا في الليل بحضور فيه عدة من أعيان الدولة ثم أبطله ومات جيش بن الصمصامة في ربيع الآخر سنة تسعين وثلثمائة. فوصل ابنه يتركيه إلى القاهرة ومعه درج يحيط أبيه فيه وصيته وثبت بها خلفه مفضلا وأن ذلك جميعه لأمر المؤمنين الحاكم يأمر الله لا يستحق أحد من أولاده منه درهما. وكان مبلغ ذلك جميعه نحو المائتين ألف دينار ما بين عين ومتاع وكتاب. قد أوقف جميع ذلك تحت القصر فأخذ الحاكم الدرج ونظره ثم أعاده إلى أولاد جيش وخلع عليهم وقال لهم بحضور وجوه الدولة: قد وقفت على وصية أبيكم رحمه الله وما وصى به من عين ومتاع فخذوه هنيئا مباركا لكم فيه فأصرفوا بجميع النركة.....

ومنع الناس كافة من مخاطبته أحد ومكاتبته بسيدنا ومولانا إلا أمير المؤمنين وحده. وأبج دم من خالف ذلك. وفي شوال قتل ابن عمار وفي سنة إحدى وتسعين وأصل الحاكم الزكوب في الليل كل ليلة. وكان يشق الشوارع والأزقة وبالغ الناس في الوفد والزينة وأنفوا الأموال الكبيرة على المأكيل والمشارب والغناء واللهو وكثر نفرهم على ذلك حتى خرجوا فيه عن الحد فمنع النساء من الخروج في الليل.

ثُمَّ مَنَعَ الرِّجَالَ مِنَ الْجُلُوسِ فِي الْحَوَانِيتِ

وَفِي سَنَةِ خَمْسٍ وَتِسْعِينَ أَمَرَ النَّصَارَى وَالْهُودَ بِشِدِّ الزَّكَايَةِ وَلَبَسَ
الْبَغَارَ، وَمَنَعَ النَّاسَ مِنْ أَكْلِ الْهَلُوحِ يَا وَالْجُرْجِيرِ وَالْمَتَوَكِّلِيَّةِ وَالْدَّيْلَسِ
وَذَنَجِ الْبَقَارِ السَّليمةِ مِنَ الْعَاهَةِ إِلَّا فِي أَيَّامِ الْأَضْحِيَّةِ، وَمَنَعَ مِنْ بَيْعِ
الْفَنَاعِ وَعَمَلِهِ الْبُتَّةِ وَأَنْ لَا يَدْخُلَ أَحَدٌ الْحَمَامَ إِلَّا بِمِزْرٍ وَلَنْ لَا تَكْشِفَ
أَمْرَأَةٌ وَجْهَهَا فِي طَرِيفٍ وَلَا خَلْفَ جَنَازَةٍ وَلَا تُبْرِجَ وَلَا يَبَاعَ شَيْءٌ مِنَ
السَّمَكِ بِغَيْرِ قِشْرِ وَلَا بِضَاطَّةٍ أَحَدٌ مِنَ الصَّيَّادِينَ، وَتَتَّبَعَ النَّاسُ فِي ذَلِكَ
كَلِمَهُ وَتَشَدَّدَ فِيهِ وَضُرِبَ جَمَاعَةٌ بِسَبَبِ مُحَالَفَتِهِمْ مَا أُمِرُوا بِهِ وَنَهَوْا عَنْهُ
مِمَّا ذَكَرَ، وَخَرَجَتِ الْعَسَاكِرُ لِقِتَالِ بَنِي قُرَّةَ مِنْ أَهْلِ التَّجْرِيفِ، وَكَتَبَ عَلَى
أَبْوَابِ الْمَسَاجِدِ وَعَلَى الْأَجْمَاعِ بِبُضْرٍ وَعَلَى أَبْوَابِ الْحَوَانِيتِ وَالْأَنْجَارِ
وَالْمَنَازِلِ سَبَّ السَّلَفِ^١ وَلَعْنَهُمْ وَآكْرَهَ النَّاسَ عَلَى نَفْسِ ذَلِكَ وَكَتَابَتْهُ
بِالْأَضْبَاغِ فِي سَائِرِ الْمَوَاضِعِ، وَأَقْبَلَ النَّاسُ مِنْ سَائِرِ النُّوَاجِي فَدَخَلُوا
فِي الدَّعْوَةِ وَجُعِلَ لَهُمْ يَوْمَانِ فِي الْأُسْبُوعِ وَكَثُرَ الْأَزْدِحَامُ عَلَى ذَلِكَ
وَمَاتَ فِيهِ جَمَاعَةٌ

وَمَنَعَ النَّاسَ مِنَ الْخُرُوجِ بَعْدَ الْمَغْرَبِ فِي الطَّرَفَاتِ وَأَنْ لَا يَظْهَرَ أَحَدٌ
بِهَا لَيْلَعٍ وَلَا شَرَاهُ، فَخَلَّتِ الطَّرُقُ مِنَ الْمَاءِ وَكُسِرَتْ أَوَالِي الْخُمُورِ وَارْتَفَتْ
مِنْ سَائِرِ الْأَمَاكِينِ، وَاشْتَدَّ خَوْفُ النَّاسِ بِأَسْرِهِمْ وَقَوِيَتْ الشَّنَاعَاتُ وَزَادَ
الْإِضْطِرَابُ فَاجْتَمَعَ كَثِيرٌ مِنَ الْكُتَّابِ وَغَيْرِهِمْ تَحْتَ الْقَصْرِ وَضَجُّوا يَسْأَلُونَ

^١ اسم السلف يُطلق على ما ذهب إليه الأئمة على عائشة زوجة محمد وإليه بكر وعمر

وعثمان وطلحة وابن الزبير ومعاوية وعمر بن العاص

الْعَوَى فَكُتِبَتْ عِدَّةُ أَمَانَاتٍ لِحَبِيعِ الطَّوَائِفِ مِنْ أَهْلِ الدَّوْلَةِ وَغَيْرِهِمْ مِنْ
الْبَاعَةِ وَالرَّعِيَّةِ. وَأَمَرَ يَقْتُلَ الْكِلَابَ فَقُتِلَ مِنْهَا مَا لَا يَحْصَى حَتَّى قُتِلَتْ.
وُفِّحَتْ حَارُ الْحِكْمَةِ بِالْقَاهِرَةِ وَحُمِلَ إِلَيْهَا الْكُتُبُ وَدَخَلَ إِلَيْهَا النَّاسُ
وَأَشْتَدَّ الطَّلَبُ عَلَى الرِّكَابِيَةِ الْمُسْتَحْدِمِينَ فِي الرِّكَابِ وَقُتِلَ مِنْهُمْ كَثِيرًا.
ثُمَّ شَفَاعَتُهُمْ وَكُتِبَ لَهُمْ أَمَانَاتٌ وَمَنَعَ النَّاسُ كَافَّةً مِنَ الدُّخُولِ مِنْ بَابِ
الْقَاهِرَةِ وَهُمْ رُكَّابٌ. وَمَعَ الْهَكَارِيْنَ أَنْ يَدْخُلُوا بِحَبِيرِهِمْ إِلَى الْقَاهِرَةِ وَمَنَعَ
النَّاسَ مِنَ الشَّيْءِ مُلَاصِقِ الْقَصْرِ. وَقُتِلَ قَاضِي الْقَضَاءِ حُسَيْنُ بْنُ النُّعْمَانِ
وَأُخْرِقَ بِالنَّارِ. وَقُتِلَ عَدَدٌ مِنَ النَّاسِ كَثِيرٌ ضُرِبَتْ أَعْنَاقُهُمْ

وَفِي سَنَةِ سِتٍّ وَتِسْعِينَ خَرَجَ أَبُو رَكْوَةَ يَدْعُو إِلَى نَفْسِهِ وَادَّعَى أَنَّهُ
مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ. فَتَقَامَ بِأَمْرِ بَنُو قَوْعَ لِكَثَرَتِهِ مَا أَوْفَعَ بِهِمُ الْحَاكِمُ وَبَايَعُوهُ
وَأَسْتَجَابَ لَهُ لَوَاتِهِ وَمَزَانَتِهِ وَرِزَانَتِهِ وَأَخَذَ بَرْقَةً وَهَزَمَ جُيُوشَ الْحَاكِمِ غَيْرَ
مَرَّةٍ وَعَظِمَ مَا مَعَهُمْ. فَخَرَجَ لِقِتَالِهِ الْقَائِدُ فَضْلُ بْنُ صَالِحٍ فِي رَيْعِ الْأَوَّلِ
وَوَاقِعُهُ فَأَنْهَزَمَ مِنْهُ فَضْلٌ وَأَشْتَدَّ الْأَضْطِرَابُ بِبَصْرَ وَتَزَايَدَتِ الْأَسْعَارُ.
وَأَشْتَدَّ الْإِسْتِعْدَادُ لِحَارَبَةِ أَبِي رَكْوَةَ وَنَزَلَتِ الْعَسَاكِرُ بِالْجَيْشِ. وَسَارَ أَبُو
رَكْوَةَ فَوَاقِعُهُ الْقَائِدُ فَضْلٌ وَقُتِلَ عِدَّةٌ مِنْهُمْ مَعَهُ. فَعَظُمَ الْأَمْرُ وَأَشْتَدَّ الْخَوْفُ
وَخَرَجَ النَّاسُ قَبَّاتُوا فِي الشُّوَارِعِ خَوْفًا مِنْ هُجُومِ عَسَاكِرِ أَبِي رَكْوَةَ.
وَأَسْتَمَرَّتِ الْحُرُوبُ فَأَنْهَزَمَ أَبُو رَكْوَةَ فِي ثَالِثِ ذِي الْحِجَّةِ عَلَى النَّبُورِ.
وَتَبِعَهُ الْقَائِدُ فَضْلٌ بَعْدَ أَنْ بَعَثَ إِلَى الْقَاهِرَةِ سِتَّةَ آلَافِ رَأْسٍ وَمِائَةِ
أَسِيرٍ إِلَى أَنْ فُيْضَ عَلَيْهِ فِي بِلَادِ الثُّوْبَةِ. وَأُخْضِرَ إِلَى الْقَاهِرَةِ فَقُتِلَ بِهَا
وُخْلِجَ عَلَى الْقَائِدِ فَضْلٍ وَسُيِّرَتِ الْبَشَائِرُ بِقَتْلِهِ فِي الْأَعْمَالِ

٢٨١
 وَفِي سَنَةِ سَبْعٍ وَتِسْعِينَ وَثَلَاثِينَ أَمَرَ بِخَوَسِّ السَّلَفِ فَحُجِّي سَائِرُ
 مَا كُتِبَ مِنْ ذَلِكَ وَغُلَّتِ الْأَسْعَارُ لِنَقْصِ النَّيْلِ. فَإِنَّهُ بَلَغَ سِتَّةَ عَشَرَ
 أَصْبَعًا مِنْ سَبْعِ عَشْرَةِ ذِرَاعًا ثُمَّ تَقَصَّ وَمَاتَ بِخَوَسِّ تَكِينٍ فِي ذِيهِ انْحِيَا
 وَاشْتَدَّ الْغَلَاءُ فِي ثَمَانٍ وَتِسْعِينَ وَوَلَّى عَلِيٌّ ابْنُ قَالِحٍ حِمَشَقَ. وَفُيْضَ جَمِيعُ
 مَا هُوَ مُحْبَسٌ عَلَى الْكُنَائِسِ وَجُعِلَ فِي الدِّيَّانِ وَأُحْرِقَ عِدَّةُ صُلْبَانٍ عَلَى بَابِ
 التَّجَامِعِ يَبْصُرُ وَكُتِبَ إِلَى سَائِرِ الْأَعْمَالِ بِذَلِكَ. وَفِي سَادَةِ عَشَرَ
 رَجَبٍ قُرِرَ مَالِكُ بْنُ سَعِيدٍ الْفَارِسِيُّ فِي وَطَنِهِ قَضَاءُ الْقَضَاةِ وَتَسَلَّمَ كُتِبَ
 الدَّعْوَةُ إِلَيْهِ تَقْرَأُ بِالْقَصْرِ عَلَى الْأَوْلِيَاءِ وَصُرِفَ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ التُّعْمَانِ
 عَنْ ذَلِكَ

وَتَوَقَّعَتْ زِيَادَةُ النَّيْلِ وَاسْتَسْقَى النَّاسُ مَرَّتَيْنِ وَأَمْرًا بِطَالِ عِدَّةٍ
 مَكُوسٍ وَتَعَذَّرَ وَجُودُ الْخُبْزِ لِنَقْصِ النَّيْلِ وَفُلْتِهِ. وَفُتِحَ التَّحْلِيمُ فِي رَابِعِ ثَوْبٍ
 وَالْمَاءُ عَلَى خَمْسِ عَشْرَةِ ذِرَاعًا فَاشْتَدَّ الْغَلَاءُ. وَفِي تَاسِعِ مُحَرَّمٍ وَهُوَ نِصْفُ
 ثَوْبٍ تَقَصَّ مَاءُ النَّيْلِ وَلَمْ يُوفِ سِتُّ عَشْرَةِ ذِرَاعًا. فَمَنَعَ النَّاسُ كَافَّةً مِنْ
 التَّظَاهُرِ بِالْفَنَاءِ وَمِنْ رُكُوبِ الْبَحْرِ لِلتَّنْفِجِ. وَمَنَعَ مِنْ بَيْعِ الْمُسْكِرَاتِ
 وَمَنَعَ كَافَّةً مِنَ الْخُرُوجِ قَبْلَ الْفَجْرِ وَبَعْدَ الْعِشَاءِ إِلَى الطَّرَفَاتِ. وَاشْتَدَّ
 الْأَمْرُ عَلَى الْكَافَّةِ لِشِدَّةِ مَا دَاخَلَهُمْ مِنَ الْخَوْفِ مَعَ شِدَّةِ الْغَلَاءِ وَتَزَايُدِ
 الْأَمْرَاضِ فِي النَّاسِ وَالْمَوْتِ

وَتَزَايَدَتْ الْأَمْرَاضُ وَكَثُرَ الْمَوْتُ وَعَزَّتِ الْأَدْوِيَةُ وَأُعِيدَتْ الْمَكُوسُ
 إِلَيْهِ رُفِعَتْ وَهْدِمَتْ كُنَائِسُ كَانَتْ بِطَرِيفِ الْمَنَافِسِ. وَهْدِمَتْ كَبِيسَةُ
 بِحَارَةِ الرُّومِ مِنَ الْفَاهِرَةِ وَهَبَّ مَا فِيهَا وَقُتِلَ كَثِيرٌ مِنَ الْخُدَّامِ وَالْكَتَّابِ

وَمِنَ الصَّفَالِيَّةِ بَعْدَ مَا قُطِعَتْ أَيْدِي بَعْضِهِمْ مِنَ الْكُتَّابِ بِالسَّاطُورِ عَلَى
 خَشَبَةٍ مِنْ وَسْطِ الذَّرَاعِ وَقِيلَ الْفَائِدُ فَضْلُ بْنُ صَالِحٍ فِي ذِي الْقَعْدَةِ .
 وَفِي حَادِي عَشَرَ صَرَفَ صَالِحُ بْنُ عَلِيٍّ الرُّودْبَارِيُّ وَقُرَّ مَكَانَهُ
 أَنُ بْنُ عَبْدِوَنَ النَّصْرَانِيُّ الْكَاتِبُ وَلَقِبَ بِالْكَافِي . فَوَقَعَ عَنِ الْحَاكِمِ وَنَظَرَ .
 وَكَتَبَ بِهِدْمَ كِتَابَةِ الْفَأَمَةِ وَجَدَّ دِيوانًا يُقَالُ لَهُ الدِّيوانُ الْمَفْرُودُ بِرَسْمِهِ
 مَنْ يَقْبِضُ مَالَهُ مِنَ الْمُفْتُولِينَ وَغَيْرِهِمْ . وَكَثُرَتِ الْأَمْرَاضُ وَعَزَّتْ
 الْأَكْثَوِيَّةُ وَشَهْرُ جَمَاعَةٍ وَجَدَ عِنْدَهُمْ قُقَاعٌ وَمُلُوحِيَا وَدَلِيسٌ وَتُرْمُسٌ وَضُرِبُوا
 وَهَدِمَ دَارُ الْقَصْرِ وَاشْتَدَّ الْأَمْرُ عَلَى النَّصَارَى وَالْيَهُودِ فِي الْأَزْوَاجِ لَيْسَ
 الْغِيَارُ . وَكَتَبَ بِإِبْطَالِ أَخِيذِ الْخُمْسِ وَالنَّجَاوَى وَالنَّطْرَقِ وَقَرَّ الْحُسَيْنُ بْنُ
 جَوْهَرَ وَأَوْلَادُهُ وَعَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ الثُّعْنَابِ . وَقَرَّ أَبُو الْقَسَمِ الْحُسَيْنُ بْنُ
 الْمَغْرِبِيِّ . وَكُتِبَتْ عِدَّةُ أَمَانَاتٍ لِعِدَّةِ طَوَائِفٍ مِنْ شِدَّةِ خَوْفِهِمْ وَقُطِعَتْ
 فِرَاقَةُ مَجَالِسِ الْحِكْمَةِ بِالْقَصْرِ . وَوَقَعَ التَّشْدِيدُ فِي الْمَنَعِ مِنَ الْمُسْكِرَاتِ
 وَقِيلَ كَثِيرٌ مِنَ الْكُتَّابِ وَالْمُخْدَمِ وَالْفَرَّاشِينَ وَقِيلَ صَالِحُ بْنُ عَلِيٍّ
 الرُّودْبَارِيُّ فِي سُؤَالٍ

وَفِي رَابِعِ الثَّعْرَمِ سَنَةِ إِحْدَى وَارْبَعِينَ صَرَفَ الْكَافِي بْنُ عَبْدِوَنَ
 عَنِ النَّظَرِ وَالْتَوَفِيعِ وَقَرَّرَ بَدْلَهُ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْقَشُورِيُّ الْكَاتِبُ فِي
 الْوَسَاطَةِ وَالسِّفَارَةِ . وَحَضَرَ حُسَيْنُ بْنُ جَوْهَرَ وَعَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ الثُّعْنَابِ إِلَى
 الْقَاهِرَةِ فَأَكْرَمَهُ ثُمَّ صَرَفَ ابْنُ الْقَشُورِيِّ بَعْدَ عَشْرِ أَيَّامٍ مِنْ اسْتِقْرَارِهِ
 وَضُرِبَ عُنُقُهُ . وَقَرَّرَ بَدْلَهُ زَرْعَةُ بْنُ عِيسَى بْنِ نَسْطُورَ الْكَاتِبِ النَّصْرَانِيَّ
 وَلَقِبَ بِالشَّافِي . وَمَنَعَ النَّاسَ مِنْ رُكُوبِ الْمَرَاكِبِ فِي الْخَلِيجِ وَمُدَّتْ

أَبْوَابُ الدُّورِ الَّتِي عَلَى الْخَلِيجِ وَالطَّاقَاتُ. وَأُضِيفَ إِلَى قَاضِي الْقَضَاءِ مَالِكِ
 بْنِ سَعِيدٍ النَّظَرُ فِي الْمَظَالِمِ. وَأُعِيدَتْ مَجَالِسُ الْحِكْمَةِ وَأُخِذَ مَالُ الْبُخَيْرِيِّ
 وَقُتِلَ ابْنُ عَبْدِ وَنٍ وَقُبِضَ مَالُهُ. وَضُرِبَ جَمَاعَةٌ وَشُهِرُوا مِنْ أَجْلِ بَعْضِهِمْ
 الْمُلُوكِ بِمَا وَالسَّمَكَ الذِّبْ لَا فِشْرَلَهُ وَبَسَبَ بَيْعُ النَّيْدِ. وَقُتِلَ الْحُسَيْنُ
 بْنُ جَوْهَرٍ وَعَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ النُّعْمَانِ فِي جُمَادَى الْآخِرَةِ فِي سَنَةِ إِحْدَسَ
 وَلَرْبِعِيَّةٍ وَأُحِيطَ بِأَمْوَالِهَا وَأُبْطِلَتْ عِدَّةُ مَكُوسٍ. وَمُنِعَ النَّاسُ مِنْ
 الْغَنَاءِ وَاللَّهْوِ وَمِنْ بَيْعِ الْبَغْنِيَّاتِ وَمِنْ الْإِجْتِمَاعِ بِالصَّخْرَاءِ. وَفِي هَذِهِ
 السَّنَةِ خَلَعَ حَسَّانُ بْنُ مُرْجٍ بْنُ دَغْفَلٍ بَيْنَ الْجَرَاحِ طَاعَةَ الْحَاكِمِ وَأَقَامَ أَبَا
 الْفَتْوحِ حُسَيْنَ بْنَ جَعْفَرٍ الْحُسَيْنِيَّ أَمِيرَ مَكَّةَ خَلِيفَةً وَبَايَعُوهُ وَدَعَا النَّاسُ
 إِلَى مُبَايَعَتِهِ وَقَاتَلَ عَسَاكِرَ الْحَاكِمِ

وَفِي سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَلَرْبِعِيَّةٍ مُنِعَ مِنْ بَيْعِ الزَّرْبِيبِ وَكُتِبَ بِالْمَنْعِ مِنْ
 حَمَلِهِ وَالْقِي فِي بَحْرِ النَّيْلِ مِنْهُ شَيْءٌ كَثِيرٌ وَأُحْرِقَ مِنْهُ كَثِيرٌ. وَمُنِعَ النِّسَاءُ مِنْ
 زِيَارَةِ الْقُبُورِ فَلَمْ يَدْخُلْ فِي الْأَعْيَادِ بِالْمَقَابِرِ امْرَأَةٌ وَاحِدَةٌ. وَمُنِعَ مِنَ الْإِجْتِمَاعِ
 عَلَى شَاطِئِ النَّيْلِ لِلتَّنَجُّجِ وَمُنِعَ مِنْ بَيْعِ الْعِنَبِ إِلَّا أَرْبَعَةَ أَرْطَالٍ فَأُدْوِنَهَا.
 وَمُنِعَ مِنْ عَصِيصٍ وَطَرِحَ كَثِيرٌ مِنْهُ وَدَبَسَ فِي الطَّرَقَاتِ وَغَرَّقَ كَثِيرٌ مِنْهُ
 فِي النَّيْلِ. وَمُنِعَ مِنْ حَمَاهُ وَقُطِعَتْ كُرُومُ الْحَبِيزَةِ كُلِّهَا وَسِيرَ إِلَى الْمَجَاهِدِ
 بِذَلِكَ

وَفِي سَنَةِ ثَلَاثٍ وَلَرْبِعِيَّةٍ غَلَا السَّعْرُ وَازْدَحَمَ النَّاسُ عَلَى الْخُبَيْرِ وَفِي ثَلَاثِ
 رَبِيعِ الْأَوَّلِ مِنْهَا هَلَكَ عِيسَى بْنُ نَسْطُورَ سَ. فَأَمَرَ النَّصَارَى بِلُبْسِ
 السَّوَادِ وَتَعْلِقِ الصُّلْبَانِ الْحَشَبِ فِي أَغْنَاهُمْ وَأَنْ يَكُونَ الصَّلِيبُ ذِرَاعًا فِي

مِنْهَا وَزِنَتْهُ خَمْسَةَ أَرْطَالٍ وَأَنْ يَكُونَ مَكْشُوفًا يَحِثُّ بَرَاهُ النَّاسُ وَمِنْهُوَ
مِنْ رُكُوبِ الْخَيْلِ وَأَنْ يَكُونَ رُكُوبُهُمُ الْيَغَالُ وَالْحَبِيرُ بِالسُّرُجِ الْخَشَبِ
وَالسُّبُورِ السُّودِ بِغَيْرِ حَلِيَّةٍ وَأَنْ يَشْدُوا الزَّيَانِيرَ وَلَا يَسْتَحْدِمُوا مُسْلِمًا وَلَا
يَشْتَرُوا عَبْدًا وَلَا أَمَةً وَتُتَبِعَتْ أَثَارُهُمْ فِي ذَلِكَ فَأَسْلَمَ مِنْهُمْ عِدَّةٌ وَقَرِئَتْ
حُسَيْنُ بْنُ طَاهِرٍ الْوَزَانُ فِي الْوَسَاطَةِ وَالتَّوْفِيعَ عَنِ الْحَاكِمِ فِي تَالِسِ
وَعَشْرِ رَبِيعِ الْأَوَّلِ مِنْهَا وَلَقِبَ بِأَمِينِ الْأَمْنَاءِ وَنُقِشَ الْحَاكِمُ عَلَى خَاتَمِهِ
يَنْصُرُ اللَّهُ الْعَظِيمُ الْوَلِيُّ يَنْصُرُ الْإِمَامُ أَبُو عَلِيٍّ وَضُرِبَ جَمَاعَةٌ بِسَبَبِ
الَّلَّيْبِ بِالشُّطْرُجِ وَهَدِثَتْ الْكُنَائِسُ وَأُخِذَ جَمِيعُ مَا فِيهَا وَمَالَهَا مِنَ
الرِّبَاعِ وَكُتِبَ بِذَلِكَ إِلَى الْأَعْمَالِ فَهَدِثَتْ بِهَا وَفِيهَا لِحْفَ أَبُو الْفَتْوحِ
بِمَكَّةَ وَدَعَا الْحَاكِمُ وَضُرِبَ السِّكَّةُ بِاسْمِهِ وَأَمَرَ الْحَاكِمُ أَنْ لَا يُقْبَلَ أَحَدٌ لَهُ
الْأَرْضَ وَلَا يُقْبَلَ رِكَابُهُ وَلَا يَكُ عِنْدَ السَّلَامِ عَلَيْهِ فِي الْمُرَكَبِ فَإِنْ
الْإِنْحِتَاءُ إِلَى الْأَرْضِ لِخَلْقٍ مِنْ صَنِيعِ الرُّومِ وَلَنْ لَا يُزَادَ عَلَى قَوْلِهِمْ
السَّلَامُ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ وَلَا يُصَلِّيَ عَلَيْهِ أَحَدٌ فِي
مَكَانَتَيْهِ وَلَا يُحَاطَبُ بِهِ وَيُقْتَصَرُ فِي مَكَانَتَيْهِ عَلَى سَلَامِ اللَّهِ وَنَجَاتِهِ وَتَوَاجِبِ
بَرَكَاتِهِ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَيُدْعَى لَهُ بِمَا يَنْفِقُ مِنَ الدُّعَاءِ فَفَطَ لَا غَيْرُ
فَلَمْ يَقُلْ الْخُطْبَاءُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ سِوَى اللَّهِ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ الْمُصْطَفَى وَسَلِّمْ
عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي الْحَسَنِ صَلِّ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ابْنِ
أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ اللَّهُمَّ اجْعَلْ أَفْضَلَ سَلَامِكَ عَلَى عَبْدِكَ وَخَلِيفَتِكَ وَمَنْعَ
بِنِ صَرْبِ الطُّبُولِ وَالْأَبْوَابِ حَوْلَ الْقَصْرِ فَصَارُوا بِطُوفُونَ بِغَيْرِ طَبَلٍ
لَا بُوقٍ وَكَثُرَتْ أَنْعَامَاتُ الْحَاكِمِ فَتَوَقَّفَ أَمِينُ الْأَمْنَاءِ حُسَيْنُ بْنُ

طَاهِرِ الْوَرَانِ فِي إِمضَائِهَا فَكُتِبَ إِلَيْهِ الْحَاكِمُ بِحَطِّهِ بَعْدَ التَّبَسُّلَةِ
أَتُحَمَّدُ لَهُ كَمَا هُوَ أَهْلُهُ

أَصْبَحْتُ لَا أَرْجُو وَلَا أَتَقِي إِلَّا إِلَهِي وَلَهُ الْفَضْلُ
جَدِّي نَبِيِّ وَإِمَامِي أَبِي وَدِينِي الْإِخْلَاصُ وَالْعَدْلُ
أَمَّا لُ مَالُ اللَّهِ وَالْمَخْلُوقِ عِبَادُ اللَّهِ وَنَحْنُ أُمَنَّاؤُهُ فِي الْأَرْضِ أَطْلُقِ أَرْزَاقَ
النَّاسِ وَلَا تَقْطَعْهَا وَالسَّلَامُ. وَرَكِبَ الْحَاكِمُ فِي يَوْمِ عِيدِ الْفِطْرِ إِلَى
الْمَسْجِدِ بِغَيْرِ زِينَةٍ وَلَا جَنَائِبَ وَلَا أَهْبَةِ سِوَى عَشْرِ أَفْرَاسٍ تُقَادُ بِسُرُوحٍ
وَلَهُمْ مُحَلَاةٌ بَفَضَّةٍ خَفِيفَةٍ وَبُنُودٍ سَادِجَةٍ وَمِظْلَةٌ بِيضَاءَ بَغِيرٍ ذَهَبٍ وَعَلَيْهِ
بَيَاضٌ بِغَيْرِ طِرَازٍ وَلَا ذَهَبٍ وَلَا جَوْهَرٍ فِي عِمَامَتِهِ وَلَمْ يُفَرِّشِ الْمِهْنِدُ. وَمَنْعَ
النَّاسِ مِنْ سَبِّ السَّلَفِ وَضَرْبِ فِي ذَلِكَ وَشَهْرَ وَصَلَى صَلَوةَ عِيدِ الْفِطْرِ
كَمَا صَلَّى صَلَوةَ الْفِطْرِ مِنْ غَيْرِ أَهْبَةٍ وَنَحَرَ عَنْهُ عَبْدُ الرَّحِيمِ بْنُ الْيَاسِ بْنِ
أَحْمَدَ الْمُهَلَّبِيَّ وَكَثُرَ الْحَاكِمُ مِنَ الرُّكُوبِ إِلَى الصَّحَرَاءِ بِجَدَاهُ فِي رَجُلَيْهِ
وَقُوْطَةٍ عَلَى رَأْسِهِ

وَفِي سَنَةِ أَرْبَعٍ وَأَرْبَعِينَ أَلْزَمَ الْيَهُودَ أَنْ يَكُونُوا فِي أَعْنَاقِهِمْ جَرَسٌ
إِذَا دَخَلُوا إِلَى الْحَمَامِ وَأَنْ يَكُونُوا فِي عُنُقِ النَّصَارَى صُلبَانٌ وَمَنْعَ النَّاسَ
مِنَ الْكَلَامِ فِي النُّجُومِ وَأُفْنِيَ الْمُنَجِّمُونَ مِنَ الطَّرَفَاتِ وَطُلِبُوا فَتَغَيَّبُوا
وَنَفُوا. وَكَثُرَتْ هَيَاةُ الْحَاكِمِ وَصَدَقَتْهُ وَعِثْقُهُ. وَأَمَرَ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى
بِالْخُرُوجِ مِنْ مِصْرَ إِلَى بِلَادِ الرُّومِ وَغَيْرِهَا. وَأَقِيمَ عَبْدُ الرَّحِيمِ بْنُ الْيَاسِ
وَلِيَّ الْعَهْدِ وَأَمَرَ أَنْ يُقَالَ فِي السَّلَامِ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى ابْنِ عَمِّ أُمِّهِ
الْمُؤْمِنِينَ وَوَلِيَّ عَهْدِ الْمُسْلِمِينَ. وَصَارَ يَجْلِسُ بِمَكَانٍ فِي الْقَصْرِ. وَصَارَ

أَحْكَامُ بَرْكَبُ بِدْرَاعَةٍ صُوفٍ مُبَضَّةٍ وَيَتَعَمَّرُ بِفُوطَةٍ وَفِي رِجْلِهِ حَدَاةٌ
عَرَبِيٌّ يَقْبَالَيْنِ وَعَبْدُ الرَّحِيمِ يَتَوَلَّى النَّظَرَ فِي أُمُورِ الدَّوْلَةِ كُلِّهَا. وَأَقْرَطَ
أَحْكَامُ فِي الْعَطَاةِ وَرَدَّ مَا كَانَ أَخَذَ مِنَ الصَّبَاعِ وَالْأَمْلَاكِ لِأَرْبَابِهَا
وَفِي رَيْعِ الْأَوَّلِ أَمْرٌ يَنْقُطِعُ بِيَدِي أَبِي الْقَسَمِ الْخَزْجَرَانِي. وَكَانَ يَكْتَسِبُ
لِلْقَائِدِ عَيْنٍ. ثُمَّ قُطِعَتْ يَدُ عَيْنٍ فَصَارَ مَنْطُوعَ الْيَدَيْنِ وَبَعَثَ إِلَيْهِ
أَحْكَامُ بَعْدَ قَطْعِ يَدَيْهِ بِأَلْفٍ مِنَ الذَّهَبِ وَالنِّسَابِ. ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرٌ
يَنْقُطِعُ لِسَانَهُ فَيُقَطِّعُ وَأَبْطَلَ عِدَّةَ مَكُوسٍ وَقَتْلَ الْكِلَابِ كُلِّهَا وَأَكْثَرَ مِنَ
الرُّكُوبِ فِي اللَّيْلِ وَمَنَعَ النِّسَاءَ مِنَ الْمَشْرِقِ فِي الطَّرِيقَاتِ. فَلَمَّ تَرَأَّى أَمْرًا فِي
طَرِيقِ الْبَنَةِ وَأُغْلِقَتْ حُلُمَاتُهُنَّ وَمَنَعَ الْأَسَاكِفَةَ مِنْ عَمَلِ خِيفَانِهِنَّ وَتَعَطَّلَتْ
حَوَائِجُهُنَّ وَاشْتَدَّتْ الْإِشَاعَةُ بِوُقُوعِ السَّيْفِ فِي النَّاسِ فَتَهَارَبُوا وَغُلِقَتْ
الْأَسْوَاقُ فَلَمْ يَبْعَ شَيْءٌ وَدُعِيَ لِعَبْدِ الرَّحِيمِ بْنِ الْيَاسِ عَلَى الْمَنَابِرِ وَضُرِبَتْ
السِّكَّةُ بِاسْمِهِ بِوَلَايَةِ الْهَدِيدِ

وَفِي سَنَةِ خَمْسٍ وَأَرْبَعِمِائَةٍ قُتِلَ مَالِكُ بْنُ سَعِيدٍ الْفَارِسِيُّ فِي رَيْعِ
الْآخِرِ وَكَانَتْ مُدَّةُ نَظَرِهِ فِي قَضَاءِ الْقَضَاةِ سِتِّ سِنِينَ وَتِسْعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرَةَ
أَيَّامٍ وَبَلَغَ إِفْطَاعُهُ فِي السَّنَةِ خَمْسَةَ عَشَرَ أَلْفَ دِينَارٍ. وَتَزَايَدَ رُكُوبُ
أَحْكَامِ حَتَّى كَانَ يَرْكَبُ فِي كُلِّ يَوْمٍ عِدَّةَ مَرَارٍ. وَاشْتَرَى الْحَمِيرَ وَرَكِبَهَا
بَدَلَ الْحَمَلِ وَفِي جُمَادَى الْآخِرَةِ مِمَّا قُتِلَ الْحُسَيْنُ بْنُ طَاهِرِ الْوَزَانِ.
فَكَانَتْ مُدَّةُ نَظَرِهِ فِي الْوَسَاطَةِ سَنَتَيْنِ وَشَهْرَيْنِ وَعِشْرِينَ يَوْمًا. فَأَمَرَ
أَصْحَابَ الدَّوَابِّ أَنْ يُلْزَمُوا دَوَابَّهُمْ وَصَارَ أَحْكَامُ يَرْكَبُ حِمَارًا بِشَاشِيَةٍ
مَكْشُوفَةٍ بِغَيْرِ عِمَامَةٍ. ثُمَّ أَقَامَ عَبْدُ الرَّحِيمِ بْنُ أَبِي السَّيِّدِ الْكَاتِبَ وَأَخَاهُ

أَبَا عَبْدِ اللَّهِ الْحُسَيْنَ فِي الْوَسَاطَةِ وَالسَّفَارَةِ وَأَقْرَبَ فِي وَطِينَةِ قَضَاءِ الْقَضَاءِ
 أَحْمَدَ بْنَ مُحَمَّدَ بْنِ أَبِي الْعَوَامِ. وَخَرَجَ الْحَاكِمُ عَنْ التَّحَدُّ فِي الْعَطَاءِ حَتَّى
 أَقْطَعَ نَوَائِيَةَ الْمَرَائِبِ وَالشَّاعِلِيَّةِ وَبَنَى قَرْعَةً فِيمَا أَقْطَعَ الْإِسْكَانْدَرِيَّةُ وَالْبُجَيْرَةُ
 وَنَوَاحِيهَا. ثُمَّ قَتَلَ ابْنُ أَبِي السَّيِّدِ. وَكَانَتْ مُدَّةُ نَظَرِهَا اثْنَيْنِ وَسِتِّينَ يَوْمًا
 وَقَلَّدَ الْوَسَاطَةَ فَضْلُ بْنُ جَعْفَرِ بْنِ الْفَرَاتِ. ثُمَّ قَتَلَهُ فِي الْيَوْمِ الْخَامِسِ
 مِنْ وَلَائِهِ وَغَلَبَ بَنُو قَرْعَةَ عَلَى الْإِسْكَانْدَرِيَّةِ وَأَعْمَالِهَا. وَكَثُرَ الْحَاكِمُ مِنْ
 الزُّكُوبِ فِي يَوْمٍ سِتِّ مَرَّاتٍ مَرَّةً عَلَى فَرَسٍ وَمَرَّةً عَلَى جَارٍ وَمَرَّةً فِي
 حِمَّةٍ تُحْمَلُ عَلَى الْأَعْنَاقِ وَمَرَّةً فِي عَشَارِيِّ عَلَى النَّيْلِ بِغَيْرِ عِجَامَةٍ. وَكَثُرَ
 مِنْ إِنْطَاعِ الْمُجَنَّدِ وَالْعَبِيدِ الْإِنْطَاعَاتِ. وَأَقَامَ ذَا الرِّثَاسِيْنَ قُطْبَ الدَّوْلَةِ
 أَبَا الْحَسَنِ عَلِيَّ بْنَ جَعْفَرِ بْنِ فَلَاحٍ فِي الْوَسَاطَةِ وَالسَّفَارَةِ وَوَلَّى عَبْدَ
 الرَّحِيمِ بْنَ إِبِلَاسَ دِمَشْقَ. فَسَارَ إِلَيْهَا فِي جُمَادَى الْآخِرَةِ سَنَةِ نِسْعٍ
 وَارْبَعِمِائَةٍ فَأَقَامَ فِيهَا شَهْرَيْنِ. ثُمَّ هَجَمَ عَلَيْهِ قَوْمٌ فَقَتَلُوا جَاعَةً مِنْهُمْ عِنْدَهُ
 وَأَخَذُوهُ فِي صُنْدُوقٍ وَحَمَلُوهُ إِلَى مِصْرَ ثُمَّ أَعِيدَ إِلَى دِمَشْقَ فَأَقَامَ بِهَا إِلَى
 لَيْلَةِ عِيدِ الْفِطْرِ وَأُخْرِجَ مِنْهَا

وَلَمَّا كَانَ لِلثَّلَاثِينَ يَبْقِيَتَانِ شَوَّالٍ سَنَةِ إِحْدَى عَشْرَةَ وَارْبَعِمِائَةٍ فُقِدَ
 الْحَاكِمُ وَقِيلَ أَنَّ أُخْتَهُ قَتَلَتْهُ وَلَيْسَ بِصَحِيحٍ. وَكَانَ عُمُرُهُ سِتًّا وَثَلَاثِينَ سَنَةً
 وَسَبْعَةَ أَشْهُرٍ وَكَانَتْ مُدَّةُ خِلَافَتِهِ خَمْسًا وَعِشْرِينَ سَنَةً وَشَهْرًا. وَكَانَ جَوَادًا
 سَفَاكًَا قَتَلَ عَدَدًا لَا يُحْصَوْنَ. وَكَانَتْ سِيرَتُهُ مِنْ أَعْجَابِ السَّيْرِ وَخُطْبَ
 لَهُ عَلَى مَنَابِرِ مِصْرَ وَالشَّامِ وَإِفْرِيقِيَّةِ وَالْحِجَازِ. وَكَانَ بِشْتَغْلٍ بِعُلُومِ
 الْأَوَائِلِ وَيَنْظُرُ فِي النُّجُومِ وَعَمِلَ رَصْدًا وَاتَّخَذَ يَتِيمًا فِي الْمَهْطِ بِنَفْطٍ

فيه عن الناس لذلك ويقال إنه كان يعزبه جفاف في دماغه
فلذلك كثر تنافضه وما أحسن ما قال فيه بعضهم كانت أفعاله
لا تعلق وأحلام وسأوسه لا تؤول

وقال المسيحي في محرم سنة خمس عشرة وأربع مائة فيض على رجل
من بني حسين ناز بالصعيد الأعلى فأقر أنه قتل الحاكم بأمر الله في جملة
أربعة أنفس تفرقوا في البلاد وأظهر قطعة من جلف رأس الحاكم
وقطعة من القوطية التي كانت عليه. فقبل له لم قتله فقال غيرة لله
والإسلام: فقبل كبت قتله. فأخرج سيكينا ضرب بها فؤاده وقتل
نفسه وقال هكذا قتله. وقطع رأسه وأنفذ به إلى الحضرة مع ما وجد معه.
وهذا هو الصحيح في خبر قتل الحاكم لا ما يحكيه المصارفة في كثير من أن
أخذه قتله والله أعلم

من ذكر الحارات

عبارة تعلق بفتوح هتكين وأنكساراته

حارة الديلم عرفت بذلك لنزول الديلم الواصلين مع هتكين
الشرابي حين قديم ومعه أولاد مولاة معز الدولة البويهية وجماعة من
الديلم والأتراك في سنة ثمان وستين وثلثمائة وسكنوا بها فعرفت بهم
هتكين ويقال له الفتكين التركي الشرابي غلام معز الدولة أحمد بن
بويه ترقى في الخدم حتى غلب في بغداد على عز الدولة بخبار بن معز
الدولة. وكان فيه شجاعة وثبات في الحرب. فلما سارت الأتراك من
بغداد لحرب الديلم جرى بينهم قتال عظيم أشهر فيه هتكين إلا أن

أَصْحَابَهُ أَهَزَمُوا عَنْهُ وَصَارَ فِي طَائِفَةٍ قَلِيلَةٍ قَوْلَى بَيْنَ مَعَهُ مِنَ الْأَنْزَاكِ وَهُمْ
نَحْوُ الْأَرْبَعِمِائَةِ . فَسَارَ عَلَى الرَّحْبَةِ وَأَخَذَ مِنْهَا عَلَى الْبَرِّ إِلَى أَنْ قَرُبَ مِنْ
جُوسِيَّةَ إِحْدَى فَرَى الشَّامَ . وَقَدْ وَقَعَ فِي قُلُوبِ الْعُرَبَاءِ مِنْهُ هَبَابَةٌ .
فَخَرَجَ إِلَيْهِ ظَالِمُ بْنُ مَرْهُوبٍ الْعَقِيلِيُّ مِنْ بَعْلَبَكْ وَبَعَثَ إِلَى أَبِي مُحَمَّدٍ
أَبْرِهِيمَ بْنِ جَعْفَرٍ أَمِيرِ دِمَشْقَ مِنْ قِبَلِ الْخَلِيفَةِ الْمُعِزِّ لِإِذْنِ اللَّهِ يُعْلِمُهُ
يَقْدُومُ هُنْتِكَيْنِ مِنْ بَعْدَادَ لِأَقَامَةِ الْخُطْبَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ وَخَوْفُهُ مِنْهُ . فَأَنْفَذَ
إِلَيْهِ عَسْكَرًا وَسَارَ إِلَى نَاحِيَةِ جُوسِيَّةَ يُرِيدُ هُنْتِكَيْنِ . وَسَارَ بِشَارَةَ الْحَادِمِ
مِنْ قِبَلِ أَبِي الْمَعَالِي بْنِ حَمْدَانَ عَوْنَا لِهَنْتِكَيْنِ فَرَدَّ ظَالِمٌ إِلَى بَعْلَبَكْ مِنْ
غَيْرِ حَرْبٍ

وَسَارَ بِشَارَةَ هُنْتِكَيْنِ إِلَى حِمَصَ فَخَمَلَ إِلَيْهِ أَبُو الْمَعَالِي وَتَلَقَّاهُ وَكَرَّمَهُ
وَكَانَ قَدْ ثَارَ بِدِمَشْقَ جَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِ الدُّعَارَةِ وَالْفَسَادِ وَحَارَبُوا عَمَالَ
السُّلْطَانِ وَاشْتَدَّ أَمْرُهُمْ وَكَانَ كَيْدُهُمْ يَعْرِفُ بِأَبْنِ الْمَأُورِدِ . فَلَمَّا بَلَغَهُمْ خَبَرُ
هُنْتِكَيْنِ بَعَثُوا إِلَيْهِ مِنْ دِمَشْقَ إِلَى حِمَصَ بِسَدْعُوْنَةٍ وَوَعَدُوهُ بِالْقِيَامِ مَعَهُ
عَلَى عَسَاكِرِ الْمُعِزِّ وَإِخْرَاجِهِمْ مِنْ دِمَشْقَ لِيَلِيَّ عَلَيْهِمْ فَوْقَ ذَلِكَ مِنْهُ
بِالْمُؤَافَقَةِ . وَسَارَ حَتَّى نَزَلَ ثَنِيَّةَ الْعُنَابِ لِأَيَّامِ بَقِيَّتِ مِنْ شَعْبَانَ سَنَةِ
أَرْبَعٍ وَسِتِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ . فَبَلَغَ عَسْكَرُ الْمُعِزِّ خَبَرَ الْفَرَجِ وَأَتَمُّهُمْ قَدْ قَصَدُوا
طَرَابُلُسَ فَسَارُوا بِأَجْمَعِهِمْ إِلَى لِقَاءِ الْعَدُوِّ . وَنَزَلَ هُنْتِكَيْنِ عَلَى دِمَشْقَ مِنْ
غَيْرِ حَرْبٍ فَأَقَامَ أَبَامًا . ثُمَّ سَارَ يُرِيدُ مُحَارَبَةَ ظَالِمٍ فَفَرَّ مِنْهُ وَدَخَلَ
هُنْتِكَيْنِ بِبَعْلَبَكْ فَطَرَفَهُ الْعَدُوُّ مِنَ الرُّومِ وَالْفَرَجِ وَأَنْتَهَبُوا بِبَعْلَبَكْ
وَأَحْرَقُوا ذَلِكَ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ . وَأَنْتَشَرُوا فِي أَعْمَالِ بَعْلَبَكْ وَالْبَقَاعِ

يُرْسِلُونَ وَيَأْسِرُونَ وَبَحْرِفُونَ وَقَصْدُوا دِمَشْقَ وَقَدِ اتَّخَفَ بِهَا هُنْتِكِينَ.
فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ أَهْلُ دِمَشْقَ وَسَأَلُوهُمْ الْكَفَّ عَنِ الْبَلَدِ وَالْتَزَمُوا بِهَالٍ. فَخَرَجَ
إِلَيْهِمْ هُنْتِكِينَ وَأَهْدَى إِلَيْهِمْ وَتَكَلَّمَ مَعَهُمْ فِي أَنَّهُ لَا يَسْتَطِيعُ جَبَايَةُ الْمَالِ لِقُوَّةِ
أَبْنِ الْمَأُورِدِ وَأَصْحَابِهِ وَأَعْرَى مَلِكِ الرُّومِ فَقَبَضَ عَلَيْهِ وَقَبْضَهُ وَعَادَ فَجَى
الْمَالِ مِنْ دِمَشْقَ بِالْعَنْفِ وَحَمَلَ إِلَى مَلِكِ الرُّومِ ثَلَاثِينَ أَلْفَ دِينَارٍ
وَرَحَلَ إِلَى يَبْرُوتَ ثُمَّ إِلَى طَرَابُلُسَ

فَتَهَنَّكَ هُنْتِكِينَ مِنْ دِمَشْقَ وَأَقَامَ بِهَا الدَّعْوَةَ لِأَبِي بَكْرٍ عَبْدِ الْكَرِيمِ.
الطَّائِعِ بْنِ الْمُطِيعِ الْعَبَّاسِيِّ وَسَيَّرَ إِلَى الْعَرَبِ السَّرَابَا فَظَفِرَتْ وَعَادَتْ
إِلَيْهِ بَعْدَ مَبْنِ أَسْرَتِهِ مِنْ رِجَالِ الْعَرَبِ وَقَتْلَهُمْ صَبْرًا. وَكَانَ خَوْفٌ مِنْ
الْمُعِزِّ. فَكَانَتِ الْفَرَامِطَةُ يَسْتَدْعِيهِمْ مِنَ الْأَحْسَاءِ لِلْقُدُومِ عَلَيْهِ لِحَارَبَةِ
عَسَاكِرِ الْمُعِزِّ وَمَا زَالَ يَوْمٌ حَتَّى وَافَقُوا دِمَشْقَ فِي سَنَةِ خَمْسٍ وَسِتِّينَ وَنَزَلُوا
عَلَى ظَاهِرِهَا وَمَعَهُمْ كَثِيرٌ مِنْ أَصْحَابِ هُنْتِكِينَ كَانُوا قَدْ تَشَتَّنُوا فِي الْإِلَادِ
فَقَوِيَ يَوْمٌ وَلَقِيَ الْفَرَامِطَةُ وَحَمَلَ إِلَيْهِمْ وَسَرَّ بِهِمْ. فَأَقَامُوا عَلَى دِمَشْقَ أَيَّامًا
ثُمَّ رَحَلُوا نَحْوَ الرَّمْلَةِ وَبِهَا أَبُو مُحَمَّدٍ فَلَحِقَ بِهَا وَنَزَلَ الْفَرَامِطَةُ الرَّمْلَةَ
وَنَصَبُوا الْقِتَالَ عَلَى يَافَا حَتَّى كُلَّ الْفَرِيقَانِ وَسَيَّسُوا جَمِيعًا مِنْ طُولِ الْحَرْبِ
وَسَارَ هُنْتِكِينَ عَلَى السَّاحِلِ وَنَزَلَ صَيْدًا وَبِهَا ظَالِمٌ بْنُ مَرْهُوبٍ الْعَفِيلِيُّ
وَأَبْنُ الشَّيْخِ مِنْ قَبْلِ الْمُعِزِّ. فَقَاتَلَهُمْ فَمَاتَ لَا شَيْدًا أَنَّهُمْ مِنْهُ ظَالِمٌ إِلَى
صُورَ وَقُتِلَ بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ نَحْوَ أَرْبَعَةِ أَلْفٍ رَجُلٍ. فَقَطَعَ أَيْدِي بَعْضِ الْقَتْلَى
مِنْ عَسَاكِرِ الْمُعِزِّ وَسَيَّرَهَا إِلَى دِمَشْقَ فَطِيفَ بِهَا. ثُمَّ سَارَ عَنْ صَيْدَا
يُرِيدُ عَدَا وَبِهَا عَسَاكِرُ الْمُعِزِّ

وَكَانَ قَدْ مَاتَ الْمَعْرُوفُ فِي رَبِيعِ الْآخِرِ وَقَامَ مِنْ بَعْدِهِ ابْنُهُ الْعَزِيزُ بِاللَّهِ
وَسَيَرِ جَوْهَرًا الْقَائِدَ فِي عَسْكَرِ عَظِيمٍ إِلَى قِتَالِ هَنْتِكِينَ وَالْفَرَامِطَةِ.
فَبَلَغَ ذَلِكَ الْفَرَامِطَةَ وَهُمْ عَلَى الرَّمْلَةِ وَوَصَلَ الْحَبْرُ بِمَسِيرِهِ إِلَى هَنْتِكِينَ
وَهُوَ عَلَى عَكَا فَنَافَ الْفَرَامِطَةُ وَقَرُّوا عَنْهَا فَتَزَلَّمَا جَوْهَرٌ وَسَارَ مِنَ الْفَرَامِطَةِ
إِلَى الْأَحْسَاءِ الَّتِي هِيَ بِإِلَادُهُمْ جَاعَةٌ وَتَأَخَّرَ عِدَّةٌ وَسَارَ هَنْتِكِينَ مِنْ عَكَا
إِلَى طَبْرِبَةِ وَقَدْ عَلِمَ بِمَسِيرِ الْفَرَامِطَةِ وَتَأَخَّرَ بَعْضُهُمْ فَاجْتَمَعَ بِهِمْ فِي
طَبْرِبَةِ وَاسْتَعَدَّ لِلْفَاءِ جَوْهَرٌ وَجَمَعَ الْأَقْوَاتَ مِنْ بِلَادِ حَوْرَانَ وَالْبُسَيْنَةِ
وَأَدْخَلَهَا إِلَى دِمَشْقَ وَسَارَ إِلَيْهَا فَتَحَصَّنَ بِهَا. وَنَزَلَ جَوْهَرٌ عَلَى ظَاهِرِ
دِمَشْقَ لِثَمَانٍ يَتِيمٍ مِنْ ذِي الْقَعْدِ وَبَنَى عَلَى مَسْكِنِهِ سُورًا وَحَفَرَ خَنْدَقًا
عَظِيمًا وَجَعَلَ لَهُ أَبَوَابًا وَجَمَعَ هَنْتِكِينَ النَّاسَ لِلْقِتَالِ. وَكَانَ قَدْ تَعَيَّنَ بَعْدَ
أَبْنِ الْمَأُورِدِ رَجُلٌ يُعْرِفُ بِقَسَامِ الشَّرَابِ وَصَارَ فِي عِدَّةٍ وَافِرٍ مِنَ
الدُّعَارِ فَأَعَانَهُ هَنْتِكِينَ وَقَوَّاهُ وَأَمَدَّهُ بِالسَّلَاحِ وَغَيْرِهِ. وَوَقَعَتْ بَيْنَهُمْ
وَبَيْنَ جَوْهَرٍ حُرُوبٌ عَظِيمَةٌ طَوِيلَةٌ إِلَى يَوْمِ الْاِحْدَى عَشَرَ مِنْ شَهْرِ
رَبِيعِ الْأَوَّلِ سَنَةِ سِتِّ وَسِتِّينَ وَثَلَاثِينَ

فَاقْتُلَ أَمْرُ هَنْتِكِينَ وَهُمْ بِالْفِرَارِ. لَمْ إِنَّهُ اسْتَظْهَرَ وَوَرَدَتْ الْأَخْبَارُ
بِقُدُومِ الْحَسَنِ بْنِ أَحْمَدَ الْقُرْمَاطِيِّ إِلَى دِمَشْقَ وَطَلَبَ جَوْهَرُ الصُّلْحَ عَلَى
أَنْ يَرْحَلَ عَنْ دِمَشْقَ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَتَّبِعَهُ أَحَدٌ. وَذَلِكَ أَنَّهُ رَأَى أَمْوَالَهُ قَدْ
قَلَّتْ وَهَلَكَ كَثِيرٌ مِمَّا كَانَ فِي عَسْكَرِهِ حَتَّى صَارَ أَكْثَرُ عَسْكَرِهِ رَجَالَةً
وَأَعْوَزَهُمُ الْعَلْفُ وَخَشِيَ قُدُومَ الْفَرَامِطَةِ. فَأَجَابَهُ هَنْتِكِينَ وَقَدْ عَظُمَ
فَرْحُهُ وَاسْتَدَّ سُورُهُ. فَرَحَلَ فِي ثَالِثِ جُمَادَى الْأُولَى وَجَدَّ فِي السَّيْرِ وَقَدْ

قَرَّبَ الْقَرْمِطِيُّ فَأَنَاجَ بِطَبْرِئِهِ، فَبَلَغَ ذَلِكَ الْقَرْمِطِيُّ فَفَصَدَّ وَقَدْ سَارَ عَنْهَا
إِلَى الرَّمْلَةِ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ بِسَرِيَّةٍ كَانَتْ لَهَا مَعَ جَوْهَرٍ وَقَعَةٌ قُتِلَ فِيهَا جَمَاعَةٌ
مِنَ الْعَرَبِ وَأَذْرَكَ الْقَرْمِطِيُّ وَسَارَ فِي أَثَرِهِ هُنْتِكَيْنُ. فَاتَّاهُ الْحَسَنُ بْنُ
أَحْمَدَ الْقَرْمِطِيُّ بِالرَّمْلَةِ وَقَامَ مِنْ بَعْدِهِ بِأَمْرِ الْفَرَامِطَةِ ابْنُ عِيْهِ جَعْفَرُ.
فَفَسَدَ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ هُنْتِكَيْنِ وَرَجَعَ عَنِ الرَّمْلَةِ إِلَى الْأَحْسَاءِ وَنَاصَبَ هُنْتِكَيْنُ
الْفِتَالَ وَالْحُجَّ فِيهِ عَلَى جَوْهَرٍ حَتَّى أَنْهَزَمَ مِنْهُ وَصَارَ إِلَى عَسْفَلَانَ. وَقَدْ غَنِمَ
هُنْتِكَيْنُ مَا كَانَ مَعَهُ شَيْئًا يَحِلُّ عَنِ الْوَصْفِ وَنَزَلَ عَلَى الْبَلَدِ مُحَاصِرًا لَهُ.
وَبَلَغَ ذَلِكَ الْعَزِيزُ فَاسْتَعَدَّ لِلْمَسِيرِ إِلَى بِلَادِ الشَّامِ.

فَلَمَّا طَالَ الْأَمْرُ عَلَى جَوْهَرٍ رَأْسَ هُنْتِكَيْنِ حَتَّى تَقَرَّرَ الصُّلْحُ عَلَى مَالٍ
بِحَبْلِهِ إِلَيْهِ وَلَنْ يُخْرَجَ مِنْ تَحْتِ سَيْفِ هُنْتِكَيْنِ. فَعَلَقَ سَيْفَهُ عَلَى بَابِ
عَسْفَلَانَ وَخَرَجَ جَوْهَرٌ وَمِنْ مَعَهُ مِنْ تَحْتِهِ وَسَارُوا إِلَى النَّاهِرَةِ فَوَجَدَ
الْعَزِيزُ قَدْ بَرَزَ يُرِيدُ السَّيْرَ فَسَارَ مَعَهُ. وَكَانَ مَدَّةَ فِتَالٍ هُنْتِكَيْنُ لِحَوْهٍ
عَلَى ظَاهِرِ الرَّمْلَةِ وَفِي عَسْفَلَانَ سَبْعَةَ عَشَرَ شَهْرًا. وَسَارَ الْعَزِيزُ بِاللَّهِ حَتَّى
نَزَلَ الرَّمْلَةَ. وَكَانَ هُنْتِكَيْنُ بِطَبْرِئِهِ فَسَارَ إِلَى لِقَاءِ الْعَزِيزِ وَمَعَهُ أَبُو
إِسْحَاقَ وَأَبُو طَاهِرٍ أَخُو عِزِّ الدَّوْلَةِ بَخْتِيَارُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ بُيُوتِهِ وَأَبُو كَالِبٍ
مَرْزُبَانُ بْنُ عِزِّ الدَّوْلَةِ بَخْتِيَارُ بْنُ مُعِزِّ الدَّوْلَةِ بْنِ بُيُوتِهِ وَحَارْبُوهُ. فَلَمَّا
تَكُنْ غَيْرُ سَاعَةٍ حَتَّى هَزَمَتْ عَسَاكِرُ الْعَزِيزِ عَسَاكِرَ هُنْتِكَيْنِ وَمَلَكُوهُ فِي
يَوْمِ الْخَبِيسِ لِسَبْعِ يَفِينٍ مِنَ الْحَرَمِ سَنَةَ ثَمَانٍ وَسِتِّينَ وَثَلَاثِينَ. وَأَسْتَأْمَنَ
أَبُو إِسْحَاقَ وَمَرْزُبَانُ بْنُ بَخْتِيَارٍ وَقَتْلَ أَبُو طَاهِرٍ أَخُو عِزِّ الدَّوْلَةِ بَخْتِيَارَ
وَأَخَذَ أَكْثَرَ أَصْحَابِهِ أَسْرَى وَطَلَبَ هُنْتِكَيْنُ فِي الْقَتْلِ فَلَمْ يَوْجَدْ وَكَانَ

قَدْ فَرَّقَتْ أَلْهَرَبَةَ عَلَى فَرَسٍ يُمْفَرِدُهُ فَأَخَذَهُ بَعْضُ الْعَرَبِ أَسِيرًا وَقَدِمَ
 بِهِ عَلَى مَفْرَجِ بْنِ دَغْفَلٍ بْنِ الْجَرَّاحِ الطَّائِيِّ وَعِمَاتُهُ فِي عُنُقِهِ. فَبَعَثَ بِهِ
 إِلَى الْعَزِيزِ فَأَمَرَهُ بِشَهْرٍ فِي الْعَسْكَرِ وَطِيفَ بِهِ فَأَخَذَ النَّاسُ يَلْطِمُونَهُ
 وَهُمْ يَهْزُونَ لِحْيَتَهُ حَتَّى رَأَى فِي نَفْسِهِ الْإِعْبَادَ

ثُمَّ سَارَ الْعَزِيزُ يَهْتِكِينَ وَالْأَسْرَى إِلَى الْقَاهِرَةِ فَاصْطَنَعَهُ وَمَنْ مَعَهُ
 وَأَحْسَنَ إِلَيْهِ غَايَةَ الْإِحْسَانِ وَأَنْزَلَهُ فِي دَارٍ وَوَصَلَهُ بِالْعَطَاءِ وَاتَّخَلَعَ حَتَّى
 قَالَ: لَقَدْ أَحْشَشْتُ مِنْ رُكُوبِي مَعَ مَوْلَانَا الْعَزِيزِ بِاللَّهِ وَنَظَرِي إِلَيْهِ بِهَا
 عَمَرَنِي بِهِ مِنْ فَضْلِهِ وَاحْسَانِهِ. فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ الْعَزِيزُ قَالَ لِعَبْدِهِ حَيْدَرَةَ:
 يَا عَمُّ وَاللَّهِ إِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَرَى النِّعَمَ عَلَى النَّاسِ ظَاهِرَةً وَلَأَدْرِي عَلَيْهِمُ الدَّهَبَ
 وَالْفِضَّةَ وَالْجَوْهَرَ وَلَهُمُ الْخَيْلُ وَاللِّبَاسُ وَالضَّبَاعُ وَالْعِقَارُ وَلَنْ يَكُونَ ذَلِكَ
 كُلُّهُ مِنْ عِنْدِي. وَبَلَغَ الْعَزِيزُ أَنَّ النَّاسَ مِنَ الْعَامَةِ يَقُولُونَ مَا هَذَا
 التُّرْكِيُّ فَأَمَرَهُ بِشَهْرٍ فِي أَجْمَلِ حَالٍ. وَلَمَّا رَجَعَ مِنْ تَطَوُّفِهِ وَهَبَ لَهُ مَا لَا
 جَزِيلًا وَخَلَعَ عَلَيْهِ وَأَمَرَ سَائِرَ الْأَوْلِيَاءِ أَنْ يَدْعُوهُ إِلَى دُورِهِمْ فَأَمِنَهُمْ إِلَّا
 مَنْ عَمِلَ لَهُ دَعْوَةً وَقَدِمَ إِلَيْهِ وَقَادَ بَيْنَ يَدَيْهِ الْحَبُولَ. ثُمَّ إِنَّ الْعَزِيزَ قَالَ
 لَهُ بَعْدَ ذَلِكَ: كَيْفَ رَأَيْتَ دَعْوَةَ أَصْحَابِنَا. فَقَالَ: يَا مَوْلَانَا حَسَنَةً فِي
 الْعَالِيَةِ وَمَا فِيهِمْ إِلَّا مَنْ أَنْعَمَ وَأَكْرَمَ: فَصَارَ يَرْكَبُ لِلصِّيدِ وَالتَّفَرُّجِ وَجَمَعَ
 إِلَيْهِ الْعَزِيزُ بِاللَّهِ أَصْحَابَهُ مِنَ الْأَنْرَاكِ وَالْدَّيْلَمِ وَاسْتَحْبَبَهُ وَأَخْصَصَ بِهِ. وَمَا
 زَالَ عَلَى ذَلِكَ إِلَى أَنْ تَوُفِّيَ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ وَثَلَاثِينَ فَأَتَاهُمُ الْعَزِيزُ
 وَزَيْدُ يَعْقُوبَ بْنِ كِلْسٍ أَنَّهُ سَمِعَهُ لَإِنْ هُنَّ كَيْنَ كَانَ يَتَرَفَعُ عَلَيْهِ فَأَعْتَقَهُ
 مَدَّةً ثُمَّ أَخْرَجَهُ

حَارَةُ الْأَنْزَاكِ. هَذِهِ الْحَارَةُ نَجَاءُ الْجَمَاعِ الْأَزْهَرِ وَتُعْرَفُ الْيَوْمَ بِدَرْبِ
 الْأَنْزَاكِ. وَكَانَ نَافِذًا إِلَى حَارَةِ الدَّيْلَمِ وَالْوَرَّاقُونَ الْقَدَمَاءُ تَارَةً يُفْرِدُونَهَا
 مِنَ الدَّيْلَمِ وَتَارَةً يُضْفُونَهَا إِلَيْهَا وَيَحْمِلُونَهَا مِنْ حُوفِهَا فَيَقُولُونَ حَارَةُ
 الدَّيْلَمِ وَالْأَنْزَاكِ. وَتَارَةً يَقُولُونَ حَارَتِي الدَّيْلَمِ وَالْأَنْزَاكِ. وَقِيلَ لَهَا حَارَةُ
 الْأَنْزَاكِ لِأَنَّ هُنَّ كُنَّ لَهَا غَلَبَ يَبْعَادُ سَارَ مَعَهُ مِنْ جَنْبِهِ أَرْبَعًا مِنْ
 الْأَنْزَاكِ وَتَلَا حَقَّ بِهِ عِنْدَ وَرُودِ الْفَرَامِطَةِ عَلَيْهِ بِدِمَشْقَ عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِهِ .
 فَلَمَّا جَمَعَ لِحُورِ الْعَزِيزِ بِاللَّهِ كَانَ أَصْحَابُهُ مَا يَبْنِي تَرْكُ وَدَيْلَمِ . فَلَمَّا قَبِضَ عَلَيْهِ
 الْعَزِيزُ وَدَخَلَ إِلَى الْقَاهِرَةِ بِهِ فِي الثَّانِي وَالْعِشْرِينَ مِنْ شَهْرِ رَجَبِ الْأَوَّلِ
 سَنَةِ ثَمَانٍ وَسِتِّينَ وَثَلَاثِينَ كَمَا تَقَدَّمَ نَزَلَ الدَّيْلَمُ مَعَ أَصْحَابِهِمْ فِي مَوْضِعِ
 حَارَةِ الدَّيْلَمِ وَنَزَلَ هُنَّ كُنَّ بِأَنْزَاكِ فِي هَذَا الْمَكَانِ . فَصَارَ يُعْرَفُ
 بِحَارَةِ الْأَنْزَاكِ وَكَانَتْ مُخْتَلِطَةً بِحَارَةِ الدَّيْلَمِ لِأَنَّهَا أَهْلُ دَعْوَةٍ وَاحِدَةٍ
 إِلَّا أَنَّ كُلَّ جَنْسٍ عَلَى حِدَةٍ لِيَخْتَلِفَ فِي الْخِصِيَّةِ ثُمَّ قِيلَ بَعْدَ ذَلِكَ
 دَرْبُ الْأَنْزَاكِ



مِنْ مِيرَةِ السُّلْطَانِ الْمَالِكِ النَّاصِرِ صَلَاحِ الدِّينِ^١

لِيَهَاءَ الدِّينِ الشَّدَائِدِي

ذِكْرُ مَسِيرِ الْإِفْرَنْجِ الصَّلِيبِيِّينَ مِنْ عَكَا إِلَى عَسْقلَانَ وَاتِّفَالِهِمْ

إِلَى طَرَفِ الْبَحْرِ مِنْ جَانِبِ الْغَرْبِ

وَلَمَّا كَانَ التَّلَاسِعُ وَالْعِشْرُونَ مِنْ رَجَبِ سَنَةِ سَبْعٍ وَثَمَانِينَ وَخَمْسٍ
مِئَةٍ رَكِبَ الْإِفْرَنْجُ بِأَسْرِفِهِمْ . وَقَلَعُوا خِيَامَهُمْ . وَحَمَلُوهَا عَلَى دَوَابِّهِمْ .
وَسَارُوا حَتَّى قَطَعُوا النَّهْرَ إِلَى الْجَنَابِ الْغَرْبِيِّ . وَضَرَبُوا أَنْجِيَامَ عَلَى طَرِيقِ
عَسْقلَانَ . وَأَظْهَرُوا الْعَزْمَ عَلَى الْمَسِيرِ عَلَى شَاطِئِ الْبَحْرِ . وَأَمَرَ الْأَنْكِسَارُ
(يُرِيدُ بِهِ رِيكَرْدُوسَ مَلِكَ الْأَنْكِلِيزِ) بَاقِيَ النَّاسِ أَنْ يَدْخُلُوا إِلَى الْبَلَدِ .
وَكَانُوا قَدْ سَدُّوا نُفُوزَهُ وَثَلَمَهُ . وَأَصْلَحُوا مَا اسْتَهْدَمَ مِنْهُ . وَكَانَ مُقَدَّمُ

^١ اما صلاح الدين فهو اول ملوك الايوبيين في مصر ولد في تكريت ما بين النهرين
وكان ولدًا لايوب الكردي، فاشتهر منذ شببته بجارية المسيحية فذهب الى مصر حيث تقيد
بخدمة نور الدين في سنة ١١٦٤ فاصبح وزيراً لآخر الفاطميين. وبعد وفاة نور الدين انتهاز فرصة
حادثة ولده صلاح اسماعيل . فاقام نفسه وصيقاً عليه واستولى على سورية في سنة ١١٧٥ . ثم
استقل في مصر والحق بملكه جانباً عظيماً من بين النهرين . فخاربه المسيحيون فاستظفروا عليه في
رملة (١١٧٨) لكنه استظفر في بانياس وطبرية على قوي دي لوزينيان ملك القدس واستأسر
(١١٧٨) وفيها استولى على القدس وقبض على زمام مملكها فكان سقوط مملكة القدس ميباً
لحرب الصليبيين الثالثة . فاضطر صلاح الدين ان يقاسي مشقات عظيمة أولاً فاخذت منه
عكا وقيصرية ويافا، لكنه قهرًا عن سالة المسيحيين لاسباريكر دوس قلب الاسد ظفر وساد .
ونوفي سنة ١١٩٢ وله اخ يدعى مالك عادل و١٧ ولداً تقاسموا ملكه . فخار صلاح الدين
الاعتبار حتى لدى المسيحيين ايضا لحسن سياسته ونشاطه وكرمه وشجاعته (بولي)

الْعَسْكَرِ الْخَارِجِ السَّائِرِ الْأَنْكَثَارُ. وَجَمَعَ عَظِيمٌ مِنَ الرِّجَالِ وَالْخِبَالَةِ.
وَلَمَّا كَانَ مُسْتَهْلُ شُعْبَانَ أَشْتَعَلَتْ نِيرَانُ الْعَدُوِّ فِي سُحُورِ ذَلِكَ الْيَوْمِ
وَعَادَتُهُمْ أَنَّهُمْ إِذَا أَرَادُوا الرَّجُلَ أَشْعَلُوا نِيرَانَهُمْ. وَأَخْبَرَ الْبِرْكُ بِمَجْرِكِهِمْ
فَأَمَرَ السُّلْطَانُ بِالنَّظَرِ أَنْ يُرْفَعَ حَتَّى يَبْقَى النَّاسُ عَلَى ظَهْرِ. فَفَعَلَ النَّاسُ
ذَلِكَ. وَهَلَكَ مِنَ النَّاسِ قُبَاشٌ كَثِيرٌ. وَحَوَاجٌ كَثِيرٌ مِنَ السُّوقَةِ لَمْ
يَكُنْ مَعَهُمْ خَبْلٌ وَلَا ظَهْرٌ بِجَمَلٍ جَمِيعٌ مَا عِنْدَهُمْ. لِأَنَّ كُلَّ إِنْسَانٍ كَانَ
يُحْصِلُ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ فِي أَشْهُرٍ. وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنَ السُّوقَةِ عِنْدَهُ مَا يَنْفَدُ مِنْ
مَنْزِلٍ إِلَى مَنْزِلٍ فِي مِرَارٍ مُتَعَدِّدَةٍ. لَكِنَّ هَذَا الْمَنْزِلَ لَمْ يَكُنْ أَنْ يَخْلَفَ
فِيهِ أَحَدٌ لِقُرْبِهِ مِنَ الْإِفْرَاجِ الَّذِينَ بَعُكًا وَالْخَوْفِ مِنْهُمْ.

وَلَمَّا أَنْ عَلَا النَّهَارُ. شَرَعَ الْعَدُوُّ فِي السَّيْرِ عَلَى جَانِبِ الْبَحْرِ. وَتَفَرَّقُوا
فِطْعًا كَثِيرَةً. كُلُّ فِطْعَةٍ تَحْبِي عَنْ نَفْسِهَا. وَقَوَى السُّلْطَانُ (أَيَّ صِلَاحِ
الَّذِينَ) الْبِرْكَ. وَأَنْفَذَ مُعْظَمَ الْعَسَاكِرِ قُبَا لَنَهُمْ. فَمَضَوْا وَقَاتَلُوهُمْ فِتَالًا
شَدِيدًا. وَأَنْفَذَ وَلَهُ الْمَلِكُ الْأَفْضَلُ مُخْبِرٌ أَنَّهُ فَطَعَ طَائِفَةً مِنْهُمْ عَنْ
الْمُؤَافَقَةِ. وَلَقَدْ لَزَبْنَاهُمْ بِالْفِتَالِ. وَلَوْ قُوَيْنَا لَأَخَذْنَاهُمْ. فَسِيرَ السُّلْطَانُ
خَلْفًا عَظِيمًا مِنَ الْعَسْكَرِ. وَسَارَ هُوَ بِنَفْسِهِ وَأَنَا بِخِدْمَتِهِ. حَتَّى آتَى أَوَائِلَ
الرَّمْلِ. فَلَقِينَا الْمَلِكَ الْعَادِلَ أَخُوهُ: إِنَّ تِلْكَ الطَّائِفَةَ قَدْ أَلْتَجَتْ بِالطَّائِفَةِ
الْأُولَى. وَمُعْظَمُ الْقَوْمِ قَدْ عَبَّرُوا نَهْرَ حَبْأَوْ قَدْ نَزَلُوا. وَالْبَاقُونَ قَدْ لَحِقُوا
بِهِمْ. وَلَيْسَ لِلْمَسِيرِ وَرَأَاهُمْ حَاصِلٌ إِلَّا إِنْ عَابَ الْعَسْكَرُ وَصَيَّاعُ النَّشَابِ
لَا غَيْرُ

فَتَرَجَعَ السُّلْطَانُ عَنِ الْقَوْمِ لَمَّا تَحَقَّقَ ذَلِكَ وَأَمَرَ طَائِفَةً مِنَ الْعَسْكَرِ

أَنْ قَسِيرَ وَرَأَى الثَّقَلَ يَلْحَقُ ضَعِيفَهُمْ يَقْوِيَهُمْ. وَيَكْفُ عَنْهُمْ مَنْ يَلْحَقُ بِهِمْ مِنْ
الْعَدُوِّ وَالطَّمَاعِ وَسَارَ هُوَ حَتَّى وَصَلَ إِلَى الْقَيْمُونِ عَصْرَ ذَلِكَ النَّهَارِ
فَنَزَلَ وَضَرَبَ لَهُ الدِّهْلِيْزَ وَشَقَّ دَائِرَةَ حَوْلَهُ لَاغَيْرُ. وَاسْتَحْضَرَ الْجَمَاعَةَ
وَأَكَلُوا شَبْتًا وَاسْتَشَارَهُمْ فِي مَا يَفْعَلُ

الْمَنْزِلُ الثَّانِي: اتَّفَقَ رَأْيُ جَمَاعَةٍ عَلَى أَنَّهُمْ يَرْحَلُونَ بِكُنْزِ غَدِي. هَذَا وَقَدْ
رَبَّ حَوْلَ الْإِفْرَنْجِ بِزَكَ كَا يَبْأَثُونَ حَوْلَهُ وَيَرْقُبُونَ أَمْرَهُ. وَلَمَّا كَانَ
صَبَاحُ ثَلَاثِي شَعْبَانَ رَحَلَ السُّلْطَانُ الثَّقَلُ وَأَقَامَ هُوَ يَتَرَصَّدُ أَخْبَارَ الْعَدُوِّ
فَلَمْ يَصِلْ مِنْهُمْ شَيْءٌ إِلَى أَنْ عَلَا النَّهَارُ. فَسَارَ فِي أَثَرِ الثَّقَلِ حَتَّى أَتَى قَرْيَةً
يُقَالُ لَهَا قَرْيَةُ الصَّبَاغِينَ. فَجَلَسَ يَتَرَقَّبُ أَخْبَارَ الْعَدُوِّ وَكَانَ قَدْ خَلْفَ
جُرْدِيكَ قَرِيبَ الْعَدُوِّ فَلَمْ يَصِلْهُ خَبَرٌ أَصْلًا. فَسَارَ حَتَّى أَتَى الثَّقَلَ فِي
مَنْزِلَةٍ يُقَالُ لَهَا عُمُونُ الْأَسَاوِدِ وَلَمَّا بَلَّغْنَا الْمَنْزِلَةَ رَأَى خِيَامًا فَسَأَلَ عَنْهَا
فَقِيلَ لَهَا خَيْمُ الْمَلِكِ الْعَادِلِ. فَعَدَلَ لِيَنْزِلَ عِنْدَهُ فَأَقَامَ عِنْدَهُ سَاعَةً.
ثُمَّ أَتَى خَيْمَتَهُ. وَفَقِدَ الْخَبْرَ فِي هَذِهِ الْمَنْزِلَةِ بِالْكَلْبَةِ وَعَلَا الشَّعِيرُ حَتَّى بَلَغَ
دِرْهَمًا وَبَلَغَ الْبَفْسِمَاطُ الرُّطْلُ دِرْهَمَيْنِ. ثُمَّ أَقَامَ السُّلْطَانُ حَتَّى عَبَرَ
وَقْتُ الظُّهْرِ. وَرَكِبَ وَسَارَ إِلَى مَوْضِعٍ يُسَمَّى الْمَلَّاحَةَ تَكُونُ مَنْزِلًا لِلْعَدُوِّ
إِذَا رَحَلَ مِنْ حَبْثَا. وَكَانَ قَدْ سَبَقَ لِيَتَفَقَّدَ الْمَكَانَ هَلْ يَصْلُحُ لِلْمَصَافِ
أَمْ لَا. وَفَقِدَ أَرْضِي فِيمَا رِيَّةَ بِأَسْرِهَا إِلَى الشُّعْرَاهِ. وَعَادَ إِلَى الْمَنْزِلِ
بَعْدَ دُخُولِ وَقْتِ الْعِشَاءِ الْآخِرِ. وَقَدْ أَخَذَ مِنْهُ التَّعَبُ. وَسَأَلْتُهُ عَمَّا
بَلَغَهُ مِنْ خَبَرِ الْعَدُوِّ فَقَالَ: وَصَلَ إِلَيَّ أَمْنٌ أَخْبَرَنَا أَنَّهُ مَا رَحَلَ مِنْ حَبْثَا
إِلَى عَصْرِ يَوْمِنَا هَذَا بَعْنِي ثَلَاثِي شَعْبَانَ وَهَذَا نَحْنُ مُقِيمُونَ مُرَقِبُونَ أَخْبَارَهُمْ

وَيَكُونُ الْعَمَلُ يَمْتَنِّضُهَا. وَبَاتَ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ وَأَصْبَحَ مُبَيِّمًا يَبْلُغُ الرِّزْلَةَ
يَتَظَرُّ الْعَدُوَّ وَنَادَى الْجَاوِشُ بِالْعَسْكَرِ لِلْعَرَضِ. فَرَكِبَ النَّاسُ عَلَى
تَرْسِبِ الْمَصَافِ وَأَهْنَيْهِ. وَلَمَّا عَلَا النَّهَارُ نَزَلَ السُّلْطَانُ فِي خَيْمَتِهِ وَأَخَذَ
نَصِيحًا مِنْ الرَّاحَةِ بَعْدَ الْغَدَاةِ وَمَثُولَ جَمَاعَةٍ مِنَ الْأَمْرَاءِ إِلَى خِدْمَتِهِ
وَأَخَذَ رَأْيَهُمْ فِي مَا يَصْنَعُونَ. ثُمَّ صَلَّى الظُّهْرَ وَجَلَسَ يُطْلِقُ أَنَّهُانَ الْحَبُولِ
الْمُجْرُوحَةِ وَغَيْرِهَا إِلَى الْعِشَاءِ الْآخِرَةِ مِنْ مِثْوِ دِينَارٍ إِلَى مِثْوِ وَخَمْسِينَ دِينَارًا
وَزَائِدًا وَنَافِصًا. فَمَارَأَتْ أَفْخَعَ صَدْرًا مِنْهُ وَلَا أَبْطَ وَجْهًا فِي الْعَطَاءِ
وَأَتَقَفَ الرَّأْيُ عَلَى رَجُلٍ الثَّقَلِ فِي عَصْرِ ذَلِكَ الْيَوْمِ إِلَى مَجْدَلٍ بِأَقَا
الْمَنْزِلِ الثَّلَاثِ: وَأَقَامَ هُوَ جَرِيدَةً بِالْمَنْزِلِ إِلَى الصَّبَاحِ رَابِعِ الشَّهْرِ.
وَرَكِبَ وَسَارَ فِي رَأْسِ النَّهْرِ الْجَارِي إِلَى فَيْسَارِيَّةٍ وَنَزَلَ هُنَاكَ. وَبَلَغَ
الْبَيْضَاطُ الرُّطْلُ أَرْبَعَةَ دَرَاهِمَ. وَالشَّعِيرُ الرُّبْعُ دِرْهَمَيْنِ وَنُصْفِ.
وَأَتَّخِذُوا لَمْ يُوجَدَ أَصْلًا. وَنَزَلَ فِي خَيْمَةٍ وَكُلَّ خُبْزًا وَصَلَّى الظُّهْرَ. وَرَكِبَ
إِلَى طَرِيقِ الْعَدُوِّ لِيَجِدِيْدَ إِرْشَادِهِ فِي ضَرْبِ الْمَصَافِ. وَلَمْ يَبْعُدْ إِلَى أَنْ
دَخَلَ وَفَتْ الْعَصْرِ فَجَلَسَ سَاعَةً وَأَخَذَ جُزْأَيْنَ الرَّاحَةِ. ثُمَّ عَادَ وَرَكِبَ
وَأَمَرَ النَّاسَ بِالرَّجُلِ وَرَمَى خَيْمَتَهُ وَرَمَى النَّاسُ خِيَامَهُمْ فِي أَوَاخِرِ النَّهَارِ
الْمَنْزِلِ الرَّابِعِ: وَكَانَ الرَّجُلُ إِلَى رَايَةِ مَتَاخِرَةٍ مِنْ تِلْكَ الرَّايَةِ. وَفِي
ذَلِكَ الْمَنْزِلِ أَتَى بِأَثْنَيْنِ مِنَ الْإِفْرِجِ قَدْ نَحَطَهُمُ الْبَرْكَ. فَأَمَرَ بِضَرْبِ
رِقَابِهِمَا فَنُفِلَا. وَتَكَاثَرَ النَّاسُ عَلَيْهَا بِالسُّبُوفِ نَشْفِيًا. ثُمَّ بَاتَ هُنَاكَ وَأَصْبَحَ
مُبَيِّمًا بِالْمَنْزِلَةِ لِأَنَّهُ لَمْ يَبْصَحْ عَنِ الْعَدُوِّ رَجُلٌ وَأَنْفَذَ إِلَى الثَّقَلِ حَتَّى يَعُودَ إِلَيْهِ
فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ بِمَا طَرَأَ عَلَى النَّاسِ مِنَ الضُّبْحِ فِي الْمَأْكَلِ وَالنِّفْسِ. وَرَكِبَ

فِي وَفْتِ عَادَتِهِ إِلَى جِهَةِ الْعَدُوِّ . وَأُشْرَتْ بِهَا فِيسَارِيَّةٌ . وَعَادَ إِلَى الثَّقَلِ
قَرِيبَ الظُّهْرِ وَقَدْ وَصَلَ أَخْبَرُ أَنَّ الْعَدُوَّ لَمْ يَرْحَلْ بَعْدُ مِنَ الْمَلَا حَةِ .
وَأُخْضِرَ عِنْدَهُ اثْنَانِ أَيْضًا قَدْ أُخِذَا مِنْ أَطْرَافِ الْعَدُوِّ وَقُتِلَا شَرَفَيْنِ .
وَكَانَ فِي حِفْءِ الضِّبْفَةِ لَهَا جَرَى عَلَى أَسْرَى عَمَّا . ثُمَّ أَخَذَ جُزْءًا مِنَ الرَّاحَةِ
وَجَلَسَ بَعْدَ صَلَاةِ الظُّهْرِ . وَحَضَرَتْ عِنْدَهُ وَقَدْ أُخْضِرَ بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ
الْعَدُوِّ فَارِسٌ مَذْكُورٌ هَيْئَتُهُ يُخْبِرُ عَنْ أَنَّهُ مُتَقَدِّمٌ فِيهِمْ . فَأُخْضِرَ تَرْجَمَانُ
وَبَحَثَ عَنْ أَحْوَالِ الْقَوْمِ وَسَأَلَهُ كَيْفَ بَسْوَى الطَّعَامِ عِنْدَكُمْ فَقَالَ : أَوَّلَ
يَوْمٍ رَحَلْنَا مِنْ عَمَّا كَانَ الْإِنْسَانُ يَشْبَعُ بِسِنِّهِ قَرَا طِيسَ فَلَمْ يَزَلِ
السَّعْرُ يَغْلُو حَتَّى صَارَ يَشْبَعُ بِثَمَانِيَةِ قَرَا طِيسَ . وَسَأَلَ عَنْ سَبَبِ
تَأَخُّرِهِمْ فِي الْمَنَازِلِ فَقَالَ : لِإِنْتِظَارِ وُصُولِ الْمَرَاكِبِ بِالرَّجَالِ وَالْمِيرَةِ .
فَسَأَلَ عَنِ الْقَتْلِ وَالْجُرْحِ فِي يَوْمِ رَحِيلِهِمْ فَقَالَ : كَثِيرٌ . فَسَأَلَ عَنِ
الْحِمْلِ الَّتِي هَلَكَتْ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ فَقَالَ : مِثْدَارُ أَرْبَعِ مِثَّةِ فَرَسٍ . فَأَمَرَ
بِضَرْبِ عُنُقِهِ . وَنَهَى عَنِ التَّمَثُّلِ بِهِ . فَسَأَلَ التَّرْجَمَانُ عَمَّا قَالَ السُّلْطَانُ
فَأَخْبَرَهُ بِهَا قَالَ : فَتَغَيَّرَ تَغْيِيرًا عَظِيمًا وَقَالَ : أَنَا أُخْلِصُ لَكُمْ أَسِيرًا مِنْ عَمَّا .
فَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ بَلْ أَمِيرًا . فَقَالَ : لَا أَقْدِرُ عَلَى خَلَاصِ أَمِيرٍ . فَشَفَعَ الطَّبَعُ
فِيهِ وَحَسَنُ خِلْقَتِهِ . فَإِنِّي مَا رَأَيْتُ أُمَّةً خِلْفَةً مِنْهُ مَعَ تَرْفٍ فِي الْأَطْرَافِ
وَرَفَاهِيَةٍ . فَأَمَرَ أَنْ يُبْرَكَ الْآنَ وَيُؤَخَّرَ أَمْرُهُ . فَصَدَفَهُ وَعَاتَبَهُ عَلَى مَا بَدَأَ
مِنْهُ مِنَ الْعَذْرِ وَقَتْلِ الْأَسْرَى . فَأَعْتَرَفَ بِأَنَّهُ قَبِيحٌ وَأَنَّهُ لَمْ يُجِرْ إِلَّا بِرِضَى
الْمَلِكِ وَحْدَهُ . وَرَكِبَ السُّلْطَانُ بَعْدَ صَلَاةِ الْعَصْرِ عَلَى عَادَتِهِ . وَبَعْدَ أَنْ
تَزَلَ أَمْرُ يَقْتُلِ الْفَارِسِ الْمَذْكُورِ . وَأُتِيَ بَعْدَهُ بِأَثْنَيْنِ فَأَمَرَ بِقَتْلِهِمَا . وَبَاتَ

فِي ذَلِكَ الْمَنْزِلِ وَذُكِرَ لَهُ فِي السَّحَرِ أَنَّ الْعَدُوَّ قَدْ تَحَرَّكَ نَحْوَ فَيْسَارِيَّةَ.
 وَقَارَبَ أَوَائِلَهُمُ الْبَلَدَ. فَرَأَى أَنَّ بَاقِيَ طَرِيقِ الْعَدُوِّ مِثْلَ آخَرِ
 الْمَنْزِلِ الْخَامِسِ: فَحَلَ وَرَحَلَ النَّاسُ إِلَى قَرِيبِ النَّوْلِ الَّذِي كُنَّا عَلَيْهِ
 فَتَزَلَّ النَّاسُ وَضُرِبَتِ الْخِيَامُ. وَمَضَى هُوَ بِرَنَادُ الْأَرَاضِيِّ الْكَائِنَةِ فِي
 طَرِيقِ الْعَدُوِّ لِيَنْظُرَ أَهْمَا أَصْلَحُ لِلْمَصَافِ وَتَزَلَّ قَرِيبَ الظُّهْرِ. وَاسْتَدْعَى
 أَخَاهُ الْمَلِكَ الْعَادِلَ. وَعَلَّمَ الدِّينَ سُلَيْمَانَ. وَأَخَذَ رَأْيَهُمَا فِي مَا يَصْنَعُ.
 وَأَخَذَ جُزْأَيْنِ الرَّاحَةِ وَأَذِنَ الظُّهْرَ. فَصَلَّى وَرَكِبَ لِيُشْرِفَ وَلِيَكْشِفَ
 عَنِ الْعَدُوِّ وَيَتَسَمَّ أَخْبَارَهُ. وَأَتَاهُ اثْنَانِ مِنَ الْإِفْرَنْجِ قَدْ نُبِّهَا وَأَمَرَ بِقَتْلِهِمَا
 فُقْتِلَا. ثُمَّ أَتَى يَاسِينَ آخَرِينَ فُقْتِلَا أَيْضًا. وَجِيءَ آخِرَ النَّهَارِ بِاثْنَيْنِ
 فُقْتِلَا أَيْضًا. وَعَادَ مِنَ الرُّكُوبِ وَصَلَّى صَلَاةَ الْمَغْرِبِ. وَجَلَسَ عَلَى عَادَتِهِ
 وَاسْتَدْعَى أَخَاهُ وَصَرَفَ النَّاسَ. وَخَلَا بِهِ إِلَى هَوِيِّ مِنَ اللَّيْلِ. ثُمَّ بَاتَ
 وَأَصْبَحَ وَنَادَى الْجَاوِشَ لِعَرْضِ الْخَلْفَةِ لَا غَيْرُ. وَرَكِبَ إِلَى جِهَةِ الْعَدُوِّ
 وَوَقَفَ عَلَى تُلُوْلِ مُشْرِفَةٍ عَلَى فَيْسَارِيَّةَ. وَكَانَ الْعَدُوُّ قَدْ وَصَلَ إِلَيْهَا نَهَارَ
 الْجُمُعَةِ سَادِسَ شَعْبَانَ. وَلَمْ يَزَلْ يُعْرِضُ هُنَاكَ إِلَى أَنْ عَلَا النَّهَارُ. ثُمَّ
 تَزَلَّ وَكُلَّ الطَّعَامَ. وَرَكِبَ إِلَى أَخِيهِ وَعَادَ بَعْدَ صَلَاةِ الظُّهْرِ. وَأَخَذَ
 جُزْأَيْنِ الرَّاحَةِ. وَأَتَى بِأَرْبَعَةِ عَشَرَ مِنَ الْإِفْرَنْجِ وَأَمْرَأَةً إِفْرَنْجِيَّةً مِنْهُمْ
 أَسِيرَةً. وَهِيَ بِنْتُ الْفَارِسِ الْمَذْكُورِ. وَمَعَهَا أَسِيرَةٌ مُسْلِمَةٌ قَدْ أَخَذَتْهَا.
 فَأُطْلِقَتِ الْمُسْلِمَةُ. وَرُفِعَ الْبَاقُونَ إِلَى الزَّرْدَخَانَةِ وَهُوَ لَاهُ أَتَى بِهِمْ مِنْ
 يَبُوتَ أَخَذُوا فِي مَرْكَبٍ مِنْ جُمْلَةِ عِدَّةٍ كَثِيرَةٍ فُقِلُوا. كُلُّ ذَلِكَ فِي نَهَارِ
 السَّبْتِ سَابِعِ الشَّهْرِ. وَهُوَ فِي الْمَنْزِلَةِ يَنْتَظِرُ رَجُلَ الْعَدُوِّ. مُجِيعًا عَلَى

لِقَائِهِ إِذَا رَحَلَ

الْمَنْزِلُ السَّادِسُ: وَلَمَّا كَانَ صَبِيحَةُ الثَّامِنِ رَكِبَ السُّلْطَانُ عَلَى عَادَتِهِ
 ثُمَّ نَزَلَ . وَوَصَلَ مِنْ أَخِيهِ أَنَّ الْعَدُوَّ عَلَى حَرَكَةٍ . وَكَانَتْ الْأَطْلَابُ
 قَدْ بَاتَتْ حَوْلَ فِيسَارِيَّةٍ فِي مَوَاضِعِهَا . فَأَمَرَ يَهْدِي الطَّعَامَ وَأَطْعَمَ النَّاسَ
 فَوَصَلَ ثَانٍ وَأَخْبَرَ: أَنَّ الْقَوْمَ قَدْ سَارُوا . فَأَمَرَ بِالْكُوسِ فَدُقَّ وَرَكِبَ
 وَرَكِبَ النَّاسُ وَسَارَ وَسِرْتُ فِي خِدْمَتِهِ حَتَّى آتَى عَسْكَرَ الْعَدُوِّ وَصَفَّ
 الْأَطْلَابُ حَوْلَهُ وَأَمَرَهُمْ بِقِتَالِهِمْ وَأَخْرَجَ الْمَجَالِشَ . فَكَانَ النُّشَابُ بَيْنَهُمْ
 كَالْمَطَرِ وَكَانَ عَسْكَرُ الْعَدُوِّ قَدْ وَثَبَ . فَكَانَتْ الرِّجَالُ حَوْلَهُ كَالسُّورِ
 وَعَلَيْهِمُ اللَّبُودُ النَّجِينَةُ وَالزَّرْدِيَّاتُ السَّايِغَةُ الْحَكِيمَةُ يَحِثُّ بِقَعٍ فِيهِمُ النُّشَابُ
 وَلَا يَتَأَخَّرُونَ وَهُمْ يَرْمُونَ بِالزَّرَنِيبُوكِ فَيُخْرِجُ خَيْلَ الْمُسْلِمِينَ وَخَيْالَهُمْ .
 وَلَقَدْ شَاهَدْنَاهُمْ وَتَغَرَّرُ فِي ظَهْرِ الْوَاحِدِ مِنْهُمْ الْوَاحِدُ وَالْعَشْرُ وَهُوَ
 يَسِيرُ عَلَى هَيْئَةٍ مِنْ غَيْرِ أَنْزَاعٍ . وَثُمَّ قَسَمَ آخَرُ مِنَ الرِّجَالِ مُسْتَرِجٌ
 يَنْشُونَ عَلَى جَانِبِ الْبَحْرِ وَلَا فِتَالٍ عَلَيْهِمْ . فَإِذَا نَعَبَ هَؤُلَاءِ الْمُفَاتِلُونَ
 أَوْ أَنْخَنَهُمُ الْجِرَاحُ فَأَمَّ مَقَامَهُمُ الْمُسْتَرِجُ وَأَسْرَجَ الْقِسْمَ الْعِمَالُ . هَذَا
 وَالْخَبَالَةُ فِي وَسْطِهِمْ لَا يَخْرُجُونَ عَنِ الرِّجَالِ إِلَّا فِي وَقْتِ الْحِمْلَةِ لَا غَيْرُ .
 وَقَدْ أَنْفَسُوا أَيْضًا ثَلَاثَةَ أَقْسَامٍ الْقِسْمُ الْأَوَّلُ الْمَلِكُ الْعَنِيْفُ جُفْرَى
 وَجَاعَةُ السَّاحِلِيَّةِ مَعَهُ فِي الْمَقْدَمَةِ وَالْأَنْكَارُ وَالْفَرَنْسِيْسُ مَعَهُ فِي
 الْوَسْطِ وَالْوَلَدُ الْإِسْتِ أَصْحَابُ طَبَرِيَّةٍ وَطَائِفَةُ أُخْرَى فِي السَّاقَةِ . وَفِي
 وَسْطِ الْقَوْمِ بُرْجٌ عَلَى عَجَلَةٍ وَعَلَيْهِ كَالْمَنَارَةِ الْعَظِيمَةِ . هَذَا تَرْتِيبُ الْقَوْمِ
 عَلَى مَا شَاهَدْنَاهُ . وَأَخْبَرَ مَنْ خَرَجَ مِنْهُمْ مِنَ الْأَسْرَى وَالْمُسْتَأْمِنِينَ .

وَسَارُوا عَلَى الْهَيْثَالِ وَسُقُوا الْحَرْبَ قَائِمَةً وَالْمُسْلِمُونَ بِرُؤُوسِهِمْ بِالنَّشَابِ
 مِنْ جَوَانِبِهِمْ وَيُحَرِّكُونَ عَزَائِهِمْ حَتَّى يَخْرُجُوا . وَهُمْ يَحْفَظُونَ نَفْسَهُمْ
 حِفْظًا عَظِيمًا وَيَقْطَعُونَ الطَّرِيقَ عَلَى هَذَا الْوَضْعِ وَيَسِيرُونَ سِيرًا
 رَفِيقًا وَمَرَاكِبُهُمْ تَسِيرُ فِي مَقَابِلِهِمْ فِي الْبَحْرِ إِلَى أَنْ أَتَوْا الْمَنْزِلَ . وَكَانَتْ
 مَنَازِلُهُمْ قَرِيبَةً لِأَجْلِ الرِّجَالَةِ . فَإِنَّ الْمُسْتَرِيحِينَ مِنْهُمْ كَانُوا يَحْمِلُونَ
 أَثْقَالَهُمْ وَخِصَمَهُمْ لِفَلَةِ الظَّهْرِ عَلَيْهِمْ . فَأَنْظُرْ إِلَى صَدْرِهِ هُوَ لَا الْقَوْمَ عَلَى
 الْأَعْمَالِ الشَّاقَّةِ . وَكَانَ مَنَزِلُهُمْ قَاطِعَ نَهْرٍ فِيسَارِيَّةِ

الْمَنْزِلِ السَّابِعِ : وَلَمَّا كَانَتْ صَبِيحَةُ الثَّاسِعِ وَصَلَ مِنْ أَخْبَرَ أَنَّ الْعَدُوَّ
 قَدْ رَكِبَ سَائِرَ أَفْرَاقِ السُّلْطَانِ أَوَّلَ الصُّبْحِ وَطَلَبَ الْأَطْلَابَ وَأَخْرَجَ
 مِنْ كُلِّ جَانِبٍ جَالِشًا . فَسَارَ بِطَلَبِ الْقَوْمِ وَطَافَ الْجَالِشُ حَوْلَهُمْ مِنْ
 كُلِّ جَانِبٍ وَتَزَوَّوْهُمْ بِالنَّشَابِ . وَهُمْ سَائِرُونَ ثَلَاثَةَ أَقْسَامٍ عَلَى الْهَيْثَالِ
 الَّذِي حَكَمْتُهُ . وَكُلُّهَا ضَعْفٌ فِصْمٌ عَاوَنَهُ الَّذِي يَلِيهِ . وَهُمْ يَحْفَظُونَ بَعْضُهُمْ
 بَعْضًا . وَالْمُسْلِمُونَ مُحْدِفُونَ يَوْمَ مِنْ ثَلَاثَةِ جَوَانِبِ وَالْقِتَالُ عَلَيْهِمْ شَدِيدٌ
 وَالسُّلْطَانُ يُقَرِّبُ الْأَطْلَابَ . وَرَأَيْتُهُ هُوَ يَسِيرُ نَفْسُهُ يَنْبَغِي الْجَالِشِينَ .
 وَنُشَابُ الْقَوْمِ يُحَازِرُهُ وَلَيْسَ مَعَهُ إِلَّا صَبِيحَانِ مَحْبِسَيْنِ لَا غَيْرَ . وَهُوَ يَسِيرُ
 مِنْ طَلَبٍ إِلَى طَلَبٍ يَحْتَمِلُهُمْ عَلَى التَّفْدُّمِ وَيَأْمُرُهُمْ بِمُضَايَقَةِ الْقَوْمِ وَمُقَاتَلَتِهِمْ
 وَالْكُوسَاتُ تَخْفِقُ وَالْبُوقَاتُ تَنْعَرُ وَالصِّبَا حُجُجُ الْتَهْلِيلِ وَالْتَكْبِيرِ يَرْتَفِعُ . هَذَا
 وَالْقَوْمُ عَلَى أَمْرِ ثَبَاتٍ عَلَى تَرْبِيهِمْ لَا يَتَغَيَّرُونَ وَلَا يَتَزَعَّجُونَ . وَجَرَتْ
 حَالَاتٌ كَثِيرَةٌ وَرَجَّأْنَاهُمْ بِجَرَحِ الْمُسْلِمِينَ وَخَبْرُهُمْ بِالزَّرْثَبُوكِ وَالنَّشَابِ .
 وَلَمْ تَزَلْ حَوَالِيهِمْ نَقَالِيهِمْ وَنَحِيلُ عَلَيْهِمْ وَهُمْ يَكْرَهُونَ يَنْ أَبْدِي الْمُسْلِمِينَ

ثُمَّ يَبْعَثُونَ عَلَيْهِمْ إِلَى أَنْ أْتَوْا نَهْرًا يَقَالُ لَهُ نَهْرُ الْقَصَبِ نَزَلُوا عَلَيْهِ .
 وَقَدْ قَامَتِ الظُّلُمَةُ وَضَرَبُوا خِيَامَهُمْ . وَتَرَجَعَ النَّاسُ عَنْهُمْ فَأَتَهُمْ إِذَا
 كَانُوا نَزَلُوا أَيْسَ النَّاسِ مِنْ أَنْ يَمَّ مَعَهُمْ وَرَجَعُوا عَنْ فِتَائِلِهِمْ . وَفِي
 ذَلِكَ الْيَوْمِ قُتِلَ مِنْ فُرْسَانِ الْإِسْلَامِ شُجَاعٌ كَثِيرٌ إِبَارُ الطَّوِيلُ بَعْضُ
 مَا إِلَيْكَ السُّلْطَانُ . وَكَانَ قَدْ قَتَلَ فِيهِمْ وَقَتَلَ خَلْقًا مِنْ خِيَالِهِمْ وَشُجَاعِهِمْ
 وَكَانَتْ قِيَادَتُهُمْ شُجَاعَتُهُ بَيْنَ الْعَسْكَرِ بِنِجْثُ أَنْهُ جَرَتْ لَهُ وَقَعَاتٌ
 كَثِيرَةٌ وَصَدَقَتْ أَخْبَارُ الْأَوَائِلِ . وَصَارَ بِجِثُ إِذَا عَرَفَهُ الْأَفْرَنْجُ فِي
 مَوْضِعٍ بِخَافُونَهُ وَتَنْظُرُ بِهِ فَرَسُهُ وَاسْتَشْهَدَ وَحَزَنَ الْمُسْلِمُونَ عَلَيْهِ حُزْنًا
 عَظِيمًا وَدُفِنَ عَلَى تَلٍّ مُشْرِفٍ عَلَى الْبِرْكَةِ . وَنَزَلَ السُّلْطَانُ بِالثَّقَلِ عَلَى
 الْبِرْكَةِ وَهِيَ مَوْضِعٌ يَجْتَمِعُ فِيهِ مِيَاهُ كَثِيرَةٌ وَأَقَامَ فِي ذَلِكَ الْمَنْزِلِ إِلَى
 بَعْدِ صَلَاةِ الْعَصْرِ وَأَطْعَمَ النَّاسَ خُبْرًا وَاسْتَرَا حُوا سَاعَةً . ثُمَّ رَحَلَ وَأَتَى
 نَهْرَ الْقَصَبِ وَنَزَلَ عَلَيْهِ أَيْضًا فَشَرِبَ مِنْهُ قَلِيلًا مِنْ أَعْلَاهُ وَالْعَدُوُّ بَشَرَبُ
 مِنْ أَسْفَلِهِ . لَيْسَ بَيْنَنَا إِلَّا مَسَافَةٌ بَسِيرَةٌ وَبَلَغَ الشَّعِيرُ الرَّبْعَ أَرْبَعَةَ دِرَاهِمٍ
 وَالْخُبْزُ مَوْجُودٌ كَثِيرٌ وَسِعْرُهُ رَطْلٌ يَنْصَفُ دِرْهَمٌ . وَأَقَامَ يَنْتَظِرُ رَجُلَ
 الْأَفْرَنْجِ حَتَّى يَرْحَلَ فِي مُقَابَلَتِهِمْ . وَبَاتُوا نِلْكَ اللَّيْلَةَ هُنَاكَ وَبَيْنَا أَيْضًا
 ذِكْرُ وَقَعَةٍ جَرَتْ

وَذَلِكَ أَنَّ جَمَاعَةً مِنَ الْعَسْكَرِ الْإِسْلَامِيِّ كَانُوا مُشْرِفِينَ عَلَى الْعَدُوِّ
 فَصَادَفُوا جَمَاعَةً مِنْهُمْ يَتَشَوَّفُونَ أَيْضًا عَلَى الْعَسْكَرِ الْإِسْلَامِيِّ فَظَنُّوهُمُ بِهِمْ
 وَهَجَّوْهُ عَلَيْهِمْ وَجَرَى بَيْنَهُمْ قِتَالٌ عَظِيمٌ فَقُتِلَ مِنَ الْعَدُوِّ جَمَاعَةٌ وَأَحْسَ
 بِهِمْ عَسْكَرُ الْعَدُوِّ . فَتَارَ إِلَيْهِمْ مِنْهُمْ جَمَاعَةٌ وَاتَّصَلَ الْحَرْبُ وَقُتِلَ أَيْضًا

مِنَ الْمُسْلِمِينَ نَفَرَانِ وَأَسِيرٌ مِنَ الْعَدُوِّ ثَلَاثَةٌ وَمَثَلُوا بِخِدْمَةِ السُّلْطَانِ
 فَسَأَلَهُمُ عَنِ الْأَحْوَالِ . فَأَخْبَرُوا أَنَّ الْمَلِكَ أَنْكَتَارَ كَانَ قَدْ حَضَرَ عَنْدهُ
 بَعْدًا اثْنَانِ بَدَوِيَانِ وَأَنَّهَا أَخْبَرَا لَهُ بِقِلَّةِ الْعَسْكَرِ الْإِسْلَامِيِّ وَذَلِكَ الَّذِي
 أَطْعَمَهُ حَتَّى خَرَجَ . وَأَنَّهُ لَمَّا كَانَ بِالْأَمْسِ بَعْنِي الْإِثْنَيْنِ رَأَى مِنَ الْمُسْلِمِينَ
 قِتَالًا عَظِيمًا وَاسْتَكْثَرَ الْأَطْلَابَ وَأَنَّهُ جَرَحَ زُهَاهُ أَلْفَ نَفَرٍ وَقَتَلَ جَمَاعَةً
 وَلَنْ ذَلِكَ الَّذِي أَوْجَبَ إِقَامَتَهُ الْيَوْمَ حَتَّى يَسْتَرْجِعَ عَسْكَرُهُ . وَأَنَّهُ لَمَّا رَأَى
 مَا أَصَابَهُ مِنَ الْقِتَالِ الْعَظِيمِ وَكَثَرَةِ الْمُسْلِمِينَ أَحْضَرَ الْبَدَوِيَيْنِ عَنْدهُ
 وَأَوْقَفَهُمَا وَضَرَبَ أَعْنَاقَهُمَا . وَأَقَامَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ فِي تِلْكَ الْمَنْزِلَةِ لِإِقَامَةِ
 الْعَدُوِّ وَهُوَ الثَّلَاثَةُ الْعَاشِرُ مِنْ شَعْبَانَ

الْمَنْزِلُ الثَّامِنُ : وَلَمَّا كَانَ ظَهِيرُ الْيَوْمِ الْمَذْكُورِ رَأَى السُّلْطَانُ عَلَى
 الرَّجُلِ وَالْتَقَدَّمَ إِلَى قُدَامِ الْعَدُوِّ فَدَقَّ الْكُوسُ وَرَحَلَ النَّاسُ وَدَخَلَ
 فِي شَعْرَاءَ أَرْسُوفٍ حَتَّى تَوَسَّطَهَا إِلَى تَلٍّ عِنْدَ قَرْيَةٍ تُسَمَّى دَيْرَ الرَّاهِبِ
 فَتَزَلَّ هُنَاكَ وَدَخِمَ النَّاسُ اللَّيْلُ وَهُمْ يَقْطَعُونَ فِي الشَّعْرَاءِ وَأَصْبَحَ مُقِيمًا
 يَنْتَظِرُ بَقِيَّةَ الْعَسَاكِرِ إِلَى صَبَاحِ الْأَرْبَعَاءِ الْحَادِيَةِ عَشَرَ . وَتَلَاَحُظَتْ
 الْعَسَاكِرُ وَرَكِبَ بَرْتَاذُ مَوْضِعًا بِضَلْعِ الْقِتَالِ وَلِقَاءَ الْعَدُوِّ . وَأَقَامَ ذَلِكَ
 الْيَوْمَ أَجْمَعَ هُنَاكَ . وَمِنْ أَخْبَارِ الْعَدُوِّ فِي تِلْكَ الْمَنْزِلَةِ أَنَّهُ أَقَامَ عَلَى نَهْرِ
 النَّصَبِ ذَلِكَ الْيَوْمَ أَيْضًا . وَأَنَّهُ لَحِقَهُ نَجْدَةٌ مِنْ عَكَا فِي ثَمَابٍ بَطْسِي
 كِبَارٍ وَبَزَكَ الْإِسْلَامَ حَوْلَهُ يُوَاصِلُونَ بِالْأَخْبَارِ الْمُسْتَجِيبَةِ بِهِمْ

ذِكْرُ مِرَاسَلَةِ جَرَتْ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ

وَذَلِكَ أَنَّ الْعَدُوَّ طَلَبَ مِنَ الْبِزَكِ مَنْ يَتَخَدُّثُ مَعَهُ . وَكَانَ مُقَدَّمُ

الْبِرِّكَ عِلْمَ الدِّينِ سُلْبَانٍ فَإِنَّمَا كَانَتْ تَوْبَتُهُ . فَلَمَّا مَضَى إِلَيْهِمْ مَنْ سَمِعَ
 كَلَامَهُمْ كَانَ كَلَامُهُمْ طَلَبَ الْمَلِكِ الْعَادِلِ حَتَّى يَحْدُثُوا مَعَهُ . فَاسْتَأْذَنَ
 وَمَضَى وَبَاتَ تِلْكَ اللَّيْلَةَ فِي الْبِرِّكَ وَيَحْدُثُونَ مَعَهُ . وَكَانَ حَاصِلُ حَدِيثِهِمْ
 أَنَا قَدْ طَالَ بَيْنَنَا الْقِتَالُ وَأَنْتَ قَدْ قُتِلَ مِنَ الْجَائِيَيْنِ الرِّجَالُ الْأَبْطَالُ
 وَأَنَا نَحْنُ جُنَا فِي نَصْرِكَ الْفَرَنْجِ السَّاحِلِ . فَاصْطَلِحُوا أَنْتُمْ وَهُمْ وَكُلُّ مِنَّا يَرْجِعُ
 إِلَى مَكَانِهِ . وَكَتَبَ السُّلْطَانُ إِلَى أَخِيهِ فِي صَبِيحَةِ يَوْمِ الْخَبِيرِ السَّابِعِ الثَّانِي
 وَالْعِشْرُونَ يَقُولُ لَهُ فِيهَا : إِن قَدَرْتَ أَنْ تُطَاوِلَ الْإِفْرَنْجَ فَلَعَلَّهُمْ يُقْبِلُونَ
 الْيَوْمَ حَتَّى يُلْحِقَنَا التُّرُكَانُ فَإِنَّهُمْ قَدْ قَرَّبُوا مِنَّا

ذِكْرُ أَجْمَاعِ الْمَلِكِ الْعَادِلِ وَالْأَنْتِكَارِ

وَلَمَّا عَرَفَ الْأَنْتِكَارَ وَوُصُولَ الْمَلِكِ الْعَادِلِ إِلَى الْبِرِّكَ طَلَبَ الْأَجْمَاعَ
 بِهِ فَأَجَابَهُ إِلَى ذَلِكَ . فَأَجْمَعُوا بِخَوْفٍ مِنْ أَصْحَابِهَا وَكَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمَا ابْنُ
 الْهَنْفَرِيِّ وَهُوَ مِنْ إِفْرَنْجِ السَّاحِلِ مِنْ كِبَارِهِمْ وَرَأَيْتُهُ يَوْمَ الصُّلْحِ وَهُوَ
 شَابٌ حَسَنٌ إِلَّا أَنَّهُ مَخْلُوقُ الْخَبِيرَةِ عَلَى مَا هُوَ شِعَارُهُمْ . وَكَانَ الْحَدِيثُ
 بَيْنَهُمَا أَنَّ الْأَنْتِكَارَ شَرَعَ فِي ذِكْرِ الصُّلْحِ أَنَّ الْمَلِكَ الْعَادِلَ قَالَ لَهُ : أَنْتُمْ
 تَطْلُبُونَ الصُّلْحَ وَلَا تَذْكُرُونَ مَطْلُوبَكُمْ فِيهِ حَتَّى أَتَوَسَّطَ أَنَا أَلْحَالَ مَعَ
 السُّلْطَانِ . فَقَالَ الْأَنْتِكَارُ : الْقَاعِدَةُ أَنْ تَعُودَ الْيَلَادُ كُلُّهَا إِلَيْنَا وَتَنْصَرِفُوا
 إِلَى يَلَادِكُمْ فَأَخْشَنَ لَهُ الْجَوَابَ وَجَرَتْ مُنَاقَرَةٌ أَقْتَضَتْ أَنَّهُمْ رَحَلُوا بَعْدَ
 أَنْفِصَالِهِمْ . وَلَمَّا أَحْسَسَ السُّلْطَانُ بِرَحِيلِهِمْ أَمَرَ النَّقْلَ بِالرَّجُلِ وَوَقَفَ هُوَ
 وَعَبَّى النَّاسَ تَعْيِيَةَ الْقِتَالِ . وَسَارَ النَّقْلُ الصَّغِيرُ أَيْضًا حَتَّى قَارَبَ النَّقْلَ
 الْكَبِيرَ . ثُمَّ وَدَّ أَمْرَهُ السُّلْطَانُ بِعُودِهِمْ إِلَيْهِ . فَعَاقَبُوا وَوَصَلُوا وَقَدْ دَخَلَ

الَّيْلُ وَتَحَبَّطَ النَّاسُ تِلْكَ اللَّيْلَةَ تَحَبُّطًا عَظِيمًا وَاسْتَدْعَى أَخَاهُ لِيُعْرِفَهُ مَا
 جَرَّ يَنْتَهُ وَيَبَيِّنَ الْمَلِكِ . وَخَلَايِهِ لِذَلِكَ وَحُلِكَ فِي لَيْلَةِ الْجُمُعَةِ ثَالِثَ
 عَشَرَ . وَأَمَّا الْعُدُوُّ فَإِنَّهُ سَارَ وَنَزَلَ عَلَى مَوْضِعٍ يُسَمَّى الْبِرْكَةَ أَيْضًا بِشَرَفٍ
 عَلَى الْبَحْرِ وَأَصْبَحَ السُّلْطَانُ فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ مُتَطَلِّعًا إِلَى أَخْبَارِ الْعُدُوِّ .
 فَأَحْضَرَ عِنْدَهُ اثْنَانِ مِنَ الْأَفْرَنَجِ قَدْ نَخَطَفَهَا الْبِرْكُ . فَأَمَرَ بِضَرْبِ أَعْنَاقِهِمَا
 وَوَصَلَ مَنْ أَخْبَرَ أَنَّ الْعُدُوَّ لَمْ يَرْحَلِ الْيَوْمَ مِنْ مَنَازِلِهِ تِلْكَ . فَتَلَّ
 السُّلْطَانُ وَاجْتَمَعَ بِأَخِيهِ بَعْدَ ثَنَانٍ بِهَذَا الْأَمْرِ وَمَا بَصُغَ مَعَ الْعُدُوِّ . وَبَاتَ
 تِلْكَ اللَّيْلَةَ فِي تِلْكَ الْمَنَزِلَةِ

ذِكْرُ وَفْعَةِ أَرْسُوفَ وَهِيَ أَنْكَتْ فِي قُلُوبِ الْمُسْلِمِينَ

وَلَمَّا كَانَ يَوْمُ السَّبْتِ رَابِعَ عَشَرَ بَلَغَ السُّلْطَانُ أَنَّ الْعُدُوَّ حَرَّكَ الرَّحِيلَ
 نَحْوَ أَرْسُوفَ . فَرَكِبَ وَرَتَّبَ الْأَطْلَابَ لِلْقِتَالِ وَعَزَمَ عَلَى مُضَاقِقِهِمْ فِي
 ذَلِكَ الْيَوْمِ وَمُضَادَّتِهِمْ . وَأَخْرَجَ الْجَالِيشَ مِنْ كُلِّ طَلِيبٍ . وَسَارَ الْعُدُوُّ
 حَتَّى قَارَبَ شَعْرَاءَ أَرْسُوفَ وَبَسَاتِينَهَا وَأَطْلَقَ عَلَيْهِمُ الْجَالِيشُ النُّشَابَ
 وَلَزَبَهُمُ الْأَطْلَابُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ وَالسُّلْطَانُ يَقْرُبُ بَعْضَهَا وَيُوقِفُ
 بَعْضَهَا وَيُضَاقِقُ الْعُدُوَّ مُضَاقِقَةً عَظِيمَةً وَالتَّحْمُ الْقِتَالُ وَأَضْطَرَمَّتْ نَارُهُ
 مِنَ الْجَالِيشِ وَقُتِلَ مِنْهُمْ وَجَرِحَ . فَأَشْتَدُّوا فِي السَّيْرِ عَسَاهُمْ يَبْلُغُونَ
 الْمَنَزِلَةَ فَيَنْزِلُونَ وَأَشْتَدَّ بِهِمُ الْأَمْرُ وَضَاقَ بِهِمُ الْخُنَاقُ وَالسُّلْطَانُ يَطُوفُ
 مِنَ الْمَيْمَنَةِ إِلَى الْمُسْرَفِ يَحْتَ النَّاسَ عَلَى الْجِهَادِ وَلَيْفَتُهُ مِرَارًا لَيْسَ مَعَهُ إِلَّا
 صَبِيَّانِ يَحْتَنِيَانِ لَا غَيْرَ وَلَيْتُ أَخَاهُ وَهُوَ عَلَى مِثْلِ الْحَالِ وَالنُّشَابُ يُجَاوِزُهُمَا
 وَلَمْ يَزَلِ الْأَمْرُ يَشْتَدُّ بِالطَّمَعِ لِلْعُدُوِّ وَطَمَعِ الْمُسْلِمِينَ فِيهِمْ طَمَعًا عَظِيمًا

حَتَّى وَصَلَ أَوَائِلُ رَاجِلِهِمْ إِلَى بَسَاتِينِ أَرْسُوفَ . ثُمَّ اجْتَمَعَتِ الْجُمَالَةُ
وَتَوَاصَوْا عَلَى الْحَمَلَةِ خَشْيَةً عَلَى الْقَوْمِ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ لَا يُنْجِيهِمْ إِلَّا الْحَمَلَةُ .
وَلَقَدْ رَأَوْهُمْ وَقَدْ اجْتَمَعُوا فِي وَسْطِ الرِّجَالَةِ وَأَخَذُوا رِمَاحَهُمْ وَصَاحُوا صَوْتَهُ
الرَّجُلِ الْوَاحِدِ وَفَرَجَ لَهُمْ رَجَالُهُمْ وَحَمَلُوا حَمَلَةً وَاحِدَةً مِنَ الْجَوَانِبِ كُلِّهَا
فَحَمَلَتْ طَائِفَةٌ عَلَى الْمَيْمَنَةِ وَطَائِفَةٌ عَلَى الْمُسْرَةِ وَطَائِفَةٌ عَلَى الْقَلْبِ . فَأَنْدَفَعَ
النَّاسُ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ . وَاتَّفَقَ أَنِّي كُنْتُ فِي الْقَلْبِ فَفَرَّ الْقَلْبُ فِرَارًا عَظِيمًا
فَنَوَيْتُ التَّخَيُّرَ إِلَى الْمُسْرَةِ وَكَانَتْ أَقْرَبَ إِلَيَّ وَوَصَلْتُهَا وَقَدْ انْكَسَرَتْ
كُسْرَةً عَظِيمَةً وَفَرَّتْ أَشَدَّ فِرَارًا مِنَ الْكُلِّ . فَنَوَيْتُ التَّخَيُّرَ إِلَى طَلِبِ
السُّلْطَانِ وَكَانَ رَدُّ الْأَطْلَابِ كُلِّهَا كَمَا جَرَتْ الْعَادَةُ وَلَمْ يَبْقَ لِلْسُّلْطَانِ
فِيهِ إِلَّا سَبْعَةٌ عَشَرَ مَقَاتِلًا لَا غَيْرُ وَأَخَذَ الْبَاقِينَ إِلَى الْقِتَالِ . لَكِنْ الْأَعْلَامُ
كُلُّهَا بَاقِيَةٌ ثَابِتَةٌ وَالْكُوسُ يَدُقُّ لَا يَنْقُزُ . وَأَمَّا السُّلْطَانُ فَإِنَّهُ لَمَّا رَأَى مَا
نَزَلَ بِالْمُسْلِمِينَ مِنْ هَذِهِ النَّازِلَةِ . سَارَ حَتَّى أَتَى طَلِبَةَ فَوَجَدَ فِيهِ هَذَا النِّفَرِ
الْقَلِيلَ . فَوَقَفَ فِيهِ وَالنَّاسُ يَفْرُونَ مِنَ الْجَوَانِبِ وَهُوَ يَأْمُرُ أَصْحَابَ
الْكُوسِ بِالدَّقِّ بِحَيْثُ لَا يَفْتَرُونَ وَكُلُّهَا رَأَى فَارًا يَأْمُرُ مَنْ يَحْضُرُ عَنْكَ
وَفِي الْجُمَلَةِ مَا أَقْصَرَ النَّاسُ فِي فِرَارِهِمْ . فَإِنَّ الْعَدُوَّ حَمَلَ حَمَلَةً فَفَرُّوا . ثُمَّ
وَقَفَ خَوْفًا مِنَ الْكَبِيرِ فَوْقَهُمْ وَقَاتَلُوا . ثُمَّ حَمَلَ حَمَلَةً ثَانِيَةً . فَفَرُّوا وَهُمْ
يُقَاتِلُونَ فِي فِرَارِهِمْ ثُمَّ وَقَفَ فَوْقَهُمْ . ثُمَّ حَمَلَ حَمَلَةً ثَالِثَةً حَتَّى بَلَغَ إِلَى رُؤْسِ
رَوَابِي هُنَاكَ وَأَعَالِي ثُلُولٍ . فَفَرُّوا إِلَى أَنْ وَقَفَ الْعَدُوُّ وَوَقَفُوا . وَكَانَ
كُلُّ مَنْ رَأَى طَلِبَ السُّلْطَانِ وَاقِفًا وَالْكُوسُ يَدُقُّ بَسْتَنِي أَنْ يُجَاوِزَهُ
وَيَخَافُ غَائِلَةَ ذَلِكَ فَيَعُودُ إِلَى الطَّلِبِ . فَاجْتَمَعَ فِي الْقَلْبِ خَلْفٌ عَظِيمٌ

وَوَقَفَ الْعَدُوُّ قُبَالَتِهِمْ عَلَى رُؤُوسِ التُّلُوفِ وَالرُّوَالِي وَالسُّلْطَانُ وَاقِفٌ فِي
طَلَبِهِ وَالنَّاسُ يَجْتَنِبُونَ عَلَيْهِ حَتَّى أَتَتِ الْعَسَاكِرُ بِأَسْرِهَا وَخَافَ الْعَدُوُّ أَنْ
يَكُونَ فِي الشُّعْرَاءِ الْكَاذِبِينَ. فَتَرَا جَعُوا يَطْلُبُونَ الْمَنْزِلَةَ وَعَادَ السُّلْطَانُ إِلَى
تَلٍّ فِي أَوَائِلِ الشُّعْرَاءِ وَنَزَلَ عَلَيْهِ فِي خِيَمَتِهِ. وَلَقَدْ كُنْتُ فِي خِدْمَتِهِ أَسْلِيهِ
وَهُوَ لَا يَقْبَلُ السُّلُوفَ وَظَلَّلَ عَلَيْهِ بِسَيْدِيلٍ وَسَأَلَنَاهُ أَنْ يَطْعَمَ شَيْئًا فَأَحْضَرَ
لَهُ شَيْءًا لَطِيفًا فَتَنَاوَلَ مِنْهُ شَيْئًا يَسِيرًا وَبَعَثَ النَّاسُ خِيَلَهُمُ لِلسَّفَى فَإِنْ
الْمَكَانَ كَانَ بَعِيدًا وَجَلَسَ يَنْتَظِرُ النَّاسَ مِنَ الْعَوْدِ مِنَ السَّفَى وَالتَّجَرَّحَى
يَحْضُرُونَ بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُوَ يَتَقَدَّمُ بِمِدَاوِلَتِهِمْ وَحَمْلِهِمْ وَقُتِلَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ
رَجَالُهُ كَثِيرَةٌ وَجُرِحَ مِنَ الطَّائِفَتَيْنِ. وَكَانَ مِنْ ثَبَتِ الْمَلِكِ الْعَادِلِ
وَالطَّوَّاشِي فَأَيَّامَ التَّجَبُّي وَالْمَلِكِ الْآفَضَلُ وَلَكِنَّهُ وَصِدِمَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ
وَاتَّقَعَ دُمْلٌ كَانَ فِي وَجْهِهِ وَسَالَ مِنْهُ دَمٌ كَثِيرٌ عَلَى وَجْهِهِ وَهُوَ صَابِرٌ
مُخْتَسِبٌ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ. وَثَبَتَ أَيْضًا طَلَبُ الْمُوصِلِيِّ وَمَقْدَمُهُ عَلَاءُ الدِّينِ
وَشَكَرَهُ السُّلْطَانُ عَلَى ذَلِكَ وَتَقَدَّمَ النَّاسُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا فَوَجَدُوا قَدِ
اسْتَشْهَدَ جَمَاعَةٌ مِنَ الْعَسْكَرِ عُرِفَ مِنْهُمْ أَمِيرٌ كَبِيرٌ مُوسَى. وَكَانَ تُجَاعًا
مَعْرُوفًا وَقَايَمَ الْعَادِلِيُّ وَكَانَ مَذْكَورًا وَلَيْغُوشُ وَكَانَ تُجَاعًا. وَجُرِحَ
خَلْقٌ كَثِيرٌ وَخُبُولٌ كَثِيرٌ. وَقُتِلَ مِنَ الْعَدُوِّ جَمَاعَةٌ وَأَسِرَ وَاحِدٌ فَأَحْضَرَ
فَأَمَرَ بِضَرْبِ عُنُقِهِ وَأُخِذَتْ مِنْهُمْ خُبُولٌ أَرْبَعَةٌ. وَكَانَ قَدْ تَقَدَّمَ رَحِمُهُ
إِلَى التَّلِّ أَنْ يَسِيرَ إِلَى الْعُوجَاءِ فَاسْتَأْذَنَتْهُ وَتَقَدَّمَتْهُ إِلَى الْمَنْزِلِ وَجَلَسَ
هُوَ يَنْتَظِرُ أَجْمَاعَ الْعَسَاكِرِ وَمَا يَرُدُّ مِنْ أَخْبَارِ الْعَدُوِّ. وَكَانَ الْعَدُوُّ قَدْ
نَزَلَ عَلَى أَرْسُوفٍ

الْمَنْزِلُ التَّاسِعُ: وَسَرَتْ بَعْدَ صَلَاةِ الظُّهْرِ حَتَّى أَتَيْتُ الثَّقَلَ وَقَدْ نَزَلَ
فَاطَعَ النَّهْرَ الْمَعْرُوفَ بِالْعُوجَاءِ فِي مَنَزِلِهِ خَضْرَاءَ طَيِّبَةٍ عَلَى جَانِبِ النَّهْرِ
وَوَصَلَ السُّلْطَانُ إِلَى الْمَنَزِلَةِ أَوَّخِرَ النَّهَارِ. وَازْدَحَمَ النَّاسُ عَلَى الْفَنَطْرِ.
فَنَزَلَ عَلَى نَلٍ مُشْرِفٍ عَلَى النَّهْرِ وَلَمْ يَبْعُدْ إِلَى الْخَيْمَةِ وَأَمَرَ أَتْجَاوِشَ أَنْ
يُنَادِيَ فِي الْعَسْكَرِ بِالْعُبُورِ إِلَيْهِ. وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مِنَ الْوَقْعَةِ أَمْرٌ لَا يَعْلَمُهُ
إِلَّا اللَّهُ وَالنَّاسُ بَيْنَ جَرِيحِ الْجَسَدِ وَجَرِيحِ الْقَلْبِ. وَأَقَامَ السُّلْطَانُ إِلَى
مُخْرَجِ الْخَامِيسَ عَشَرَ وَدُقَّ الْكُوسُ وَرَكِبَ النَّاسُ وَسَارَ رَاجِعًا إِلَى جِهَةِ
الْعَدُوِّ حَتَّى وَصَلَ إِلَى قَرِيبِ أَرْسُوفَ وَصَفَّ الْأَطْلَابُ لِلْقِتَالِ رَجَاءً
خُرُوجِ الْعَدُوِّ وَمَسِيرِهِ حَتَّى بُصَادِفُهُ. فَلَمْ يَرَحِلِ الْعَدُوُّ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ
لِمَا نَالَهُمْ مِنَ النَّعْبِ وَأَقَامَ قُبَاهُمْ إِلَى آخِرِ النَّهَارِ وَعَادَ إِلَى مَنَزِلِهِ الَّتِي بَاتَ
بِهَا. وَلَمَّا كَانَ صَبِيحَةُ السَّادِسَ عَشَرَ دُقَّ الْكُوسُ وَرَكِبَ النَّاسُ
وَسَارَ نَحْوَهُمْ وَوَصَلَ خَبَرُ الْعَدُوِّ أَنَّهُ قَدْ رَحَلَ طَالِبًا جِهَةَ يَاقَا قَفَّارِهِمْ
مُقَارَبَةً عَظِيمَةً وَرَتَّبَ الْأَطْلَابُ تَرْتِيبَ الْقِتَالِ وَأَخْرَجَ أَتْجَاوِشَ وَأَحْدَقَ
الْعَسْكَرَ الْإِسْلَامِيَّ بِالْقَوْمِ وَالْفَوْاءُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّشَابِ مَا كَادَ يَسُدُّ الْأَفْقَ
وَقَاتَلَهُمْ قُلُوبُهُمْ قِتَالٍ أَلْحَنِي وَقَصَدَ رَحِمَهُ اللَّهُ تَحْرِيكَ عَزَائِهِمْ عَلَى الْحِمْلَةِ
حَتَّى إِذَا جَاحَلُوا أَلْفَى النَّاسَ عَلَيْهِمْ وَيُعْطِي اللَّهُ النَّصْرَ لِمَنْ يَشَاءُ. فَلَمْ يَجْهَلُوا
وَحَفِظُوا نَفْسَهُمْ وَسَارُوا مُصْطَفِينَ عَلَى عَادَتِهِمْ حَتَّى أَتَوْا نَهْرَ الْعُوجَاءِ وَهُوَ
النَّهْرُ الَّذِي مَنَزِلَتُنَا أَعْلَاهُ. فَتَنَزَّلَ فِي أَسْفَلِهِ وَعَبَّرَ بَعْضُهُمْ إِلَى غَرْبِي النَّهْرِ
وَأَقَامَ الْبَاقُونَ مِنَ الْأَجَانِبِ الشَّرْقِيِّ. فَلَمَّا عَلِمَ النَّاسُ يَنْزُولَهُمْ تَرَجَّعَ النَّاسُ
عَنْهُمْ وَعَادَ السُّلْطَانُ إِلَى الثَّقَلِ وَنَزَلَ فِي خَيْمَتِهِ وَأُطِيعَ الطَّعَامُ وَالنَّيْبُ

بَارَبَعَةٍ مِنَ الْإِفْرِنجِ قَدْ أَخَذَتْهُمُ الْعَرَبُ وَمَعَهُمُ امْرَأَةٌ قَرُبُوعًا إِلَى
الزَّرْدَخَانَةِ وَأَقَامَ بَقِيَّةَ ذَلِكَ الْيَوْمِ يَكْتُبُ الْكُتُبَ إِلَى الْأَطْرَافِ بِاسْتِخْصَارِ
بَقِيَّةِ الْعَسَاكِرِ وَحَضَرَ مَنْ أَخْبَرَهُ أَنَّهُ قُتِلَ مِنَ الْعَدُوِّ يَوْمَ أَرْسُوفَ خَيْلٌ
كَثِيرَةٌ وَأَنَّهُ تَسَبَّحَ الْعَرَبُ وَعَدُّوْهَا وَزَادَتْ عَلَى مِثْلِهِ وَأَمَرَ السُّلْطَانُ أَنْ
تَرْحَلَ الْأَحْمَالُ وَتَتَقَدَّمَ إِلَى الرَّمْلَةِ وَبَاتَ هُوَ يَتْلُو الْمُنْزِلَةَ

الْمُنْزِلُ الْعَاشِرُ: وَلَمَّا كَانَ سَاعَ عَشْرِ صُلَى الصُّبْحِ وَرَحَلَ وَرَحَلَ مَعَهُ
الثَّقَلُ الصَّغِيرُ وَسَارَ يُرِيدُ الرَّمْلَةَ وَأَتَى يَائِثِينَ مِنَ الْإِفْرِنجِ فَأَمَرَ بِضَرْبِ
أَعْنَاقِهَا. وَوَصَلَ مِنَ الْبِزَكِ مَنْ أَخْبَرَ أَنَّ الْعَدُوَّ رَحَلَ مِنْ يَافَا. وَسَارَ
السُّلْطَانُ إِلَى أَنْ أَتَى الرَّمْلَةَ وَأَتَى يَائِثِينَ مِنَ الْإِفْرِنجِ أَيْضًا. فَسَأَلَهَا عَنْ
أَحْوَالِهِمْ. فَذَكَرُوا أَنَّهُمْ رُبَّمَا أَقَامُوا يَافَا أَيَّامًا وَفِي أَنْفُسِهِمْ عِارُهَا وَاشْتَاؤها
بِالرِّجَالِ وَالْعَدِيدِ. وَأَخْضَرَ السُّلْطَانُ أَرْبَابَ مَشُورَتِهِ وَشَاوَرَهُمْ فِي أَمْرِ
عَسَلَانَ وَهَلْ إِنَّهَا تُخَرَّبُ أَوْ تَبْقَى. وَاتَّفَقَ الرَّأْيُ عَلَى أَنْ يَخْلَفَ الْمَلِكُ
الْعَادِلُ وَمَعَهُ طَائِفَةٌ مِنَ الْعَسْكَرِ مُقَارِبَ الْعَدُوِّ لِيَعْرِفَ أَحْوَالَهُمْ وَأَنْصَالَهُمَا
وَأَنْ يَسِيرَ هُوَ وَيُخَرَّبَ عَسَلَانَ خَشْيَةً أَنْ يَسْتَوِلِيَ عَلَيْهَا الْإِفْرِنجُ وَهِيَ
عَامِرَةٌ قَبْلَ قَتْلِهِمْ مَنْ يَهَامُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَيَأْخُذُوا بِهَا الْقُدْسَ الشَّرِيفَ
وَيَقْطَعُونَ بِهَا طَرِيقَ مِصْرَ وَخَشِيَ السُّلْطَانُ مِنْ ذَلِكَ وَعَلِمَ عِجْزَ الْمُسْلِمِينَ
عَنْ حِفْظِهَا لِتُقَرَّبَ عَهْدُهُمْ مِنْ عَدَاوَةٍ جَرَى عَلَى مَنْ كَانَ مُقِيمًا بِهَا. فَتَعَيَّنَ
لِذَلِكَ خَرَابُ عَسَلَانَ. فَسَارَ الثَّقَلُ مِنْ أَوَّلِ اللَّيْلِ. وَتَقَدَّمَ إِلَى وَلِيِّ
الْمَلِكِ الْأَفْضَلِ أَنْ سَارَ عَقِيبَ الثَّقَلِ نِصْفَ اللَّيْلِ وَسَارَ هُوَ وَأَتَا فِي
خِدْمَتِهِ سَحْرَةَ الْأَرْبَعَاءِ

الْمَنْزِلُ الْحَادِي عَشَرَ وَهُوَ عَلَى عَسْقلَانَ: وَلَمَّا كَانَ يَوْمُ الْأَرْبَعَاءِ ثَامِنِ
عَشَرَ الشَّهْرِ وَصَلَ السُّلْطَانُ إِلَى بَيْتِ قَنْزَلٍ بِهَا وَضَحَّى وَأَخَذَ النَّاسُ رَاحَةً.
ثُمَّ رَحَلَ وَسَارَ حَتَّى أَتَى أَرْضَ عَسْقلَانَ وَقَدْ ضُرِبَتْ خَبِيئَتُهُ بَعِيدًا مِنْهَا.
فَبَاتَ هُنَاكَ مَهْمُومًا بِسَبَبِ الْخُرَابِ وَمَا نَامَ إِلَّا قَلِيلًا. وَلَقَدْ دَعَانِي فِي
خِدْمَتِهِ سَحْرًا وَكُنْتُ فَارَقْتُ خِدْمَتَهُ بَعْدَ مُضِيِّ نِصْفِ اللَّيْلِ. فَحَضَرْتُ
وَبَدَأَ بِالتَّحْدِيثِ فِي مَعْنَى خُرَابِهَا وَأَحْضَرَوْكَ الْمَلِكُ الْأَفْضَلَ وَشَاوَرَهُ فِي
ذَلِكَ وَطَالَ التَّحْدِيثُ فِي الْمَعْنَى وَلَقَدْ قَالَ لِي: وَاللَّهِ لَأَنْ أَفِيدَ أَوْلَادِي بِهِ
يَأْسِرُهُمْ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَهْدِيَهُمْ مِنْهَا جَبْرًا وَاحِدًا وَلَكِنْ إِذَا قَضَى اللَّهُ ذَلِكَ
وَفِيهِ دَعْوَتُهُ لِحِفْظِ مَصْلَحَةِ الْمُسْلِمِينَ. ثُمَّ اسْتَخَارَ اللَّهَ تَعَالَى فَأَوْفَعَ اللَّهُ فِي
نَفْسِهِ أَنَّ الْمَصْلَحَةَ فِي خُرَابِهَا لِعِزِّ الْمُسْلِمِينَ عَنْ حِفْظِهَا. فَاسْتَخَضَرَ الْوَالِي
قَبْصَرِيَّهَا وَهُوَ مِنْ كِبَارِ مَالِكِيهِ وَكُتُبِي الْأَرَآءِ مِنْهُمْ فَأَمَرَ بِجَمْعِ الْفَعْلَةِ
فِيهَا. وَلَقَدْ رَأَيْتُهُ وَقَدْ أَجْنَزَ بِالسُّوقِ وَالْوَطَافِ بِنَفْسِهِ مُسْتَفِزًّا النَّاسَ
لِلْخُرَابِ. وَقَسَمَ السُّورَ عَلَى النَّاسِ وَجَعَلَ لِكُلِّ أَمِيرٍ وَطَائِفَةٍ مِنَ الْعَسْكَرِ
بُرْجًا مَعْلُومًا بِخُرْبُونِهِ. وَدَخَلَ النَّاسُ الْبَلَدَ وَوَقَعَ فِيهِ الضَّجِيجُ وَالْبُهْكَاءُ
وَكَانَ بَلَدًا خَفِيفًا عَلَى الْقَلْبِ مُحْكَمَ الْأَسْوَارِ عَظِيمَ الْبِنَاءِ مَرْغُوبًا فِي سَكْنَتِهِ
فَلَحِقَ النَّاسَ عَلَيْهِ حُزْنٌ عَظِيمٌ وَعَظُمَ غَوِيلُ أَهْلِهِ عَلَى مُفَارَقَةِ أَوْطَانِهِمْ
وَشَرَعُوا فِي بَيْعِ مَا لَا بُدَّ مِنْ حَمْلِهِ وَبَيْعِ مَا بَسُوهُ عَشْرَةَ دَرَاهِمَ بِدِرْهَمٍ
وَاحِدٍ وَاخْتَبَطَ الْبَلَدَ وَخَرَجَ أَهْلُهُ إِلَى الْعَسْكَرِ بِذَرَارِيهِمْ وَنِسَائِهِمْ خَشِبَةً
أَنْ يَفْهَمُوا إِلَّا فَرَجًا وَبَدَّلُوا فِي الْكِرَاءِ أَضْعَافَ مَا بَسُوهُ. قَوْمٌ إِلَى مِصْرَ
وَقَوْمٌ إِلَى الشَّامِ وَقَوْمٌ يَمْشُونَ. وَجَرَتْ أُمُورٌ عَظِيمَةٌ وَفِتْنَةٌ هَائِلَةٌ

لَعَلَّهَا لَمْ تَخْصَ بِالَّذِينَ ظَلَمُوا. وَكَانَ هُوَ بِنَفْسِهِ وَوَلَدَهُ الْمَلِكُ الْأَفْضَلُ
يَسْتَعْمِلَانِ النَّاسَ فِي الْأَحْرَابِ وَالْحُكْمِ عَلَيْهِ خَشْيَةٌ أَنْ يَسْمَعَ الْعَدُوَّ فَيَحْضُرَ
وَلَا يُبْكَزَ مِنْ خَرَابِهَا. وَبَاتَ النَّاسُ فِي الْحَجِيمِ عَلَى أَمَمٍ حَالٍ مِنَ النَّعْبِ
وَالنَّصَبِ. وَفِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ وَصَلَ مِنْ جَانِبِ الْمَلِكِ الْعَادِلِ مَنْ أَخْبَرَ أَنَّ
الْإِفْرِنجَ تَحَدَّثُوا مَعَهُ فِي السُّلْطَانِ وَأَنَّهُ خَرَجَ إِلَيْهِ أَنْ يَنْهَضَ وَتَحَدَّثَ
مَعَهُ وَأَنَّهُ طَلَبَ جَمِيعَ الْبِلَادِ السَّاحِلِيَّةِ. فَرَأَى السُّلْطَانُ أَنَّ ذَلِكَ مُضِلَّةٌ
لِمَا رَأَى فِي أَنْفُسِ النَّاسِ مِنَ الضُّعْفِ وَالسَّامَةِ مِنَ الْقِتَالِ وَالْمَصَابِقِ وَكَثَرِ
مَا عَلَانَهُ مِنَ الدُّيُونِ. وَكَتَبَ إِلَيْهِ يَسْخُ فِي الْحَدِيثِ فِي ذَلِكَ. وَقُرِضَ
أَمْرُ ذَلِكَ إِلَى رَأْيِهِ وَأَصْبَحَ الْعِشْرِينَ عَلَى الْإِضْرَارِ عَلَى الْأَحْرَابِ وَاسْتَعَالَ
النَّاسُ فِيهِ وَخَشِمَ عَلَيْهِ وَأَبَاحَهُمُ الْهَرِي الَّذِي كَانَ دَخِيرَةً فِي الْبَلَدِ لِلْعَجَزِ
عَنْ نَقْلِهِ وَضَعْفِ الْوَقْتِ وَالْخَوْفِ مِنْ هُجُومِ الْإِفْرِنجِ. وَأَمَرَ بِمَجْرِي الْبَلَدِ
فَأُضْرِمَتِ النَّارُ فِي بُيُوتِهِ وَأَذْوَارِهِ وَرَقَضَ أَهْلُهُ بُوَابِي أَفْئِسْتِهِ لِلْعَجَزِ عَنْ
نَقْلِهَا وَالْأَخْبَارُ تَتَوَاتَرُ مِنْ جَانِبِ الْعَدُوِّ بِعَارَةِ بَاقَا. وَكَتَبَ الْمَلِكُ الْعَادِلُ
يُخَيِّرُ أَنَّ الْقَوْمَ لَمْ يَعْلَمُوا بِخَرَابِ الْبَلَدِ فَأَجَابَهُ أَنْ سَوِيَ الْقَوْمَ وَطَوَّلَ
الْحَدِيثَ لَعَلَّنَا تَتِمَّكَ مِنْ الْأَحْرَابِ وَأَمَرَ بِمَحْشُورِ الْبَلَدِ بِالْأَخْطَابِ
وَأَنْ تُحْرَقَ وَأَصْبَحَ الْإِحَادِي وَالْعِشْرِينَ رَكِبَ بَحْثُ النَّاسِ وَدَامَ يَسْتَعْمِلُهُمْ عَلَى
الْخَرْبِ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ بِنَفْسِهِ حَتَّى الْتَأَمَّ مِزَاجُهُ الْيَبَانَا قَرِيبًا أَمْتَعَ بِسَبِيهِ
مِنَ الرُّكُوبِ وَالْعِدَاةِ هَوَمِينَ. وَأَخْبَارُ الْعَدُوِّ تَتَوَاصَلُ إِلَيْهِ فِي كُلِّ وَقْتٍ
وَيَجْرِي بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْبَزْكِ وَالْعُسْكَرِ وَقَعَاتٌ وَقَلَبَاتٌ وَهُوَ يُوَاطِبُ عَلَى
الْحُكْمِ عَلَى الْأَحْرَابِ وَنَقَلَ الثَّقَلَ إِلَى قَرِيبِ الْبَلَدِ لِيُعَاوَنَ الْعِلْمَانُ وَالْحَمَلُونَ

وَعَبَّرَهُمْ فِي ذَلِكَ . فَخَرِبَ مِنَ السُّورِ مُعْظَمُهُ وَكَانَ عَظِيمَ الْبِنَاءِ يَحْتِثُ
 أَنَّهُ كَانَ عَرْضُهُ فِي مَوَاضِعَ تِسْعَةِ أَذْرُعٍ وَفِي مَوَاضِعَ عَشْرَةِ أَذْرُعٍ . ذَكَرَ
 بَعْضُ التَّجَارِبِينَ لِلسُّلْطَانِ وَأَنَا حَاضِرٌ أَنَّ عَرْضَ السُّورِ الَّذِي يَقْبُونَهُ
 فِيهِ مِقْدَارُ رُغْمٍ . وَلَمْ يَزَلِ الْخَرَابُ وَالْحَرِيقُ يَعْمَلُ فِي الْبَلَدِ وَأَسْوَرِهِ إِلَى
 سَلْحِ شَعْبَانَ . وَعِنْدَ ذَلِكَ وَصَلَ مِنْ جَرْدِكَ كِتَابٌ يَذْكُرُ فِيهِ أَنَّ الْقَوْمَ
 يَنْتَقِصُونَ وَصَارُوا يَخْرُجُونَ مِنْ يَافَا بِغَارُونَ عَلَى الْبِلَادِ الْقَرِيبَةِ مِنْهَا .
 وَتَحَرَّكَ السُّلْطَانُ لَعَلَّهُ يَبْلُغُ مِنْهُمْ غَرَضًا فِي غَرَّتِهِمْ . فَعَزَمَ عَلَى الرَّحِيلِ
 وَعَلَى أَنْ يُخْلِفَ فِي عَسْكَانِ حَجَّارِينَ وَمَعَهُمْ خَيْلٌ مُجَمِّمٌ وَبَسْتَقُصُونُهُمْ فِي
 الْخَرَابِ . فَرَأَى أَنْ يَتَأَخَّرَ يَحْتِثُ أَنْ يُحْرِقَ الْبُرْجَ الْمَعْرُوفُ بِالْأَسْتَبَارِ .
 وَكَانَ بَرَجًا عَظِيمًا مُشْرِفًا عَلَى الْبَحْرِ كَالْقَلْعَةِ الْمُبِينَةِ . وَلَقَدْ دَخَلَتْهُ وَعُظِفَتْهُ
 فَرَأَيْتُ بِنَاءَهُ أَحْكَمَ بِنَاءٍ يَعْرِضُ أَنْ يَكُونَ لَا يَعْمَلُ فِيهِ الْمَعَاوِلُ . وَإِنَّمَا أَرَادَ
 أَنْ يُحْرِقُوهُ حَتَّى يَنْفَى بِالْحَرِيقِ قَائِلًا لِلْخَرَابِ . وَأَصْبَحَ مُسْنَهَلٌ رَمَضَانَ أَمَرَ
 وَلَدَهُ الْمَلِكَ الْأَفْضَلَ أَنْ يَبْشُرَ ذَلِكَ بِنَفْسِهِ وَخَوَاصِهِ . وَلَقَدْ رَأَيْتُهُ يُجْمِلُ
 الْخَشَبَ هُوَ وَخَوَاصُهُ لِحَرِيقِ الْبُرْجِ . وَلَمْ يَزَلِ النَّاسُ يَقْتُلُونَ الْخَشَبَ
 وَيَحْشُونَهُ فِي الْبُرْجِ حَتَّى امْتَلَأَتْ أَطْلِفَتُ فِيهِ النَّارُ فَاشْتَعَلَ الْخَشَبُ وَبَقِيَ
 النَّارُ تَشْعَلُ فِيهِ يَوْمَيْنِ بِلَيْلَتَيْهَا . ثُمَّ رَحَلَ السُّلْطَانُ ثَانِي رَمَضَانَ نِصْفَ
 اللَّيْلِ خَشْبَةً عَلَى مِزَاجِهِ مِنَ الْحَرِّ وَوَصَلَ بِنِصَاحِي النَّهَارِ وَبَاتَ فِي تِلْكَ
 الْمَنْزِلَةِ وَأَصْبَحَ ثَالِثَ الشَّهْرِ رَاحِلًا إِلَى جِهَةِ الرَّمْلَةِ

مِنْ كِتَابِ التَّارِخِ لِأَبِي الْفِدَاءِ

الْمَعْرُوفِ بِصَاحِبِ حِمَاةَ

ذِكْرُ وَفَاةِ نُورِ الدِّينِ وَمَا كَانَ لَهُ مِنَ الصِّنَاتِ

فِي سَنَةِ نِسْعٍ وَسِتِّينَ وَخَمْسِمِائَةٍ نُوفِي الْمَلِكُ الْعَادِلُ نُورُ الدِّينِ بْنُ
مُحَمَّدٍ بْنِ عِمَادِ الدِّينِ زَنْكِي بْنِ أَفْسَنْتَرٍ صَاحِبُ الشَّامِ وَدِيَارِ الْحَزِينِ
وَعَبْدُ ذَلِكَ يَوْمَ الْأَرْبَعَاءِ حَادِي عَشَرَ شَوَّالٍ بَعْلَةُ الْخَوَانِقِ بِقَلْعَةِ دِمَشْقَ
الْخُرُوسَةِ. وَكَانَ نُورُ الدِّينِ قَدْ شَرَعَ بِتَجْهِيْزِ الدُّخُولِ إِلَى مِصْرَ لِأَخْذِهَا مِنْ
صَلَاحِ الدِّينِ وَكَانَ يُرِيدُ أَنْ يَجْلِيَ ابْنُ أَخِيهِ سَيْفَ الدِّينِ غَازِي بَنَ
مَوْدُودٍ فِي الشَّامِ قُبَالَةَ الْفَرَنْجِ وَيَسِيرَ هُوَ بِنَفْسِهِ إِلَى مِصْرَ. فَأَنَاهُ أَمْرُ اللَّهِ
الَّذِي لَا مَرَدَّ لَهُ. وَكَانَ نُورُ الدِّينِ أَسْمَرَ طَوِيلَ الْقَامَةِ لَيْسَ لَهُ لِحْيَةٌ إِلَّا
فِي حَنَكِهِ حَسَنَ الصُّورَةِ. وَكَانَ قَدْ اتَّسَعَ مُلْكُهُ جِدًّا وَخُطِبَ لَهُ بِالْحَرَمَيْنِ
وَأَلْيَمَنِ لَهَا مُلْكُهَا ثَوْرَانُ شَاهُ بْنُ أَيُّوبَ وَكَذَلِكَ كَانَ يُخْطَبُ لَهُ بِمِصْرَ.
وَكَانَ مَوْلِدُ نُورِ الدِّينِ سَنَةِ إِحْدَى عَشَرَ وَخَمْسِمِائَةٍ وَطَبَّقَ ذِكْرُهُ الْأَرْضَ
لِحُسْنِ سِيرَتِهِ وَعَدْلِهِ وَكَانَ مِنَ الزُّهْدِ وَالْعِبَادَةِ عَلَى قَدَمٍ عَظِيمٍ وَكَانَ
بُصْلَى كَثِيرٍ مِنَ اللَّيْلِ وَكَانَ كَافِيًا

جَمَعَ الشُّجَاعَةَ وَالْخُشُوعَ لِرَبِّهِ مَا أَحْسَنَ الْخُرَابَ فِي الْخُرَابِ

وَكَانَ عَازِفًا بِالْفَتْحِ عَلَى مَذْهَبِ الْإِمَامِ أَبِي حَنِيفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَلَيْسَ
عِنْدَهُ تَعَصُّبٌ وَهُوَ الَّذِي بَنَى أَسْوَارَ مَدِينِ الشَّامِ مِنْهَا دِمَشْقُ وَحِصْنُ
وَحِمَاةَ وَحَلَبُ وَشَيْبَزُ وَبَعْلَمَلُكُ وَغَيْرُهَا لَهَا تَهْدُتُ بِالزَّلَازِلِ وَبَنَى الْمَدَارِسَ

الْكثِيرَةَ الْخَفِيَّةَ وَالشَّافِعِيَّةَ وَلَا يَجْنِبُ هَذَا الْخُصْرُ ذِكْرَ قَضَائِهِ
وَلَمَّا تَوَفَّى نُورُ الدِّينِ قَامَ ابْنُهُ الْمَلِكُ الصَّالِحُ إِسْمَاعِيلُ بْنُ نُورِ الدِّينِ
مُحَمَّدٍ بِالْمَلِكِ بَعْدَهُ وَعُمُرُهُ إِحْدَى عَشْرَةَ سَنَةً وَحَلَفَ لَهُ الْعَسْكَرُ بِدِمَشْقَ
وَأَقَامَ بِهَا وَأَطَاعَهُ صَاحِبُ الدِّينِ بِبُضْرَ وَخُطِبَ لَهُ بِهَا وَضُرِبَتِ السِّكَّةُ
بِاسْمِهِ . وَكَانَ الْمُتَوَلَّى لِتَنْذِيرِ الْمَلِكِ الصَّالِحِ وَتَنْذِيرِ دَوْلَتِهِ الْأَمِيرَ شَمْسَ
الدِّينِ مُحَمَّدًا الْمَعْرُوفَ بِابْنِ الْمَقْدَمِ . وَلَمَّا مَاتَ نُورُ الدِّينِ وَمَلَكَ ابْنُهُ
الْمَلِكُ الصَّالِحُ سَارَ مِنَ الْمَوْصِلِ سَيْفُ الدِّينِ غَارِي بِنِ فُطْبِ الدِّينِ
مَوْدُودِ بْنِ عِمَادِ الدِّينِ زَنْكِي وَمَلَكَ جَمِيعَ الْبِلَادِ الْجَزِيرَةِ (الجزرية)
ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ سَبْعِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ . وَفِي أَوَّلِ هَذِهِ السَّنَةِ اجْتَمَعَ عَلَى
رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الصَّعِيدِ يُقَالُ لَهُ الْكَثْرُ جَمْعٌ كَثِيرٌ وَأَظْهَرَ الْخِلَافَ
عَلَى صَاحِبِ الدِّينِ فَأَرْسَلَ صَاحِبُ الدِّينِ إِلَيْهِ عَسْكَرًا فَاقْتُلُوا وَقَتِلَ الْكَثْرُ
وَجَمَاعَةٌ مَعَهُ وَأَنْهَزَمَ الْبَاقُونَ

ذِكْرُ مَلِكِ صَاحِبِ الدِّينِ دِمَشْقَ وَغَيْرَهَا

فِي هَذِهِ السَّنَةِ سَلَخَ رَبِيعَ الْأَوَّلِ مَلِكُ صَاحِبِ الدِّينِ يُوسُفُ بْنُ أَيُّوبَ
دِمَشْقَ وَخِمَصَ وَحِمَاةَ . وَسَبَبُهُ أَنَّ شَمْسَ الدِّينِ ابْنَ الدَّائِيَةِ الْمُتِمِّمَ حَلَبَ
أَرْسَلَ سَعْدَ الدِّينِ كَمَشْتِكِينَ بِسَنَدِ عِي الْمَلِكِ الصَّالِحِ ابْنَ نُورِ الدِّينِ
مِنْ دِمَشْقَ إِلَى حَلَبَ لِيَكُونَ مُقَامَهُ بِهَا . فَسَارَ الْمَلِكُ الصَّالِحُ إِلَى حَلَبَ
مَعَ سَعْدِ الدِّينِ كَمَشْتِكِينَ . وَلَمَّا اسْتَفْرَجَ حَلَبَ وَتَمَكَّنَ كَمَشْتِكِينَ قَبَضَ
عَلَى شَمْسِ الدِّينِ ابْنِ الدَّائِيَةِ وَإِخْوَتِهِ وَقَبَضَ عَلَى الرَّئِيسِ ابْنِ الْخُشَّابِ
وَإِخْوَتِهِ وَهُوَ رِئِيسُ حَلَبَ وَأَسْبَدَّ سَعْدُ الدِّينِ بِتَنْذِيرِ الْمَلِكِ الصَّالِحِ

فَخَافَهُ ابْنُ الْمَقْدَمِ وَعَيْنٌ مِنَ الْأُمَرَاءِ الَّذِينَ بِدِمَشْقَ . فَكَاتَبُوا صَلَاحَ الدِّينِ
وَأَسْتَدْعَوْهُ لِيُحْكِمَهُ عَلَيْهِمْ . فَسَارَ جُرَيْدٌ فِي سَبْعِ وَائَةِ فَارِسٍ وَلَمْ يَلْبَثْ
وَوَصَلَ إِلَى دِمَشْقَ فَخَرَجَ كُلُّ مَنْ كَانَ بِهَا مِنَ الْعَسْكَرِ وَالْتَفَوْهُ وَخَدَمُوهُ
وَنَزَلَ بِدَارٍ وَإِلَيْهِ أَيُّوبُ الْمَعْرُوفَةُ بِدَارِ الْعَفِيفِي وَعَصَتْ عَلَيْهِ الْقَلْعَةُ . وَكَانَ
فِيهَا مِنْ جِهَةِ الْمَلِكِ الصَّالِحِ خَادِمٌ أَسْمُهُ رَيْحَانُ . فَرَأَسَلَهُ صَلَاحُ الدِّينِ
وَأَسْتَمَالَهُ فَسَلَّمَ الْقَلْعَةَ إِلَيْهِ . فَصَعِدَ إِلَيْهِمْ صَلَاحُ الدِّينِ وَأَخَذَ مَا فِيهَا مِنْ
الْأَمْوَالِ . وَلَمَّا ثَبَتَ قَدَمَهُ وَقَرَّرَ أَمْرَ دِمَشْقَ اسْتَخْلَفَ بِهَا أَخَاهُ سَيْفَ
الْإِسْلَامِ طَغْتِكِينَ بْنِ أَيُّوبَ وَسَارَ إِلَى خِصَصٍ مُسْنَهَلٍ جَادَى الْأُولَى
وَكَانَتْ خِصَصٌ وَحَاةٌ وَقَلْعَةٌ بَارِينَ وَسَلِيمَةٌ وَكُلُّ خَالِدٍ وَالرُّهَامِينَ بَلَدٍ
الْجَزِيرَةِ فِي أَقْطَاعِ فَخْرِ الدِّينِ مَسْعُودِ بْنِ الزُّعْفَرَانِي . فَلَمَّا مَاتَ نُورُ الدِّينِ
لَمْ يُبَكِّنْ فَخْرُ الدِّينِ مَسْعُودَ الْمَقَامِ بِمَحْضِ وَحَاةٍ لِسُوِّ سِيرَتِهِ مَعَ النَّاسِ
وَكَانَتْ هَذِهِ الْبِلَادُ لَهُ بِغَيْرِ فَلَاعِيهَا . فَإِنَّ فَلَاعِيهَا فِيهَا وَلَاةُ لِنُورِ الدِّينِ وَلَيْسَ
لِغَيْرِ الدِّينِ مَعَهُمْ فِي الْفَلَاكِ حُكْمٌ إِلَّا بَارِينَ فَإِنَّ قَلْعَتَهَا كَانَتْ لَهُ أَيْضًا .
وَنَزَلَ صَلَاحُ الدِّينِ عَلَى خِصَصٍ فِي حَادِي عَشَرَ جَادَى الْأُولَى وَمَلَكَ
الْمَدِينَةَ وَعَصَتْ عَلَيْهِ الْقَلْعَةُ . فَتَزَلَّ عَلَيْهِمَا مَنْ يُضَيِّقُ عَلَيْهِمَا وَرَحَلَ إِلَى حَاةٍ
فَهَلَكَ مَدِينَتَهَا مُسْنَهَلٌ جَادَى الْآخِرَةِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ . وَكَانَ يَقْلَعُهَا الْأَبِيرُ
عِزُّ الدِّينِ جُرَيْدُكَ أَحَدُ الْمَمَالِكِ النُّورِيَّةِ . فَامْتَنَعَ فِي الْقَلْعَةِ فَذَكَرَ لَهُ
صَلَاحُ الدِّينِ أَنَّهُ لَيْسَ لَهُ غَرَضٌ إِلَّا حِفْظُ بِلَادِ الْمَلِكِ الصَّالِحِ عَلَيْهِ وَآثِمًا
هُوَ نَائِبُهُ وَقَصْدُهُ مِنْ جُرَيْدِكَ الْمَسِيرُ إِلَى حَلَبَ فِي رِسَالَةٍ فَاسْتَخْلَفَهُ جُرَيْدُكَ
عَلَى ذَلِكَ . وَسَارَ جُرَيْدُكَ إِلَى حَلَبَ بِرِسَالَةِ صَلَاحِ الدِّينِ وَاسْتَخْلَفَ فِي

فَلَمَّا حَمَاهُ أَخَاهُ. فَلَمَّا وَصَلَ جُرَيْدُكَ إِلَى حَلَبَ قَبِضَ عَلَيْهِ كَمَشْتِكِينَ
وَوَجَّهَهُ. فَلَمَّا عَلِمَ أَخُوهُ بِذَلِكَ سَلَّمَ الْقَلْعَةَ إِلَى صَالِحِ الدِّينِ فَمَلَكَهَا
ثُمَّ سَارَ صَالِحُ الدِّينِ إِلَى حَلَبَ وَحَصَرَهَا وَبِهَا الْمَلِكُ الصَّالِحُ. فَجَمَعَ
أَهْلَ حَلَبَ وَقَاتَلُوا صَالِحَ الدِّينِ وَصَدُّوهُ عَنْ حَلَبَ وَأَرْسَلَ سَعْدُ الدِّينِ
كَمَشْتِكِينَ إِلَى سِنَانٍ مُقَدِّمِ الْإِسْأَعِيلِيَّةِ أَمْرًا لَا عَظِيمَةَ لِيَقْتُلُوا صَالِحَ
الدِّينِ. فَأَرْسَلَ سِنَانٌ جَمَاعَةً وَوَثَبُوا عَلَى صَالِحِ الدِّينِ فَقَتَلُوا دُونَهُ.
وَأَسْنَرُ صَالِحُ الدِّينِ مُحَاصِرًا لِحَلَبَ إِلَى مُسْتَهْلٍ رَجَبٍ وَرَحَلَ عَنْهَا بِسَبَبِ
تُرُولِ الْفَرَنْجِ عَلَى حِمصَ وَسَارُوا إِلَى حِمصَ فَرَحَلَ الْفَرَنْجُ عَنْهَا وَوَصَلَ
صَالِحُ الدِّينِ إِلَى حِمصَ وَحَصَرَ قَلْعَتَهَا وَمَلَكَهَا فِي الْحَادِي وَالْعَشْرِينَ مِنْ
شَعْبَانَ مِنَ السَّنَةِ. ثُمَّ سَارَ إِلَى بَعْلَبَكْ فَمَلَكَهَا

وَلَمَّا اسْتَقَرَّ مَلِكُ صَالِحِ الدِّينِ لِهَذِهِ الْيَلَادِ. أَرْسَلَ الْمَلِكُ الصَّالِحُ إِلَى
أَبْنِ عِيَّةِ سَيْفِ الدِّينِ غَازِي صَاحِبِ الْمَوْصِلِ يَسْتَعِجُّهُ عَلَى صَالِحِ
الدِّينِ. فَجَهَّزَ جَيْشَهُ صُحْبَةً أَخِيهِ عِزُّ الدِّينِ مَسْعُودِ بْنِ مَوْدُودِ زَنْكِي
وَجَعَلَ مُقَدِّمَ الْجَيْشِ أَكْبَرَ أُمَرَائِهِ وَهُوَ عِزُّ الدِّينِ مُحَمَّدُ وَلَقَبُهُ سَلْغَنْدَازُ
وَطَلَبَ أَخَاهُ الْأَكْبَرَ عِمَادَ الدِّينِ زَنْكِي بْنِ مَوْدُودِ صَاحِبَ سِنْجَارَ يَسِيرُ
فِي الْبُحْدِ أَيْضًا. فَامْتَنَعَ مُضَايَعَةَ لِصَالِحِ الدِّينِ. فَسَارَ سَيْفُ الدِّينِ
غَازِي وَحَصَرَ سِنْجَارَ وَوَصَلَ عَسْكَرُ الْمَوْصِلِ صُحْبَةً مَسْعُودِ بْنِ مَوْدُودِ
وَسَلْغَنْدَازُ إِلَى حَلَبَ وَأَنْضَمَ إِلَيْهِمْ عَسْكَرُ حَلَبَ وَسَارَ إِلَى صَالِحِ الدِّينِ.
فَأَرْسَلَ صَالِحُ الدِّينِ يَبْدُلَ حِمصَ وَحَمَاهُ وَلَنْ يَفْرَّ يَدِيهِ دِمَشْقُ وَيَكُونُ
فِيهَا نَائِبًا لِلْمَلِكِ الصَّالِحِ. فَلَمْ يَجِبُوا إِلَى ذَلِكَ وَسَارُوا إِلَى قِيَالِهِ وَقَاتَلُوا

عِنْدَ قُرُونٍ حَاةٍ فَأَنهَزَمَ عَسْكَرُ الْمُوَصِّلِ وَحَلَبَ وَغَنِمَ صَلَاحُ الدِّينِ
وَعَسْكَرُهُ أَمْوَالَهُمْ وَبَعِثَهُمُ صَلَاحُ الدِّينِ حَتَّى حَصَرَهُمْ فِي حَلَبَ وَقَطَعَ
حِينَئِذٍ خُطْبَةَ الْمَلِكِ الصَّالِحِ بْنِ نُورِ الدِّينِ وَأَزَالَ أَمْرَهُ عَنِ السِّكَّةِ
وَأَسْتَبَدَّ بِالسُّلْطَانَةِ. فَرَأَسُوا صَلَاحُ الدِّينِ فِي الظُّلْمِ عَلَى أَنْ يَكُونَ لَهُ مَا
بِيَدِهِ مِنَ الشَّامِ وَلِلْمَلِكِ الصَّالِحِ مَا بَقِيَ بِيَدِهِ مِنْهُ فَصَاحَهُمْ عَلَى ذَلِكَ وَرَحَلَ
عَنْ حَلَبَ فِي الْعَشْرِ الْأَوَّلِ مِنْ شَوَّالٍ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ. وَفِي الْعَشْرِ الْآخِرِ
مِنْ شَوَّالٍ مَلَكَ السُّلْطَانُ صَلَاحُ الدِّينِ قَلْعَةَ بَارِينٍ وَأَخَذَهَا مِنْ صَاحِبِهَا
فَخَرَّ الدِّينِ مَسْعُودٍ بْنِ الزَّعْفَرَانِيِّ. وَكَانَ فَخْرُ الدِّينِ الْمَذْكُورُ مِنْ أَكْبَرِ
الْأُمَرَاءِ النُّورِيَّةِ

ذِكْرُ أَنهَزَامِ سَيْفِ الدِّينِ غَارِي صَاحِبِ الْمُوَصِّلِ مِنَ السُّلْطَانِ صَلَاحِ الدِّينِ

ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةٌ إِحْدَسَةٌ وَسَبْعِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ وَفِيهَا عَاشِرُ شَوَّالٍ كَانَ
الْمُصَافَةُ بَيْنَ السُّلْطَانِ صَلَاحِ الدِّينِ وَبَيْنَ سَيْفِ الدِّينِ غَارِي بْنِ
مَوْدُودٍ بْنِ زُنْكِ يَتْلُ السُّلْطَانُ. فَهَرَبَ سَيْفُ الدِّينِ غَارِي وَالْعَسَاكِرُ
الَّتِي كَانَتْ مَعَهُ. فَإِنَّهُ كَانَ قَدْ اسْتَجَدَّ بِصَاحِبِ حِصْنِ كَيْفَا وَصَاحِبِ
مَارْدِينٍ وَغَيْرِهِمَا وَنَهَتْ عَلَى سَيْفِ الدِّينِ غَارِي الْمُرِيمةَ حَتَّى وَصَلَ إِلَى
الْمُوَصِّلِ مَرْغُوبًا وَقَصَدَ الْهُرُوبَ مِنْهَا إِلَى بَعْضِ الْقِلَاعِ قَبْلَتَهُ وَزِيَادًا وَأَقَامَ
بِالْمُوَصِّلِ وَأَسْتَوَى السُّلْطَانُ صَلَاحُ الدِّينِ عَلَى أَثْقَالِ عَسْكَرِ الْمُوَصِّلِ
بِغَيْرِهِمْ وَغَنِمَ مَا فِيهَا. ثُمَّ سَارَ إِلَى بَرَابَةِ وَحَصَرَهَا وَتَسَلَّهَا. ثُمَّ سَارَ إِلَى
نَمِجٍ فَحَصَرَهَا فِي آخِرِ شَوَّالٍ. وَكَانَ صَاحِبُهَا قُطْبُ الدِّينِ بِنَالُ بْنُ حَسَّانٍ

الْمُنَجِّي شَدِيدُ الْبَغْضِ لِصَلَاحِ الدِّينِ وَفَتْحَهَا عَنْوَةً وَأَسْرَيْنَا وَآخَذَ جَمِيعَ
مَوْجُودِهِ ثُمَّ أَطْلَقَهُ فَسَارَ يَنَالُ إِلَى الْمَوْصِلِ فَأَقْطَعَهُ سَيْفُ الدِّينِ غَارِي
مَدِينَةِ الرِّقَّةِ

ثُمَّ سَارَ السُّلْطَانُ صَلَاحُ الدِّينِ إِلَى عَزَازَ وَنَازَلَهَا ثَالِثَ ذِي الْقَعْدَةِ
وَتَسَلَّمَ بِهَا حَادِي عَشَرَ ذِي الْحِجَّةِ. فَوَثَبَ إِسْمَاعِيلُ عَلَى صَلَاحِ الدِّينِ فِي
حِصَارِهِ عَزَازَ فَضْرَبَهُ بِسِكِّينَ فِي رَأْسِهِ فَجَرَحَهُ فَأَمْسَكَ صَلَاحُ الدِّينِ
الْإِسْمَاعِيلِيَّ وَتَوَقَّعَ بِضَرْبِ السِّكِّينِ فَلَا يُوَثِّرُ حَتَّى قُتِلَ الْإِسْمَاعِيلِيُّ عَلَى
تِلْكَ الْأَحْيَالِ وَوَثَبَ آخَرُ عَلَيْهِ فَقُتِلَ وَثَالِثُ فَقُتِلَ أَيْضًا وَبَجَا السُّلْطَانُ إِلَى
خَبِينَتِهِ مَذْعُورًا وَأَعْرَضَ جُنْدَهُ وَأَبْعَدَ مَنْ أَنْكَرَهُ مِنْهُمْ. وَلَهَا مَلِكُ السُّلْطَانِ
عَزَازَ رَحَلَ عَنْهَا وَنَازَلَ حَلَبَ فِي مُنْتَصَفِ ذِي الْحِجَّةِ وَحَصَرَهَا وَبِهَا
الْمَلِكُ الصَّالِحُ وَانْقَضَتْ هَذِهِ السَّنَةُ وَهُوَ مُحَاصِرُ حَلَبَ. فَسَأَلُوهُ فِي الصُّلْحِ
فَأَجَابَهُمْ إِلَيْهِ وَأَخْرَجُوا إِلَيْهِ بَيْتًا صَغِيرَةً لِنُورِ الدِّينِ فَأَكْرَمَهَا وَأَعْطَاهَا شَيْئًا
كَثِيرًا وَقَالَ لَهَا: مَا تَرْضَيْنَ؟ فَقَالَتْ أُرِيدُ قُلْعَةَ عَزَازَ وَكَأَنُوفًا ذَلَّ عَلَيْهَا
ذَلِكَ. فَسَلَّمَهَا السُّلْطَانُ إِلَيْهِمْ وَاسْتَفْرَأَ الصُّلْحَ وَرَحَلَ السُّلْطَانُ مِنْ حَلَبَ
فِي الْعِشْرِينَ مِنَ الْحَرَمِ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَسَعِينَ

سبقي القسم الثالث من نخع الخ

من كتاب العبر لابن خلدون

ون كتاب فح الطيب من غصن الاناسي

ومن كتاب الاقادة لابي اللطيف

ومن كتاب نحة البطاري في غرائب الاصطفي

كذلك . عتات الحكومات لابن

